صقر سيناء

من قصص الحرب الخفية ضد المخابرات الإسرائيلية



بدر الدين حامد

صقر سيناء

من قصص الحرب الخفية ضد المخابرات الإسرائيلية



بدر الدين حامد

اهـــــداء

إلى أبناء سيناء البواسل من المقاتلين ورجال القبائل

والمناضلين رجالا ونساء، شيوخا وأطفالا الذين ضحوا بأرواحهم

من أجل الوطن وكانوا نعم العون والسند لرجال القوات المسلحة

في حربهم ضد العدو الإسرائيلى

والى أرواح شهداء مصر الذين سقوا شجرة الحرية بدمائهم

والى أبطال أكتوبر

أهـدى هـذا الكتـاب

بـدر الـدين حـامد

تقـــــديم

أخـــيرا يتكلـــم واحـــد مـــن جنـــود مصـــر، المخلصيـــن، الصـــامتين وعندمـــا يتكلـــم، فإنـــه يكشـــف عـــن ملحمـــة بطولـــة رائعـــة، لواحـــد مـــن أبنـــاء ســـيناء الذيـــن قـــاموا بـــدور بطولـــى رائـــع كـــان مقدمـــه لحـــرب أكتوبـــر المجيـــد.

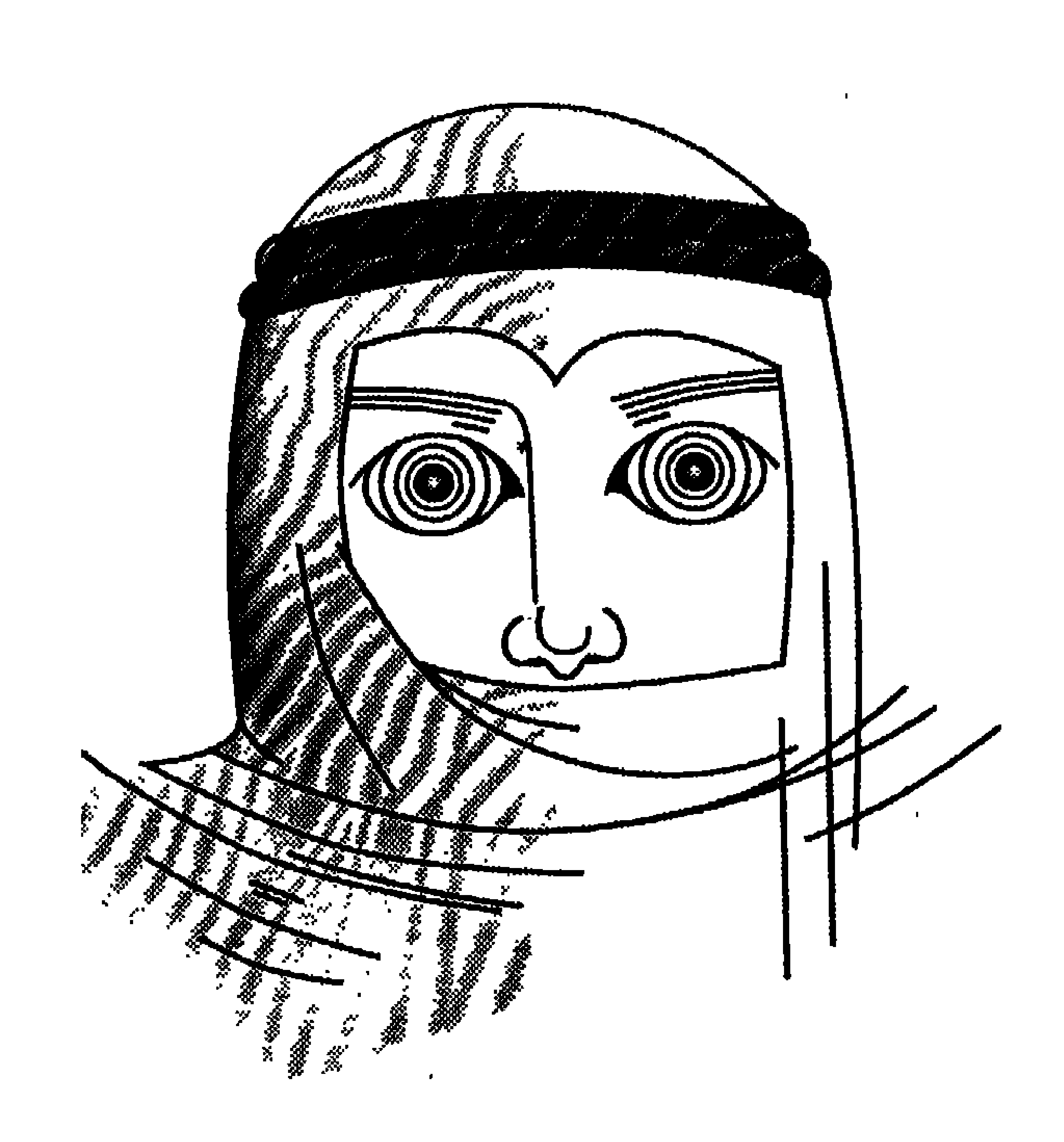
والمؤلـــــف، قضـــــى شـــــباب عمـــــره، يـــــؤدى دوره الوطنـــــى- فـــــى قواتنـــــا المســـــلحة - ويشـــــارك فـــــى الإعـــــداد والتخطيـــط والتنفيـــذ والمتابعـــة ، للعديـــد مـــن العمليـــات التـــى كـــانت تبـــدو فـــى وقتهـــا مســـتحيلة، وخارجـــه عـــن المـــألوف. لكـــن الثقـــة فـــى اللـــه والإيمـــان بـــالوطن، وعزيمـــه المقـــاتل المصـــرى، ووطنيـــه أبنـــاء ســـيناء، كـــل ذلـــك جعـــل النجـــاح والتوفيـــق حليـــف هـــذه المهـــام الصعبـــة.

أن الأســـتاذ بـــدر الديـــن حـــامد - مؤلـــف هـــذا الكتـــاب - يفتـــح قلبـــه لأول مـــرة، ويـــروى لنـــا وللتـــاريخ قصـــة هـــذه الملحمـــة البطوليـــة، خطـــوة خطـــوة، ويومـــا بعـــد يـــوم، ويجعلنـــا نتابعهـــا وأنفاســـنا مبهـــورة، وصدورنـــا تخفـــق بأحاســـيس شـــتى، وكأننـــا نعيـــش المشـــهد مـــع صانعيـــه مـــن جديـــد. ونـــدرك

من خلال لغته السهلة المعبرة. وعرضه الذكى المدقق، ورسمه لشخصيات هذه العملية البطولية - من النواحى الإنسانية والوطنية والقتالية، أنه يكتب عمل العمر فى هذه الصفحات التى لابد أنها ستجد طريقها إلى وسائل الإعلام فى صورة مسلسل إذاعى أو تليفزيونى أو فيلم سينمائى قادر على تجسيد هذه اللوحة الرائعة من لوحات النضال والكفاح فى تاريخ الشعب المصرى ضد العدو الإسرائيلى.

إن المؤلف بدر الدين حامد يشحن بطاريات قلوبنا بالمزيد من توهج الروح الوطنية، ويعبئ قارئ كتابه بحرارة الإيمان بهذا الوطن والإخلاص له ويجعلنا نتوجه إليه بالشكر العميق لأنه يتيح لنا - نحن قراءه- هذه المتعة ، وهذا الإحساس العظيم.

فاروق شوشة



الفصـــل الأول

الاعتـــداء الغاشــــم

أشرقت شمس يونيو١٩٦٧ على رمال سيناء المصرية .. أشجار النخيل العالية المثمرة تعانق السماء في حب .. قطرات الندى تتساقط على الرمال الذهبية بعض الماعز والأغنام الصغيرة ترقد أو تتجول حول تلك الخيام البدوية المثبتة بأوتاد خشبية في الأرض وبين سيقان أشجار النخيل، كأنها أهرامات أخرى لمصر الخالدة .. أطفال صغار دون الرابعة ينظرون من وراء فتحات تلك الخيام، يسترقون النظر لما يدور حولهم، بينما يزاول أطفال آخرون أكبر منهم بعض الأعمال اليومية، تنظيف حول الخيام، حمل المياه، حمل الطعام إلى داخل الخيام.

على مقربة منهم توجد بعض البيوت القديمة ذات الطابق الواحد والتي بنيت من الحجارة البيضاء.. إنها قرية صغيرة على حدود جنوب مدينة العريش تسكن بها إحدى قبائل سيناء التي تعمل في الزراعة وتربية الأغنام والماعز، حياة بسيطة .. وتُجمل الصورة بعض النساء اللاتي تحلبن الماعز والأغنام .. وبعض التلاميذ الذين يحملون كتبهم في خطوات نشيطة وضحكات مرحة، متوجهين إلى مدارسهم المختلفة بالمدينة القريبة منهم، مدينة العريش، وقد خرجوا من ديارهم في جماعات اختلط فيها البنون والبنات .. إنهم أبناء قبيلة واحدة.

جلس الشيخ " صالح " شيخ قبيلة من القبائل المصرية الكبيرة في سيناء .. شيخ فى الستين من العمر بملابسه البدوية التي عُرف بها أبناء سيناء، أمام داره التي بناها من الحجارة، يحلب شاةً قد امتلأت باللبن، ويسقى بعض الأطفال الصغار الذين التفوا حوله .. إنهم أبناؤه .. بينما يخرج ابنه

الأكبر "يونس" من باب الدار يحمل حقيبة جلدية بها بعض كراسات للتلاميذ كان قد أخذها معه إلى الدار بعد انتهاء الدراسة أمس في مدرسة العريش الابتدائية والتي كان قد تعين بها كمدرس منذ فترة قصيرة لا تتعدى عدة أشهر .. بعد انتهاؤه من تصحيحها لإعادتها إلى تلاميذه .. كان "يونس" شاباً متفوقاً فى دراسته، وبعد انتهاءه منها عُين مدرساً فى هذه المدرسة .. إنه شاب في الثامنة عشرة من العمر، تشع عيناه السوداوان بالذكاء ويعلوا فمه شارب أسود الشعر، يتحرك في هِمّه ونشاط، خطواته ثابتة، حركاته تلقائية، أسمر البشرة .. يصافح والده الشيخ "صالح" ويقبل يده، ثم ينصرف إلى مدرسته الابتدائية التي يعمل بها بالمدينة .. مع بعض رفاقه الذين يمر عليهم في ديارهم، وكان بعض التلاميذ يقفون في انتظاره أمام خيامهم أو ديارهم القديمة البسيطة .. يتصافحون ثم ينطلقون في هِمّه ونشاط وحيوية زائدة، يشقون الطرق الملتوية عبر الصحراء والرمال الذهبية إلى مدارسهم بالمدينة.

في المساء، جلس الشيخ "صالح" مع بعض الرجال الذين جاءوا إليه من أفراد قبيلته والقبائل المجاورة التي تقطن في هذه الربوع الساكنة، تحت ضوء القمر في تلك الليلة، على رمال سيناء الفضية التي تتلألأ كحبات من عقد اللؤلؤ المنثور.. كانوا يتسامرون، يتحاورون، يتناقشون حول قضاياهم الخاصة .. ويأتي رجال آخرون يهبطون من فوق دوابهم، يلقون السلام ويجلسون، يكملون استدارة الحلقة.

كان القمر بدراً سابحاً فى الفضاء البعيد ويسكب على الأرض نوره فوق سكون المكان إلا من أصوات نباح بعض الكلاب التي تحرس الأغنام وقد أخذ الرجال يعرضون على الشيخ بعض قضاياهم ومشاكلهم، وقد اشتهر الشيخ "صالح" بالعدل بين الناس في حكمه سواء داخل قبيلته أو بين القبائل الأخرى من بدو سيناء.

إنه الآن يفصل في قضية ميراث بين أخوة متنازعين، وكل منهم يقبل ويوافق على ما يحكم به الشيخ .. راح يونس ابنه المفضل بين اخوته: خمس بنات وأربع ذكور، يعد لهم المشروبات البدوية الساخنة على جمر النار الذي أعده من بقايا فروع الأشجار اليابسة، ويقدمها لهم. أما اخوته فهم يقضون تلك الليالي في السمر حول القصص البطولية وأبطال العرب مثل عنترة بن شداد وأبى زيد الهلالي..

لقد تعلم يونس من والده الشيخ صالح الحكمة في القيادة وحسن التصرف في الأمور والتعقل في التفكير..وكان يزن الأمور والأحداث التي تدور حوله بميزان العقل الواعي الناضج الحكيم. وظهر ذلك في علاقاته بمن حوله من أقرانه وزملائه الذين كثيرا ما يشكون له ضيق ذات اليد وكان يونس يساعد الطلبة من أبناء قبيلته في الاستذكار ويشرح لهم ما يصعب عليهم فهمه وكان يعرض على أبيه بعض مشاكل هؤلاء الطلاب فيساعده الشيخ في حلها وخاصة إذا كانت المشاكل تتعلق بالظروف المادية. فكان الشيخ يعطيه المال الذي يقدمه لهؤلاء الطلاب من غير القادرين على دفع المصروفات المدرسية وكذا لشراء الكتب الدراسية أو لشراء ملابس جديدة للعام الدراسي الجديد.

تحت ضوء النيران المتأججة من موقد أمام الدار في المقعد – وهو المكان الذي يجلس فيه الرجال للسمر والحديث – في ليلة مظلمة جلس الشيخ صالح في حلقة تضم عددا من الرجال الوافدين إليه لحل مشاكلهم أو التشاور فيما بينهم، كان القمر غائبا في أول الليل ، ثم بدأ يخرج من وراء غابات النخيل الكثيف، تداعبه بعض السحب الصيفية، حيث جاء إلية ابن أخيه ويدعى سويلم وكان قد قطع مسافة طويلة في سيارته فيعانقه الشيخ ويشد على يده ويجلس إلى جواره، كان سويلم شابا ضخم الجسم عملاقا تبدو عليه علامات الغلظة، يرتدى ملابس فاخرة تغطيها عباءة سوداء ثقيلة، وسرعان ما أخذ يشغل نفسه بعمل دوائر متقاطعة

على الرمال التي يجلس عليها، بينما كان الشيخ صالح يتحاور مع أصحابه لقضاء حوائجهم... ثم استدار الشيخ إليه وسأله عن حاله وعن أحوال اخوته، كانت ابنه الشيخ صالح مخطوبة لابن أخيه "سويلم" أي لابن عمها، وكانت فتاة على درجة كبيرة من الجمال ذات عيون ساحرة سوداء وشعر أسود مسترسل حتى الأرداف ووجه خمرى.

جاء "سويلم" لينقل للشيخ صالح الرأي الذي تراه عائلته من تحديد موعد الزواج يوم غد أو بعد غد، فقد تم إعداد بيت الزوجية، لكن الشيخ صالح طلب منه أن ينتظر حتى ينتهي الأولاد من الامتحانات التي بدأت ولازالت مستمرة. وكذلك حتى تستقر الأوضاع المتوترة التى تحيط بهم وهم يشاهدون تدفق القوات المصرية على سيناء استعداداً لخوض حرب ضد إسرائيل، ولكن سويلم رفض الخضوع لمنطق العقل. فقد كان الشيخ يريد أن يحس بالفرح والسعادة لزواج ابنته الكبرى المحببة إلى نفسه فى ظروف طبيعية هادئة خاصة وأنه أيضاً كان غير راض فى قرارة نفسه عن زواج ابنته زينب الجميلة من سويلم، وذلك للاختلاف الكبير بينهما فى الطباع، ولكن تحت الإلحاح الشديد من ابن أخيه وتدخل بعض أفراد العائلة وافق على أن يكون الفرح خلال اليومين القادمين.

بدأت أفراح القبيلة تأخذ طابع السرعة والجدية .. تحولت الخيام والديار الواطئة القديمة والرمادية إلى زينات كثيرة الورود والرياحين، وفروع النخيل التي غطت واجهات البيوت وأسقف الخيام .. واستدعى الشيخ صالح إحدى الفرق البدوية لتحيى عرس هاتين الليلتين، وشهدت المنطقة حركة غير عادية، وجاء المدعوون من هنا وهناك كعادة أهل سيناء وتوافد الزوار وذبحت الذبائح وأقيمت الولائم .. واستمرت الأغاني والرقصات البدوية طوال الليل وأجزاء من النهار.

لقد تغير الحال في هذه البقعة من أرض الله فـي دقـائق، فالمشـاركة الوجدانية هي طابع هؤلاء الناس الذين يعيشون معاً كأسرة واحدة. وفـى وقت متأخر من الليل أخذ الشيخ صالح بيد ابنه يونس إلى ركن في شرفة المنزل القديم الذي يعيش فيه مع أمه واخوته، وكان ضوء القمـر ينسكب عليهما ويحول المكان حولهما إلى قصر من الفضة.. وأخذ الشيخ الكبير الذي استبد به الأسى والحزن لأنه في قرارة نفسه لم يكن راضياً عن هذه الزيجة وكذلك ابنه يونس.

أخذ الشيخ يُذَكِّر ابنـه بـالإصرار علـى التفـوق والنجـاح وحـب الآخريـن والقناعـة بـالقليل، وأخـذ يبـث الـروح الدينيـة والقيم الإسـلامية والأخلاقيات البدوية في نفس الابن الذي راح ينصت فـي اهتمـام لحديـث الأب وعيناه مشدودتان إلى وجـه القمـر تـارة وإلـي الرمـال الفضيـة من تحته تارة أخرى.

في تلك الليلة والتي امتدت فيها أفراح القبيلة حتـى السـاعات الأولـى من الصباح، كان على العائلة الكبيرة أن تـودع العـروس والعريـس ابـن العم حيث يسـافرون إلـى عش الزوجيـة، وكـانت المسـافة تستغرق عـدّة ساعات بالسيارة ذات الطراز القديم التي كان سويلم يمتلكها من تجارته.

و فـي فجـر اليوم التـالي الخـامس مـن يونيـو ١٩٦٧ وقـف الشـيخ صـالح إمامـاً لمجموعـةٍ مـن الرجـال والشـباب يـؤدون صـلاة الفجـر فـي زاويـة صغيرة بـالقرب من منـزل الأسـرة كـان قـد أقامهـا الشـيخ صـالح للصـلاة، وهـى محاطـة بسـور مـن الأحجـار ومغطـاة بسـعف النخيـل، وبهـا إضـاءة متواضعـة مـن مصـابيح تضـيء بالكيروسـين وسـجاجيد عربيـة النقـوش مصنوعـة مـن الصـوف.

وبعد أن فرغ من الصلاة أخذ يدعو الله تعالى أن يصلح حـالهم وأن ييسر أمورهم.. ثم انصرفوا .. أما الشيخ فقد جلـس يحلـب شـاةً فـي آنيـة

من الفخار، ثم أخذها إلى داخل داره، بينما بدأت الديار تصحو من نومها وبدأت الحركة تدب في أنحاء المكان قبل شروق الشمس، وأفاقت الحيوانات من أغنام وماعز وبدأت تطلق أصواتها هنا وهناك .. وخرج الصغار من ديارهم كما تخرج القطط من جحورها. كان الكثير من أهل سيناء لا يزالون نائمين، وكان الكثير من أفراد قبيلة الشيخ صالح قد أمضوا ليلتهم في عرس جميل وأحلام ورديةٍ.

وكان يونس يحلم بفجر جديد يبدد ظلام الليل ويفجر طاقات الأمل في غدٍ مشرق تنتهي فيه مشاكل القبيلة، لقد كان والده وراء تفوقه باستمرار طوال سنين دراسته حتى حصوله على مؤهله الذي أهله ليتم تعيينه كمدرس في مدرسة العريش الابتدائية.

بعد وداع أخته مع زوجها سويلم. وفى غمرة هذه الأحلام الجميلة والطموحات العريضة لم يكن يونس يدرى بما كان يخبئه له القدر.. وأفاق من حلمه الجميل على ضوء الصبح يتسلل إلى جبينه ولكن انقباضة كانت تعتصر قلبه المؤمن.. ففي صباح ذلك اليوم الأسود الكئيب الخامس من يونيو ١٩٦٧، أفاقت سيناء مذعورة على جحافل جيوش عدو كاسر كان يدوس بأقدامه كل غال ونفيس، ويجوس خلال الديار، لا يرحم أطفالاً ولا شيوخاً ولا يراعى حرمات المساكن والنساء التي لها حرمة، وقدسية أماكن العبادة في عرف البدو.. ويقتل الأسرى من الجنود العزل من السلاح بعد تجميعهم في مناطق تجمع داخل الصحراء، ويشرد العائلات والقبائل من كل فج عميق، في كل وادٍ وجبل.

وقف الشيخ صالح أمام مدخل قبيلته في صلابةٍ وعزيمةٍ وشجاعةٍ نادرةٍ يدافع عن ديارها ونسائها وأطفالها.. وانضم إليهِ بعض الشيوخ من كبار السن، فما كان من جنود العدو الإسرائيلي إلا أن أردوه قتيلاً برصاصهم الغادر ليكون عبرةً لغيره، هو ومن معه.. وعمت الفوضى

في كل مكان .. وهرب الصغار والنساء اللائي يحملن أطفالهن في ذعر وخوف من رصاص العدو الغاشم، وتشردت القبائل المصرية في سيناء في الفيافي والقفار والصحراء الممتدة.

وكان على يونس أن يهرب بمن تبقى من أفراد قبيلته، ويختفي عن الأنظار بين الجبال الممتدة وأخذ باقي أفراد أسرته معه وهى أسرة مكونة من خمس أخوات بنات وأربعة أولاد ووالدته المسنة العجوز التي تتحرك في صعوبةٍ بالغةٍ.

وجد يونس نفسه مسئولاً عن هذه العائلة بعد استشهاد والده .. وجد نفسه مسئولاً عن حمايتها وحماية مقدساتها .. وأرضها وديارها التي سكنها الأعداء في تلك الليالي المظلمة التي تضيء من آن لآخر بنيران طلقات العدو.. نام أفراد أسرته على الرمال المعتمة بعتمة الليل..كانت الرمال دافئة، وكان السكون يخيم على الصحراء الممتدة بجبالها ووديانها إلا من صوت مدافع العدو التي تدوي من لحظةٍ لأخرى في أماكن متباعدة.

ولم تنم عين يونس الشاب التي تحطمت سفينة آماله فجأةً على صخرة العدو الإسرائيلي في أرض سيناء وجاء صباح يوم آخر حزين أيقظ يونس وأخوته وبدءوا رحلة البحث عن باقي أفراد القبيلة وقد أقسم على مقاومة هذا العدو الغاشم وعدم الاستسلام لهذا الواقع المرير.. وأخيراً استطاع الوصول إلى مكان آمن إلى حد ما، قضوا فيه عدة أيام، وفى الليل عادوا إلى ديارهم وخيامهم التي دنسها العدو بأقدامه في الأيام الماضية.. وكان العدو قد زحف وركز قواته على طول المواجهة على الشاطئ الشرقي لقناة السويس..

أول خلية للمقاومة الشعبية

فكر يونس في ضرورة الاتصال بزملائه في مدينة العريش وأخذ يسأل ويبحث عن أماكن تواجدهم بعد أن تفرقوا وتشتت شملهم بعد اقتحام القوات الإسرائيلية للمدينة وقيامهم بأعمال المطاردة والقبض العشوائي على الشباب المثقف من أبناء المدينة لتشتيتهم وضرب تجمعاتهم خوفاً من قيامهم بتشكيل جماعات أو خلايا سرية لمقاومة نشاط قواتهم بالمدينة..

وبعد طول جهد تمكن من الاتصال ببعض زملائه واتفقوا على التجمع بأحد المنازل المهجورة ليتدارسوا في البحث لهم عن دور في مقاومة قوات الاحتلال الإسرائيلي الذي كانت قواته منتشرةً في كافة الأرجاء تعربد كيف شاءت.

وقد تمكن هؤلاء الشباب الذين كانت تغلي دماء الوطنية في عروقهم من تكوين مجموعة سريّة لمقاومة قوات الاحتلال بالمنطقة، وكانت تتشكل من بعض زملائه ومن طلبة المدارس المنتمين إلى بعض القبائل المختلفة وكذلك اثنين من المدرسين وموظف كان يعمل محاسباً بإحدى الشركات بالمدينة.. هذا ما أخبرهم به.. وتعاهدت هذه المجموعة الوطنية على القيام بأي عمل لمقاومة قوات الاحتلال الإسرائيلي بأي صورة وذلك لإشعاره برفض شعب سيناء لوجوده على أرضهم..

بدءوا العمل بالمقاومة السلبية وتوعية المواطنين كلٌ في منطقته بالمقاطعة التامة للسلطات الإسرائيلية وعدم التعاون معهم بأي صورة، ومقاطعة البضائع الإسرائيلية، وحث الشباب والعمال على عدم الذهاب إلى إسرائيل للعمل هناك بدلاً من الجنود الموجودين على جبهات القتال، ومقاومة الإشاعات المغرضة التي يطلقها العدو بوسائل إعلامه المختلفة.. كذلك البحث عن أي

عملاء للعدو بهذه المناطق ومقاومة نشاطهم بكل الصور للتخلص من شرورهم..

مرت فترة غير قصيرة في هذا العمل ثم اجتمعوا في نفس المكان لتقييم ما تم إنجازه من أعمال كل في منطقته، وبعد دراسة مستفيضة تم الاتفاق على تطوير عملهم بالبدء في القيام بأعمال قتالية ضد جنود العدو ومنشآته بالداخل لبث الذعر بين أفراده وعدم شعورهم بالأمان والاستقرار وإبلاغهم برسائل مؤلمة موجعة تعبر عن رفض الشعب بالداخل احتلال أرضهم.

انصرف الأصدقاء في ساعة متأخرة من الليل الشديد السواد.. وكان كل واحد منهم يعرف طريقه جيداً.. وعاد يونس ليجلس إلى جوار أمه العجوز التي كانت تشتكي من آلام ظهرها وأخذ ينظر في حنان إلى اخوته البنات والبنين الذين لم يشتد عودهم بعد وكان يشفق عليهم بعد الأحداث الدامية التي شاهدتها أعينهم الصغيرة وعقولهم البريئة، والتي لن يستطيعوا التغلب على نسيانها. وفى لحظات ضعفه هذه اندفع إلى أحضان أمه وكانت تشعر بإحساس الأم بما يعتمل في طيات نفسه فأخذت تربت عليه في حنان بالغ.. فقرر أن يخبرها بما يعتمل في نفسه من أنه انضم إلى أفراد المقاومة ليرتاح ضميره ويحصل على مباركتها ودعواتها له خاصةً بعد أن اعتزموا القيام بأعمال قتالية ضد قوات العدو.. رفعت الأم رأسها لتنظر إلى ابنها الأكبر يونس ومسحت دمعة سالت من مقلتيها وقالت له بصوت متهدج: يا بني ، إننا نربيكم ونعدكم للدفاع عنّا في مثل هذه الأحداث. ثم دعت له بالتوفيق، فعانقها بشدة وقبّلها فقد كانت كلماتها له هي البلسم الشافي التي أعادت له الراحة النفسية.. وعند طلوع الفجر ودّع والدته ثم انصرف إلى المكان المتفق عليه ليجتمع مع زملائه لتدارس خطة العمل الجديدة..

كان يونس عضواً قيادياً في هذه الخلية السرية المكونة من عناصر مختلفة من أبناء سيناء ولكنهم اجتمعوا يداً واحدة على مواجهه العدوان وأخذوا يقومون بعمليات هجومية ضد وحدات وعربات منفصلة للعدو بمناطق متفرقة تتمثل في زرع ألغام على طرق تحرك معدات للعدو ومهاجمه أفراد عسكريين يكونون متحركين منفردين باستخدام القنابل اليدوية والأسلحة ووضع عبوات ناسفه على خطوط المياه التي قام العدو بمدها لإمداد معسكراته بالمياه وكانوا يستخدمون في هذه العمليات الذخائر والأسلحة التي كانوا يجمعونها ليلاً من المعسكرات المصرية التي انسحب منها جنودها فجأة، وكان يساعدهم في هذه العمليات بعض الأفراد العسكريين المصريين الذين لم ينسحبوا مع القوات المصرية وظلوا بالداخل وزميلهم الموظف المحاسب الذي كان يعمل بإحدى الشركات التي كانت تعمل في سيناء، فقد كانت له خبرة جيده بأعمال التفجير ونصب الكمائن والاستخدام الجيد لأنواع الأسلحة وكان قد أخبرهم بأن هذه الخبرة قد أكتسبها أثناء فترة تجنيده بالقوات المسلحة.

مرت الليالي الحزينة بطيئة على أفراد الخلية السرية بالعريش .. وكان المستقبل أمامهم أشد إظلاماً .. فالعدو من ورائهم ومن أمامهم وحياتهم معرضة للخطر والضياع في أي لحظة .. وقد أحدثت هذه الأعمال التي كانوا يقومون بها خسائر بين قوات العدو في الأرواح والمعدات، وأحدثت ذعراً ورعباً بين جنوده، وأصدرت القيادة الإسرائيلية في أعقاب هذه العمليات السرية تعليمات لقواتها بعدم القيام بأي تحركات فردية للمعدات أو الأفراد .. وانعكست على تصرفاتهم في ممارساتهم الوحشية تجاه الأهالي العزل الأبرياء والخوف والرعب منهم.. وقد لاحظ يونس بأن ما كانوا يقومون به والأهداف التي تحدد لهم والطريقة التي كانوا ينفذون بها كل عملية ليست طريقة عشوائية ولكنها كانت مدروسة ومخطط لها جيداً فصارح بذلك زميله الذي كان قد أخبره

بأنه يعمل محاسباً في شركة بالمدينة، والذي أفصح له بأنهم يعملون بناء على تعليمات تصلهم من القاهرة عن طريق جهاز لاسلكي على اتصال بالمخابرات الحربية بالقاهرة، وهذا الجهاز موجود في مكان سرى بمدينة العريش .. وأن كافة المعلومات التي يجمعونها والتعليمات التي تصدر إليهم تتم عن طريق هذه المحطة ففرح يونس فرحاً شديداً وارتفعت روحه المعنوية إلى عنان السماء لدرجة أنه لم يذق طعم النوم في هذا المساء رغم ما كان يعانيه من شدة التعب.. فقد شعر أن القيادة متواجدة بينهم .. وعلى علم بما يقومون به.

ومرت الأيام وكل فرد من أفراد المجموعة يؤدى كل ما يطلب منه في تفانٍ وإخلاص غير عابئ بما قد يتعرض له في حالة سقوطه في يد العدو..

في ليلة من ليالي شهر سبتمبر، كان يونس ومن معه من بعض أصدقائه ورفاقه ينفذون عملية ضد قوة للعدو كانت تتحرك ليلا شرق العريش، وبعد تنفيذ العملية بنجاح وانفجار الألغام في السيارات قام العدو بإضاءة المنطقة بطلقات الإضاءة، وأخذ جنوده يقومون بإطلاق الأعيرة النارية من الأسلحة الأوتوماتيكية بصورة عشوائية لتغطية كل الأماكن .. وفرت المجموعة الفدائية متفرقين في كل مكان واتجاه .. وكل فرد كان يعرف وجهته جيداً .. ولكن بقى هذا الموظف. فقام يونس على الفور بسحبه معه منطلقا في البرية وأثناء هروبه .. تذكر بأن له عماً يقطن في منطقة قريبة من هذا المكان فتوجه إليه ليختبئ عنده، وكان الليل قد انتصف والظلام قد أشتد ، فطرق الباب فخرج إليه عمه مذعوراً وفوجئ بابن أخيه يونس وكان معه أحد زملائه في العملية التي تم تنفيذها ومعهم أسلحتهم فدخلا بسرعة وشرح له عما حدث وعلى الفور أيقظ الرجل العجوز ابنته الكبرى (سالمة) من النوم.. وطلب منها أن تجهز غرفة منعزلة عن البيت وأن تعد العشاء والشاي لابن عمها وضيفه كانت سالمة فتاة عاقلة جميلة الطلعة ذات عينان سوداوين كحيلتين ممتلئة القوام

والصدر والأرداف وقد اكتملت أنوثتها ، وكانت رشيقة خفيفة الحركات كبنات البدو، سريعة الذكاء وتزن الأمور بميزان العقل .. ولم يكن يونس قد رآها منذ زمن بعيد.

قامت سالمة بهمة ونشاط بتنفيذ تعليمات أبيها، وقدمت الشاي والطعام وقد التقت عيناها الساحرتين التي اشتد بياضها مع سوادها بعيني يونس، فابتسمت ابتسامة حياء وأطرقت عندما داعبها يونس قائلاً لها: " لقد كبرت وأصبحت عروساً يا سالمة " فقد لاحظ يونس جمالها الباهر .. ثم أصطحبهما عمه بعد أن فرغا من تناول الطعام وشرب الشاي هو وزميله للاختباء بالغرفة التي قد أعدت لهما.. وقد لاحظ أن عمه لم يفاتحه بأي شئ منذ استقباله لهما في منزله ولكن عندما إلتقت عيونهما شعر يونس بالقلق الذي يضطرب به قلب عمه ولكن في نفس الوقت برضائه عن ما كان يقوم به. ظل يونس وزميله في هذه الغرفة مختبئين حتى مساء اليوم التالي لحين هدوء الموقف بالمنطقة وتوقف القوات الإسرائيلية عن البحث عن عناصر المقاومة، لكن يونس لم ينقطع عن التفكير فى ابنة عمهِ التي يختبئ في بيتها الآن. وعندما أسدل الليل أستاره شكر يونس عمه على استضافته وطلب منه الانصراف فقام بتوصيلهما إلى مشارف القرية، عاد يونس إلى منزله.. وبمجرد وصوله أيقظ والدته وحكى لها ما حدث له مع عمه وابنة عمه " سالمة " ولمح لها عن رغبته في الزواج منها .. وكان خجولاً في مثل هذه المواقف.

كان الأسى والألم يعتصر قلب يونس لأن هذه الظروف السيئة التي يمر بها، والتي يمر بها الوطن خبت وأطفأت في قلبه هذه الرغبة الجميلة. ولكن بإحساس الأم الحكيمة وفطنتها ظلت تشجع ابنها يونس بتنفيذ رغبته في الزواج من ابنة عمه سالمة فأخذت تعدد له مآثرها وصفاتها الحميدة وطيب منبتها وعراقة أصلها.. وظلت الأم تلح عليه وتشجعه وأعطته بعض الحلي الذهبية وأخبرته بأنها كانت تدخرها

لحوائج الزمن فهذا وقتها، وطلبت منه أن يأخذها ويعطيها لعمهِ هدية زواجه فقبلها يونس وقّبلَ يدها وشكرها..

ذات يوم من أيام شهر أكتوبر كان يونس قد عقد العزم على تنفيذ رغبة والدته ورغبته أيضاً في الزواج من ابنة عمه.. فخرج مبكراً من منزله مرتدياً أجمل ثيابه متوجهاً إلى منزل عمهِ في شرق العريش.. وكان الجو مائلاً للبرودةِ في الصباح وقطرات الندى تتساقط مع تزايد درجة الرطوبة في هذه المنطقة ونسمات الصباح الساكن الباردة تداعب وجهه ولفافة من شعره.. كانت حركاته قوية وخطواته نشيطة ودرجة استعداده لاستقبال اليوم الجديد عالية .. إنه الحب الذى يمتلك القلب ويؤثر بالعقل.

وصل يونس المنطقة قبيل الظهيرة.. وعندما وصل إلى منزل العم وجد سالمة تنهى بعض الأعمال المنزلية عند المدخل، فألقى عليها السلام فردت التحية ودخلت مسرعة تنادى أباها بينما وقف يونس منتظراً على بعد كعادة أهل البادية حتى خرج إليه عمه الذى رحّب به وصحبه إلى الداخل وطلب من أهل البيت إحضار الشاى والقهوة ثم تحضير الغذاء .. وبعد أن تجاذبا أطراف الحديث أحس يونس بأن عمه لم يلمح له بشيء عما حدث فى تلك الليلة التى جاء فيها إليه للاختباء عنده هو وزميله، مما كان له الأثر الكبير فى تشجيع يونس فى التحدث معه فى هذا الموضوع، وشعر يونس أنه فى حاجة للتحدث معه حول كل ما حدث معه ولم يخفى عنه شيء فقام بشرح كل شيء لعمه وما حدث للأسرة بعد استشهاد والده الشيخ صالح فوجد منه تفهم تام ثم فاتحه فى أمر زواجه من ابنته سالمة، فوجد من عمه كل ترحيب .. كانت سالمة تروح وتجيء فى داخل الدار فى هذه اللحظات، وكانت تسترق السمع من آن لآخر، وبحس الأنثى شعرت بأن هذه الزيارة لطلب يدها فغمرتها مشاعر جياشة من الحب والحنان.. فقد كانت تعرف يونس من قبل وتسمع عن أخباره وعن سمعته الطيبة فكانت فى قرارة نفسها راضية عن هذا

الزواج .. خاصةً وأنها شاهدته فى أشرف المواقف الرجولية والبطولية التى يتعرض لها إنسان حين حضر إليهم فى تلك الليلة، وهو يقاوم العدو ويحمى دياره وعرضه ويثأر لدم أبيه ..

غربت شمس أكتوبر على مدينة العريش .. كانت السحب الرمادية والسوداء تتناثر فى الأفق البعيد وشفق الشمس الأحمر تتساقط فى الفضاء الرهيب وثمة حركة بطيئة بين الديار والخيام.. وكانت ليلة قمرية أقيم فيها حفل عرس بسيط فى دار الأسرة حضره الأقارب والأصدقاء المقربون للأسرتين نظراً إلى تلك الظروف الصعبة التى تمر بها القبيلة تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلى .. وكان قد تمت موافقة الأسرتين على تحديد موعد الزواج وإجراءات الزفاف وتدبير أثاث متواضع للعروسين وكانت ليلة الزفاف حيث انفض الفرح واختلى يونس بعروسه التى تختفى وراء ستار من الحرير الأبيض يخفى زينتها ووجهها المشرق وكان عليه أن يعطيها بعضاً من وقته وشعوره ووجدانه وإن كانت عواطفه وعقله فى الأساس مع تلك المجموعة من الأبطال الذين رفضوا ذل العدوان وعبودية المستعمر ..

وفى إحدى الليالى التى خرج فيها يونس إلى لقاء مع المجموعة للاتفاق على تنفيذ المهمة القادمة، طلبت منه سالمة الخروج معه لمساعدته لأن وجودها سوف يضفى الشرعية وعدم الشك فى موقفهما وفى تحركاتهما، وفكر يونس قليلاً فى عرض زوجته واستحسن الفكرة وبدأ على الفور فى تنفيذها .. كانت سالمة خير عون له فى تنفيذ بعض المهام المكلف بها، لأنه كان من غير المألوف استخدام النساء فى تنفيذ مهام عسكرية مع الرجال ..

كانت سالمة تتمتع بشخصيةٍ فدائيةٍ كفتاةٍ مصريةٍ أحبت بلادها وأهلها وترفض أن ترى بلادها تحت وطأةِ المعتدى أو ترى أهلها تحت

سيطرة وحكم الباغى الظالم، وكانت دماؤها ساخنة نابضة بالتمرد والتصدى والصمود ضد الذين سلبوا الفرحة من عيون الناس ونشروا الرعب والفزع على الوجوه البريئةِ وكانت تتمتع بحكمة المرأة السيناويةِ وذكائها فى القدرة على البقاء والعيش فى غياب الرجال وتدبير أمورها بنفسها .. فكان زواجها من يونس خير عون له فى أداء مهام المرحلة المقبلة من الكفاح الوطنى ضد الغزاة والطامعين..

شعرت السلطات الإسرائيلية بالنشاط الزائد لمقاومة الأهالى فى سيناء، وزيادة أعداد الخسائر اليومية بين أفراده ومعداته مما شكل ذعراً وارتباكا واضطراباً بين صفوفه، وانعكس ذلك على سلوكهم ضد الأهالي فنشطوا فى مقاومة هذا التيار، ونشط عملاؤهم والمتعاونون معهم الذين أغروهم بالمال، وذلك لتعقب القائمين بهذه العمليات ..

وفى مساء أحد أيام شهر نوفمبر .. وقد أسدل الليل أستاره، وصل إلى يونس تحذير من بعض زملائه بأن السلطات الإسرائيلية فى المنطقة نجحت فى الوصول إلى محطةِ العريش اللاسلكية .. وطلبوا منه ضرورة الاختفاء عن الأنظار فى هذه الفترة ومراقبة الوضع من بعيد وأخذ الحيطةُ والحذر .. وظل يونس مختبئاً فى الجبال القريبة وكان يغير من مخبئه كل فترة .. وكان من آن لآخر يهبط من الجبل للاطمئنان على زوجته وأسرته .. وكانت زوجته تخبره بما تقوم به القوات الإسرائيلية من مسح وتمشيط للمنطقة كل فترةٍ والبحث عن أفراد يُشتبه فيهم.

التســلل إلى الأردن

وأخيراً قرر يونس الهروب إلى وادى النيل لأن الحياة أصبحت لا تطاق.. وكان التسلل عبر قناة السويس يشكل خطورة كبيرة لأنه لابد أن يخترق مواقع للقوات الإسرائيلية على الشاطئ الشرقى للقناة وقام بعض

رفاقه باصطحابه هو وزوجته إلى جنوب سيناء .. وأخذا يتنقلان من منطقةٍ لأخرى بمساعدة أفراد من هذه المناطق على درايةٍ بطرقها وممراتها ودروبها الغير مطروقة لسير العدو لتفادى المواجهة مع القوات الإسرائيلية المنتشرة على الطرق الرئيسية فى سيناء .. حتى أوصلوهما إلى منطقة العقبة وتسللا منها ليلاً إلى داخل الأراضي الأردنية.

وفى صباح ذلك اليوم البارد الممطر بمنطقة العقبة الأردنية، قام يونس وزوجته بتسليم نفسيهما إلى نقطة حدود أردنية وشرح يونس لضباط النقطة وأفرادها بأنهما هربا من سيناء لقسوة التعامل مع العدو الإسرائيلى داخل الأرض المحتلة، وأنهما يريدان الذهاب إلى مصر .. وكانت مفاجأة يونس حين رأى حسن الضيافة وكرم اللقاء والوفادة وكلمات الاطمئنان من جانب أفراد الحراسة الأردنيين .. ثم جاءت سيارة شرطة قامت بتوصيلهما إلى مدينة عَمّانْ وتسليمهما إلى السفارة المصرية هناك. حيث استقبلهما أحد المسئولين بها وأكرم وفادتهما وبعد أن استفسر منهما عن كل ما حدث معهما.. اصطحبهما إلى أحد الفنادق القريبة من مبنى السفارة للإقامة به لحين الانتهاء من إجراءات السفر ..

غادرا الأردن بالطائرة المتجهة فى رحلتها إلى القاهرة وقابلهما بالمطار مندوباً من المخابرات الحربية الذى أكرم وفادتهما وأبلغهما بوجهتهما ومكان إقامتهما الجديد بإحدى القرى المخصصة لإقامة المهجرين من أبناء سيناء والقناة. كانت تعتريهما مشاعر شتى من الحزن العميق على فراق الأهل والأحباب وترك الديار والرهبة والخوف من المجهول الذى ينتظرهما ولكن سرعان ما زالت كل هذه الأحاسيس والرهبة نتيجة المشاعر الدافئة التى استقبلا بها عند وصولهما إلى القاهرة وشعرا بأن أيدِ أمينة قد تولت مقاديرهما وأنهما قد أصبحا مرة أخرى بين الأهل والأحباب.

كانت هذه هى المرة الأولى التى يخرجان فيها من البادية، وكانا يتطلعان من نافذة السيارة التى كانت تشق طريقها عبر شوارع القاهرة وميادينها ومبانيها الشاهقة الارتفاع وشوارعها الواسعة المزدحمة بالسيارات والمارة من البشر، المملوءة بالحياة .. وقد ملأتهم أحاسيس ومشاعر فياضة إلى أن خرجت السيارة من زحام المدينة وظلت تسير بين المساحات الخضراء التى تغطى الأرض بالزراعات المختلفة والفلاحين يكدحون منهمكين فى العمل فى حقولهم ما بين الزراعة والرى والحرث فى همةٍ ونشاط لمواصلة درب الحياة والعيش. وابتسم يونس فى نفسه وأيقن فى قرارة نفسه بأن هذا الشعب المؤمن بقضاء الله وقدره الذى يعشق الكفاح والحياة لن تؤثر فيه الهزيمة، ولن يستسلم لها وسوف يتغلب على هذه المحنة الحزينة وسَيُكتَب له النصر بإذن الله .. حتى وصلا إلى محل إقامتهما بالقرية وسرعان ما توافد بعض الجيران إليهما للترحيب بهما وإحضار بعض الطعام كعادة أهل البادية فى الود والتواصل فى مثل هذه المواقف.

بعد انقضاء أسبوعٍ واحد كان يونس متلهفاً للمشاركة فى أى عمل لبلده، كعادته دائماً، فقام من نومه مبكراً متوجهاً إلى القاهرة للذهاب إلى المقر المؤقت لمحافظه سيناء، وهناك قدم نفسه للمسئول بالمحافظة ومعه الأوراق التي سلمها له مندوب المخابرات الحربية.. وبعد فترة لم تدم طويلاً خرج إليه المسئول وسلمه خطاب تعيين له بأحد المدارس الابتدائية القريبة من قريته، وتمنى له التوفيق فى عمله الجديد.. فشكره يونس كثيراً وعاد متجهاً إلى قريته، وما أن طرق ألباب وفتحت له زوجته حتى وجدته سعيداً ممتلئاً بالحيوية والبِشر فأيقنت خيراً.. فقامت على الفور لتعد له طعام العشاء، وبعد أن انتهى من طعامه ، أخذ يحكى لها كل ما حدث معه وما قابله وشعوره بأن الحياة بدأت تشرق من جديد.

فى هذه المدرسة التى يرتفع عليها ويرفرف فوقها العلم المصرى عالياً بدأ يونس عمله وفى نفس الوقت نال حب وتقدير كل من يتعرف عليه ويتعامل معه من زملائه المدرسين..

كان يونس بطبيعته وقوراً رزيناً، محدد الهدف قوى الإرادة لا يعرف أنصاف الحلول يبنى حياته على الصدق والصراحة والتقدم بثبات نحو الهدف .. هكذا تعلم من أبيه رحمه الله، وقد ساعدته شخصيته الثابتة فى حياته القادمة بعد ذلك عندما وقع عليه الاختيار لخدمة الوطن المفدى.

تساقط الظلام رويداً رويداً من الأفق البعيد على قرية المهجر التى يقطنها يونس، وقد غربت الشمس من وراء الأفق وثمة نسمة باردة تهب بعد يوم اعتدلت فيه حرارة الجو الربيعي فى إبريل.. ودخل يونس فى هذا المساء إلى البيت حاملاً بعض الكراسات لتصحيحها.. بينما جلست زوجته المحبة والمخلصة إلى جوارة على بساط على الأرض تعد له بعض الطعام على موقد الكيروسين البسيط.. وقد ارتدت ملابس خفيفة أظهرت زينتها من ورائها عسى أن يهتم قليلاً بمشاعرها وعواطفها نحوه لكنه كان قد جلس أمام منضدة صغيرة واطئة وقد افترش الأرض الرطبة على حصيرة متواضعة من البلاستيك.. وعلى ضوء مصباح الكيروسين أخذ يونس يشغل نفسه بتصحيح بعض الكراسات.. ثم يقوم إلى راديو موضوع على رف مثبت بالحائط للاستماع ومتابعة العمليات العسكرية الدائرة على جبهة القتال فى اهتمام شديد. وكانت سالمة تشغل نفسها بمجرد النظر إليه خلسة من آن لآخر فى إعجاب، فقد كانت بحس المرأة والأنثى ترغب فى الاستقرار وتكوين أسرة وتحلم بإنجاب طفل يملأ عليها فراغها ويضفى روح البهجة والمرح على هذه الحياة القاسية التى فرضتها عليهما حياة الغربة والحرمان من الأهل والأحباب. وبعد أن انتهت من إعداد الطعام جلسا متجاورين لتناول الطعام فى سكون، كلاً منهما يسرح بعمق فى بحر أفكاره وآماله.

وبدأت أولى خطوات عملية التجنيد

فى صباح الثالث والعشرين من يونيو من هذا العام وأثناء الإجازة الصيفية التى خطط لها فى خدمة هذه القرية المهاجرة ، وأثناء وجودة بالمدرسة جاءه ناظر المدرسة والأسى والحزن يعتصر قلبه والكآبة ترتسم على وجهه وناداه من بعيد .. ثم أخذ بيده إلى داخل مكتبه .. فأثار ذلك اهتمام الزملاء الذين كانوا يجلسون معه فى حديقة المدرسة بين الزهور والورود الملونة .. وسأله الناظر عن أحواله وهل يحتاج إلى خدمة أو معونة ، واندهش يونس من فعل الناظر الذى كان يتحدث ويتحرك فى ارتباك واضطراب ظاهر وقلق واضح ، ثم مد الرجل يده إلى خطاب على مكتبه فسحبه فى بطء وقدمه إليه ، ثم قال له أثناء قراءة يونس للرسالة بأن هذا الخطاب قد ورد للمدرسة اليوم من الإدارة التعليمية تعلن فيه قرار بنقلك إلى مدرسة بالقاهرة .. وأبدى للناظر دهشته وتعجبه من غرابة هذا القرار. وأصابه الارتباك والاضطراب وأعرب عن غرابة اتخاذ هذا القرار .. وشكا للناظر ما فى نفسه من قلق وقلة حيله فهو حديث العهد بهذه المنطقة، وقد بدأ يعرف الناس هنا ويعرفونه يحبهم ويحبونه فأكثرهم من المهاجرين من مناطق القناة وسيناء .. إن مأساتهم واحدة وأهدافهم محدودة وهى العمل هنا لآجل معلوم يعلمه الله حتى يأذن الله تعالى لهم بالعودة إلى ديارهم وأرضهم. وأبدى له بأن مثل هذا النقل المفاجئ سوف يسبب له ولأسرته هنا - زوجته - قلقاً واضطراباً شديداً فى أحوال معيشتهم .. وفى الحقيقة أن الناظر كان من أشد المتعاطفين معه وقد نصحه بالتوجه إلى مقر محافظة سيناء بالقاهرة ويحاول مقابلة مدير الإدارة التعليمية هناك ويشرح له ظروفه ويلتمس إعادة النظر فى قرار أو أمر النقل ، فهو يعرفه جيداً بأنه إنسان على خلق رفيع ومن أبناء سيناء من مدينة العريش وهو على علم بالأحوال الصعبة التى يعيشها أبناء سيناء فى حياة المهجر .. وقد أيد هذا الرأى بعض زملائه بالمدرسة..

عاد يونس إلى منزله مرة أخرى فى الصباح على غير عادته وهو مكفهر الوجه عابس الجبين كغير عادته فانزعجت زوجته عند رؤيتها له وتوجست أن يكون قد أصابه مكروه، وكانت أثناء دخوله تشغل نفسها فى أعمال المنزل فاندفعت إليه تسأله بلهفة عما به وعن سبب حضوره مبكراً هكذا .. فأبلغها بأنه قد صدر قرار بنقله للعمل بمدرسة بالقاهرة .. رغم أن المسئولين بالتربية والتعليم قد ارتاحوا لوجوده هنا وعمله فى هذه المدرسة القريبة من سكنه!! ثم جلس حائراً لا يعرف ماذا يفعل .. بينما أصابت الدهشة والصدمة المفاجئة قلب زوجته .. ومن شدة الدهشة لم تستطع النطق.. وظلت تتحرك من حوله فى تفكير عميق يكاد يحطم عقلها المكدود، بعد لحظات بدأ يونس يحدث نفسه بصوت مسموع: ماذا أفعل ؟ كيف أتصرف ؟ كيف أعيش فى القاهرة وحدى وأترك زوجتى هنا وحدها ؟ كيف سنواجه تكاليف المعيشة المرتفعة فى العاصمة ؟ كيف سندبر المسكن المناسب الذى لا يتلاءم مع هذا الدخل القليل ؟ وكانت هذه الزوجة العاقلة المؤمنة تحاول التهوين عليه والتثبيت من إيمانه بالله وتطلب منه ألا يقنط من رحمه الله وأنه سبحانه سيرعانا كما رعانا أيام المحنه التى كنا نعيشها فى سيناء وظلت تهدى من روعه وتذكره بما كان يردده فى مجالسة لزملائه وإخوانه بأنها أيام معدودات هى التى نعيشها فى المهجر وأن العودة إلى الديار باتت قريبة وقد نجحت فى تهدئة انفعالاته.. وبعد لحظات صمت غير قليل قال لها يونس: إننى سأذهب غداً بمشيئة الله تعالى إلى القاهرة .. وسوف أحاول مقابلة مدير الإدارة التعليمية وسأشرح له ظروفى وسأطلب منه العمل على إيقاف أمر النقل.

أشرقت شمس يوم جديد عليه وهو فى طريقه إلى القاهرة وقد شغل نفسه طوال الرحلة وأثناء ركوبه الأتوبيس بالتفكير بما سيقوله وما سيفعله عند مقابلته للمسئولين وكيف سيدير دفة الحوار معهم لإقناعهم وكسب تعاطفهم مع مشكلته وتطرق تفكيره إلى كيفية طلب مقابلة السيد المحافظ

إذا تعثرت محاولاته لإلغاء الأمر وكيف سيذكره بوالده وبنفسه وظلت هذه الأفكار وتلك الهواجس تتقاذفه حتى وصل إلى مدينة القاهرة واستطاع الوصول إلى مدير الإدارة التعليمية الذى قابله فى مكتبة بحفاوة بالغة وترحاب قضت على كل توتر وأزالت كل قلق فى نفسه، واستمع المسئول إلى يونس باهتمام شديد ثم كلف أحد مساعديه بمتابعة قرار النقل الخاص بيونس وبعد دقائق مرت كأنها ساعات على صدر يونس عاد الموظف ليهمس فى أذن المدير الذى استدار ليونس يعتذر له بأدب بأن هذا القرار قد تم بناء على توصية من ديوان المحافظ ونصحه بالذهاب إلى هناك، ثم أعطاه بطاقة ستمكنه من مقابلة سكرتير المحافظ الذى سيقوم بعمل اللازم فشكره يونس واندفع مسرعاً إلى مكتب المحافظ وتمكن من مقابلة سكرتير المحافظ بواسطة البطاقة التى معه وبنفس الترحيب والحفاوة والاهتمام استمع الرجل إليه بإصغاء تام.. وعندما انتهى يونس من عرض مشكلته.. صمت الرجل قليلاً ثم أخبره بأنه سيقوم بعرض طلبه على المحافظ ووعده بتحديد موعد له لمقابلة المحافظ وطلب منه الحضور بعد يومين لمقابلته.

وصل يونس إلى قريته وأسرع الخطى للوصول إلى منزله وما أن رأته زوجته متهللاً ترتسم على وجهه علامات السعادة استبشرت خيراً وحمدت الله على أن هذه الغمة قد انزاحت، وقد بادرها بأنها إن شاء الله فى طريقها إلى الحل وأبلغها بأن الله تعالى قد وفقه فى مسعاه فى القاهرة وأنه سيقابل المحافظ شخصياً بعد يومين..

طارت الزوجة من الفرح و كانت تحيطه بذراعيها وهو يخلع ملابس الخروج وقد أسعدها هذا الخبر كثيراً بعد أن كادت تنفطر من شده الحزن قبل مجيئه.. ودعت له من قلبها الطيب بالتوفيق والاستقرار.. وأسرعت تجهز الغذاء بينما أخذ يونس يرتدى جلبابه ويستلقى على ظهره فوق السرير.

كان يونس فى ديوان المحافظة قبل الموعد المحدد له بنحو الساعة.. ودخل مكتب سكرتير المحافظ فقابله الرجل كعادته بكل أدب ورحب به ترحيباً حاراً صادقاً وأخذ يتجاذب معه أطراف الحديث فى موضوعات شتى حتى يخفف من انفعاله ويهدئ من روعه وارتباكه.. عند حلول موعد المقابلة قام الرجل من على مكتبه مستأذناً ثم توجه إلى هذا الباب المغطى بالجلد ذى اللون الأخضر ودفعه بخفه واختفى قليلاً وراء هذا الباب فى المكتب المجاور.. وبعد دقائق ظهر مرةً أخرى وعلى وجهه ارتسمت ابتسامه الأمل وأشار إلى يونس بيده بكل أدب أن يتفضل بالدخول وظل واقفاً مكانه فاتحاً له الباب حتى دخل..

وجد يونس نفسه فى مكتب كبير له ستائر خضراء تتدلى على النوافذ الطويلة ووجد فى مواجهته مباشرةً السيد المحافظ واقفاً وراء المكتب يمد إليه يده مرحباً به فى حفاوة فتقدم منه يونس فى خطوات وجله وقد انتابته مشاعر الخجل لحظه وهو يمد يده له بالمصافحة.. كان محافظ سيناء رجلاً عسكرياً مهيب الطلعة ثاقب النظرة طويل القامة وقوراً هادئ الطبع محبوباً من أهالى سيناء الذين عمل بينهم لسنوات عديدة.. ثم وضع الرجل يده على ظهر يونس يربت عليه بحنان واصطحبه إلى ركن الحجرة به بعض الكراسى الوثيرة وأشار إليه بالجلوس وأخذ يسأله عن أحواله وأحوال أسرته وقدم إليه التعازى فى وفاة والده ثم حضر أحد السعاة فطلب منه أن يحضر لهما القهوة ثم استطرد الرجل فى الاستفسار منه عن أحواله فى المهجر وكيفية معيشتهم فيها . ثم وعده بأنه سيقوم بعمل الترتيبات اللازمة لزيارتهم، ثم طلب منه أن يحكى له مشكلته .. لم يلحظ يونس منذ دخوله إلى مكتب المحافظ وجود شاب فى الثلاثين من العمر يرتدى بدله صيفية فاتحه اللون وذلك لأنه كان مشدوداً إلى شخصية المحافظ فلم يكن يشعر بما يدور حوله .. واسترسل يونس فى سرد مشكلته وشرح الأعباء المادية التى سيتكبدها فى حالة نقله إلى القاهرة .. ولم يعبأ يونس بوجود

هذا الشاب ذى الملامح الحادة الذى كان جالساً فى المقابل منـه، وكـان يونس يختلس النظر إليه أثناء حديثه مع المحافظ من آن لآخر ولاحظ أنه لم يرفع بصره عنه طوال هذه الجلسة وقد شدته نظراته الثاقبة إليه ..كانت دقات ساعة الحائط تدق لتعلن تمام الثانية عشرة ظهراً وقد انتهى يونس من سرد مشكلته ثم طلب من المحافظ مساعدته فى إلغاء أمر النقل هذا حتى يتمكن من مواجهة الأعباء التى استجدت عليه منذ رحيله من سيناء هو وزوجته وترك أهله وعشيرته ودياره إلى مكانه بأرض المهجر.

أطرق المحافظ برأسه إلى الأرض لفترة غير قليلة مستغرقاً فى التفكير، ثم رفع رأسه متوجهاً إلى يونس بكلامه بنبرات هادئة متزنة وأخذ يشرح له عمليات التنقلات التى تتم فى كافة قطاعات الدولة ومدى أهميتها وذلك لضمان استمرار دوران عجلة العمل والتنمية بصورة منتظمة وضرورة دفع دماء جديدة تعمل على رفع كفاءة العمل .. وأن كل وزارة لها ظروفها فى طريقة القيام بعمليات التغيير والتبديل بين موظفيها لأنها على علم بمعرفة مدى احتياج كل قطاع من القطاعات من الكفاءات المطلوبة لإدارته بصورة سليمة ولولا أنك من المدرسين المتميزين وقد أحرزت كفاءة عالية فى هذه الفترة البسيطة من وجودك فى هذه المدرسة وتقاريرك الموجودة فى ملفك الموجود على مكتبى والتى وضعها لك رؤساؤك والمشرفون عليك خلال المدة التى قضيتها بينهم تدل على أنك تتمتع بحب تلاميذك واحترام زملائك وتقدير رؤساؤك لك وتدل على إخلاصك فى أداء رسالتك التعليمية.. هذه العوامل هى التى رشحتك للترقى والنقل إلى مكان يمكن منه تحقيق استفادة كبيرة من مجهوداتك .. وكذلك يتحقق لك أيضاً ما تتمناه من توصيل رسالتك النبيلة بالعمل مع هؤلاء الطلبة المتفوقين ..

كان يونس قد وصل إلى حالة من التوتر والقلق، فقد كان كلام المحافظ يوحى بشيء بغير الذى كان يتمناه أو يتوقعه، وكان يونس واثقاً منه وعاقداً عليه الآمال فى إلغاء أمر النقل .. فلم يستطع صبراً وقاطع المحافظ ورجاه بأن يتدخل ويقوم بإلغاء النقل وسيكون له من الشاكرين.. ولكن المحافظ بادره فى أدب وهدوء بأن المحافظة ليس لها أى سلطة على الوزارة فى عمليات النقل بين المدارس فى المحافظات المختلفة .. وأن هذا من اختصاص الوزارة، حسب العجز والزيادة وأنه يأسف لعدم تمكنه من القيام بعمل إيجابي لحل مشكلته.

ظهر الإحباط واليأس على قسمات وجه يونس وبدأ العرق يتصبب على جبينه .. فقد كان هذا آخر أمل له فى حل مشكلته ثم نهض بصعوبة واقفاً على قدميه واستأذن المحافظ فى الانصراف .. وقدم له واجب الشكر على استقباله له ثم هَمَّ بالتحرك بصعوبة نحو باب المكتب منصرفاً .. وهنا سمع المحافظ يبادره بقوله: على فكرة نسيت أن أعرفك بالأخ الرائد " أبو خالد " من إدارة المخابرات الحربية، وأشار بيده إلى ذلك الشاب الجالس بمعقده فاستدار يونس تجاهه ماداً إليه يده لمصافحته فقام أبو خالد له وحيَّاه بحرارة ودفء بالغ بينما استرسل المحافظ فى كلامه له قائلاً :على فكرة سيادة الرائد معرفة قديمة، فقد كنت قائدة أثناء الخدمة وكان فى زيارة لى قبيل مجيئك وعرضت عليه مشكلتك فوعدنى خيراً بأن إدارة المخابرات الحربية يمكنها أن تتدخل للمساعدة فى إنهاء مشاكلك وحلها .. وهنا استبشر يونس خيراً وارتسم الأمل على وجهه وسرت الدماء فى خدوده وعروقه من جديد .. وقدم الشكر للرائد الذى وعده مؤكداً بأنه سيقوم باتخاذ اللازم نحو إنهاء هذه المشكلة، وطلب منه مقابلته فى مبنى المحافظة بعد أسبوع من الآن وانصرف يونس شاكراً لهما حسن صنيعهما. بعد انصراف يونس قام الرائد وقدم شكره للمحافظ

على الطريقة اللبقة التى أدار بها هذا اللقاء وتمنى له المحافظ التوفيق فى مهمته. خرج الرائد وهبط درجات سلم المبنى وهو يمنى نفسه بصنع بطل مصرى جديد ينضم إلى قائمة الأبطال الذين يقوم بتأهيلهم معه لنيل شرف العمل مع المجاهدين فى مقاومة الاحتلال والمشاركة فى تحقيق النصر بإذن الله. لم يكن يونس يدرى بأن كل الذى جرى معه قد تم تدبيره بعناية وإحكام.

انصرف يونس إلى القيام بروتين حياته المعتادة فى قريته ولكن هذه المقابلة كانت تشغل تفكيره وخاصة هذا الرائد، فبالرغم من أن مقابلتهما لم تكن طويلة ولكنه شعر بهزة شديدة فى أعماقه تدفعه بعمق إلى الانجذاب إلى شخصيته المميزة، فقد شعر بحسه التلقائى بأنه إنسان صادق مخلص وأن أمراً ما سيجمعهما ولكنه لا يستطيع أن يعرف ما هو، لم تكن مشكلة نقله هذه تشغل ذهنه وأنصرف عن التفكير فيها. ولكن الذى يشغل كيانه حالياً هو هذا الرائد بشخصيته الفريدة التى جعلته ينجذب إليه بقوة فى هذه الفترة البسيطة وهذا الإحساس الغامض الذى سيطر عليه وجعله يستعجل مرور الأيام ليقابله مرة أخرى. فقد انجذبت على الفور أحاسيسهما الصادقة المخلصة إلى بعضهما البعض فأوجدت لديه هذا الشعور الدفين الذى جذبه إليه.

فى الموعد المحدد كان يونس فى ديوان المحافظة يجلس على مقعد خشبى شارد الذهن .. وجاء شاب فى نفس سنه ليجلس إلى جواره ثم مال عليه الشاب وقال بصوت هامس: أنت الأخ يونس؟.. فالتفت إليه فى دهشة وقال : نعم ..فقال الشاب مقدماً نفسه فى همس واضح : أنا سليمان من إحدى قبائل الشمال .. فاستدار إليه يونس فى اهتمام وسأله عما إذا كان يعرف أحداً من أبناء مدينة العريش .. فلم يجب الشاب على سؤاله، وإنما أخبره بأنه مرسل من قبل الرائد أبو

خالد .. وطلب منه أن يتبعه إلى خارج مبنى الديوان، فتبعه يونس فى حركات مضطربة، لكن سرعان ما تحولت حركته إلى خطوات رشيقة وآمال عريضة وهبطا معاً درجات سلم المبنى من باب خلفى دون أن يلاحظ أحداً من الموظفين الذين يملئون المكاتب والذين يدخلون إلى المبنى لقضاء مصالحهم الشخصية ذلك الأمر.

وداعاً حياة الاستقرار

كانت هناك سيارة ميكروباص سوداء تقف فى انتظارهما بداخلها سائق يرتدى ملابس مدنية، عيناه لامعتان وشعر رأسه وشاربه قد اختلط فيه البياض والسواد، يجلس وراء عجلة القيادة فى ثبات وثقة بالنفس .. حتى إذا ركبا أشار إليه سليمان بالتحرك من شارع خلفى .. وقد غطت الستائر الداخلية كل نوافذ السيارة، فلم يرى يونس شيئاً من الطرق والشوارع التى سارت بها السيارة المسرعة .. ولم يتحدث أحد معه .. سواء كان سليمان الشاب الذى أخذه واصطحبه إلى السيارة أو السائق الماهر الذى يقود السيارة فى براعة ومهارة فائقة، وكان بالسيارة جهاز لاسلكى يسمع منه على فترات متقطعة بعض النداءات الكودية الغير مفهومة صادرة من بعض نقاط المراقبة .. لكنها أصوات تنطق بألفاظ غير مفهومة بالنسبة ليونس الذى علا الخوف عينيه وغطى القلق ملامح وجهه ..

توقفت السيارة الميكروباص فى شارع ضيق ونزل منها الشابان.. ووجد يونس نفسه داخل مبنى قد تم تصميمه بذكاء، محاط بسور عال إلى حد ما .. ورأى بعض الأفراد يرتدون الملابس المدنية.. وقد تقدمه سليمان فى سيره إلى ممر طويل حتى وصلا إلى أحد الغرف، فطرق سليمان باب هذه الغرفة طرقات خفيفة بيده ثم دخلا فوجد يونس الرائد أبو خالد يجلس

وراء مكتبه فى انتظاره، وكان فى هذه المرة مرتدياً الزى العسكرى، وعندما رآهما وقف من وراء مكتبه واتجه ناحيته يمد يده إليه لمصافحته مرحباً به بحرارة ثم أجلسه إلى جواره على أحد المقاعد الجلدية فى ركن من الغرفة .. بينما قام سليمان بتأدية التحية العسكرية وانصرف وأغلق الباب من خلفه فى هدوء وكان الوقت نحو العاشرة صباحاً .. وكان هذا المبنى هو أحد المبانى التى كانت تتم فيه المقابلات السرية.

أخذ الرائد يتجاذب أطراف الحديث مع يونس كأنه يعرفه منذ زمن طويل وأخذ يطمئن منه عن أحواله وكيفية معيشته فى قريته بالمهجر، وأخذ الرائد يخفف عنه بأن هذه الأوضاع مؤقتة تمر بها الدولة بكافة قطاعاتها وإن شاء الله قريباً ستعودون إلى الديار ويجتمع شمل الأسر مرة أخرى .. ثم أخذ الرائد يستفسر منه عن أحوال أسرته بالداخل _ سيناء _ وعن والدته واخوته وتطرق الحديث إلى ابن عمه وزوج شقيقته الشيخ سويلم الذى تولى الشياخة بعد والده .. وتعجب يونس كيف استطاع هذا الرجل أن يعرف الكثير عنه وعن أسرته الموجودين فى سيناء رغم أنه لم يقابله ولم يعرفه من قبل .. وكان يرد عليه بأنه لا يعرف شيئاً عنهم وقد انقطعت أخبارهم عنه منذ أن غادر سيناء إلى قريته الجديدة .

بعد دقائق قليلة طرق الباب ودخل شاب صغير السن فى ملابس عسكرية أنيقة ووقف إلى جوار الباب .. فسأل الرائد يونس عن مشروبه المفضل ولكنه كان شارد الذهن بعيداً تتقاذفه أمواج الحيرة والقلق ولاحظ الرائد ذلك فطلب من الجندى أن يحضر لهما قهوة . وعاد الرائد ليواصل أسئلته قائلاً : وماذا عن زوج أختك الشيخ الجديد؟ فأجاب يونس فى تلقائية : لا أعرف عنه شيئاً ولكن هل حضرتك تعرفه ؟ فقال الرائد مبتسماً وهو

يرجع إلى الوراء.. نعم أخباره عندنا أول بأول .. وهو الآن قد أصبح شيخاً للقبيلة.

وجاءت لحظه صمت شك فيها يونس أنه هو الذى قد أبلغ عن مجموعته الفدائية.. وشعر الرائد بذلك فقال: ولكن أحب أن أطمئنك وأزيل الشكوك التى تعتمل فى صدرك نحوه.. إنه ليس الذى أبلغ عن مجموعتكم للسلطات الإسرائيلية.. ودعنا لا نستبق الأحداث وكل شئ ستعرفه فى حينه.. واعلم بأننا نعلم الكثير عنهم ولكننا لم نسكت بل ننتظر ونتريث ولنا أسبقيات وأولويات وكل شئ له توقيته.. ولكن زوج شقيقتك الشيخ سويلم قد تم تعيينه بواسطة السلطات الإسرائيلية ليكون شيخاً للقبيلة خلفاً لوالدك الشهيد.

نزلت هذه الكلمات وتلك الأخبار على قلب يونس برداً وسلاماً كالماء الرطب الذى أنعش سريرته من الداخل وظهرت عليه آثار الراحة التى لم يذق لها طعم منذ حادث فراره من الديار بالداخل حتى الآن.. لقد انزاح هذا الكابوس الثقيل الذى كان جاثماً على صدره أياماً وليالى طوال.. فالشك كاد أن يقتله، وكان يحاول أن يبعده عن صدره باستمرار لأنه لم يكن يُصدق أن ابن عمه وزوج شقيقته الذى تربى من خير هذه الأرض و ترعرع تحت سمائها ونهل وتعلم أخلاق البدو منذ نعومه أظفاره، والانتماء إلى القبيلة، و الانتماء إلى الوطن.. أن ابن عمه من أجل حفنة من الأموال أو من أجل سلطة زائلة يخون شرفة وشرف القبيلة ويبلغ عنه وعن مجموعته لسلطات العدو ؟..

الحمد لله والشكر لله .. قالها يونس فى قرارة نفسه ونظر إلى أبو خالد بإعزاز وتقدير وشعر بأنه أمام رجال لا يضيع الحق

بينهم .. رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. يتناولون كل شئ بالعلم والمعرفة .. أعمالهم تؤكد الصدق والثقة في التعامل معهم..استطرد أبو خالد في كلامه .. وكان يقص عليه كل ما حدث مع مجموعتهم بالداخل وأن السلطات الإسرائيلية توصلت إلى مكان المحطة اللاسلكية في العريش .. و ألقت القبض على بعضهم وتمكن الباقون من الفرار وما زالوا مختفين بالداخل بينما وصل البعض الآخر منهم إلى وادى النيل.. ثم طمأنه على أسرته بالداخل وكذلك على والدته وعلى أسرة عمه والد زوجته.. ثم تطرق الحديث بينهما وتشعب إلى موضوعات شتى مما ساعد على رفع الكلفة بينهما شيئاً فشيئا حتى شعر يونس بأنه يتحدث إلى صديق يعرفه منذ زمن قديم..

كانت ثمة ريح باردة تهب رغم حرارة الجو الشديد في هذه الشهور من السنة – شهور الصيف – وكانت تداعب ستارة شباك زجاجى بهذه الغرفة، وشعر يونس بالثقة الزائدة التى كان يحدثه بها الرائد أبو خالد والمعلومات الغزيرة التى لديه عن كافة الأوضاع و الأحداث التى تحدث بالداخل والتصميم القوى على عدم الاستسلام للهزيمة، والتجهيز للمعركة القريبة لاسترداد الأرض المغتصبة، فكان يستمع بإصغاء تام حتى أنهما لم يشعرا بالوقت الذى يمر ولم ينتبها إلا عندما طرق الباب ودخل جندى أسمر طويل القامة واستأذن أبو خالد وأخبره بموعد الغذاء .. وهل سيتناول الغذاء في المكتب كالعادة !!

التفت الرائد أبو خالد باستغراب إلى يونس وقال : الوقت سرقنا ولابد أن تتناول طعام الغذاء معى لكى يكون بيننا عيش وملح فشكره يونس ثم التفت أبو خالد إلى الجندى وطلب منه أن يحضر غذاء لاثنين هنا في المكتب وبعد أن تناولا الغذاء وكان

الحديث ممتداً ومشوقا حتى أثناء تناولهم الطعام وبعد أن فرغا منه حمدا الله على نعمته وحضر نفس الجندى بعد قليل وقام برفع الأطباق من على طاولة صغيره كانا يجلسان إليها .. وطلب منه أبو خالد أن يحضر لهما الشاى .. أثناء تناول الشاى قام الرائد بشرح الموقف العام على جبهة القتال ثم قام بشرح موقف العدو بالداخل فى عمق سناء وأهمية وجود عناصر تعمل معنا فى عمق دفاعات العدو وبين صفوف ووحدات القوات الإسرائيلية للإبلاغ عن نشاط وتحركات وأوضاع القوات الإسرائيلية .. وأن هذا العمل الشاق وهذه المهام الجسام تتطلب عناصر تتسم بالصلابة والصبر .. تؤمن إيماناً تاماً بالقضية والتضحية بالنفس والنفيس من أجل الوطن ولابد من أن نعمل فى كافة الجبهات لطرد هذا العدو الغاصب .. حتى لا يهنأ بما حققه ..ويعرف بأن الأمن الذى يَدَّعِيه بعيد المنال ما دام يحتل الأرض ، ولن يتحقق ذلك إلا بالشباب الوفى المخلص المجاهد من أبناء سيناء أصحاب هذه الأرض.

كان أبوخالد أثناء توجيهه لحديثه إليه يتفقده بنظرات ثاقبة للوصول إلى أغوار نفسه ليهز المشاعر الوطنية الدفينة فى أعماقه، وعندما اطمئن إلى نجاحه فى تحقيق ذلك، وعندما قرأ بوضوح علامات التأثر والانفعالات الجياشة التى ظهرت على قسمات وجه يونس .. اعتدل فى جلسته وقال له فى هدوء: اعلم بأنك كنت تحت أعيننا طوال هذه المدة، ونحن نعرف كل شيء عنك بأنك شاب وطنى مخلص متحمس للذود عن تراب هذه الأرض وأننا جميعاً لابد أن نتعاون فى كافة المجالات التى فى النهاية تخدم القضية وتؤدى إلى تحرير الأرض المغتصبة، وأننا نرى أنك أصلح هذه العناصر للعمل معنا فى هذا المجال، ثم

استطرد قائلاً بعد فترة قليلة من الصمت .. واعلم أن هذا العمل به خطورة وتعب ومشقة عليك ولذلك سأعطيك فترة للتريث والتفكير وأنا لا أطلب منك أى رد الآن .. استرخى يونس فى مقعده وأخذ فى تجميع شتات نفسه المبعثرة.. فقد ساقه قدره إلى أن يتمكن من تحقيق أمنية تراوده من فترة طويلة .. ولكن كانت تعتمل فى صدره استفسارات وأسئلة كثيرة .. ولكنه فضل إرجاءها إلى حينه.. ثم استجمع نفسه وعقد العزم ونهض من جلوسه واقفاً باعتدال أمام الرائد كأنه جندى وقال له: إننى أشكركم كثيراً على تحقيق أمنية غالية كنت أتمنى تحقيقها دائماً وهى المشاركة فى الدفاع عن الوطن وتحرير الأرض المغتصبة وأرجو أن تعتبرنى منذ هذه اللحظة جندياً مخلصاً من جنودك .. فى هذه اللحظة اطمأن قلب يونس فقد صدق إحساسه الذى كان يشعر به بعد مقابلته الأولى للرائد فى المحافظة بأن شيئاً ما سيجمعهما معاً، وقد حدث ذلك وصدقت فراسته.

صمت أبوخالد مشدوها لفترة فلم يكن يتوقع من يونس أن يستجيب له بهذه السرعة والتلقائية على الرغم من مصارحته وتوضيحه له بأن هذه الأعمال تكتنفها الخطورة والمشقة على النفس فى تنفيذها. ولكنه سيطر على مشاعره بسرعة ونهض من جلسته مادا يديه إلى يونس وإندفعا فى عناق حار فى تعبير صادق عن الحب والفداء لوطننا الغالى فقد هدأت سريرته وغمره شعور فياض بالرضا والإقتناع بحسن اختياره - وغمرته السعاده بأن مجهوداته قد كُلِّلت بالنجاح فى كسب بطل جديد سينضم إلى باقى أبطاله.

مرت فترة غير قصيرة بعد أن هدأت المشاعر .. طلب الرائد من البطل يونس صالح ضيفه فى هذه اللحظات أن يعتبر

نفسه من الآن جنديا تحت تصرف القوات المسلحة وسيتم عمل ترتيبات سوف يبلغها له فى حينه .. وطلب منه أن يكون حريصاً من هذه اللحظة فى كافة علاقاته مع أصدقائه وجيرانه وزملائه، وكذلك زوجته وألا يبوح لأي إنسان حتى زوجته بما تم معه وذلك حفاظاً على أمنه.. ثم دق جرسا بجانبه واستدعى مساعده " سليمان " الذى طلب منه أن يصطحب يونس إلى الاستراحة المخصصة لقضاء هذه الليلة نظراً لأن الليل قد أسدل أستاره وأوصاه بألا يسهر كثيراً وأوصى سليمان بأن يسهر على راحته وينفذ طلباته فشكره يونس ..

قبل أن ينصرفا الشابان أخبره أبو خالد بأنه سيلتقى به صباح غد بأذن الله للبدء فى استكمال الإجراءات وعليه أن يأخذ قسطاً وافراً من الراحة استعداد ليوم جديد حافل بالعمل .. وسار معه لمرافقته حتى ركب السيارة التى كانت تنتظره هو وسليمان عند مدخل المبنى لكى تقله إلى مبنى أخر مستقل ومجهز كاستراحة بسيطة ليقضى ليلته بها..

كان اختيار أبو خالد لهذا الشاب يونس يرجع إلى العوامل الآتية:

أولاً: أنه شاب متعلم متفتح ذهنياً يتمتع بذكاء فطرى .. ذو شخصيه قياديه استمدها من والده – شيخ القبيلة – ويتسم بالحكمة والتعقل وغير متسرع فى اتخاذ قراراته وتنبض دماء قلبه بوطنية صادقه..

ثانياً: أنه ينتمى إلى قبيلة من القبائل الكبيرة التى تحتل مناطق كبيرة فى سيناء منها المنطقة الممتدة جنوب العريش على المحور الأوسط وحتى بئر سبع .. وهذا المحور هام وحيوي لتحركات القوات الإسرائيلية القادمة من بئر سبع

والعريش فى اتجاه قناة السويس .. ويعتبر هذا المحور هاما للعمليات المستقبلية والمنتظرة لقواتنا.

ثالثاً : مكانة يونس بين أفراد قبيلته وحبهم واحترامهم له يتيح له حرية الحركة والاتصالات والعمل بسهولة فى هذه المناطق وكذلك إمكانية التنقل فى بعض مناطق جنوب سيناء وجبل الراحة شرق السويس ..وهى من المناطق التى بها امتداد لأفراد قبيلته، والتى ظهر وجود خبرة سابقة له بهذه المناطق.

رابعاً : أن زوج شقيقته يعمل حالياً شيخاً للقبيلة وله علاقات مع السلطات الإسرائيلية بوصفه شيخاً للقبيلة فمن المهم جداً لأعمالنا بالداخل محاولة استمالته إلى جانبنا وتحويل ولائه لنا .. وأن يونس بشخصيته هذه وإمكاناته أقدر فرد على القيام بذلك.

أما السبب الرئيسى من تجنيده للعمل مع المخابرات الحربية فقد كان بغرض دفعه إلى داخل سيناء واستغلال هذه الإمكانيات المتوفرة لديه فى تجنيد عدد من أقرانه من أفراد قبيلته لتكوين خلية سرية لجمع المعلومات عن نشاط العدو فى منطقة قبيلته على الطريق الأوسط وإيواء عناصر عسكريين من الاستطلاع خلف خطوط العدو من القوات المسلحة ومساعدتهم فى تنفيذ مهام لهم خلف خطوط العدو بالداخل.

تمت الترتيبات الإدارية اللازمة ليونس فى هذه الحالات وتم إعطاؤه رقم كودى " ٢٦٠ " الذى سيلازمه طوال فترة خدمته والذى لن يُعرف إلاّ به. استيقظ يونس فى صباح اليوم التالى مبكراً قبل شروق الشمس وحضر برفقة سليمان إلى مكتب أبو

خالد وكان ممتلئا بالحيوية والنشاط وروحه المعنوية مرتفعة فى عنان السماء وقد لاحظ أبو خالد ذلك لأول وهلة وأخذ يداعبه بقوله إن شكلك قد تغير عن أمس لدرجة أنني لم أعرفك وقلت أن سليمان أخطأ وأحضر شخصاً أخر .. وضحكا وأخذا يتبادلا القفشات المرحة فقد قضى يونس ليلة سعيدة رغم أنه لم يحظى بقسط وافر من النوم لما كان يشعر به من رهبة للموقف والمسئولية الكبيرة التى ألقيت عليه ثم قال الرائد أبو خالد وهو يصافحه بحرارة مهنئاً إياه بأنه من الآن أصبح عضواً عاملاً وزميلاً بالمجموعة التى شرفت بانضمام بطل إليها مع باقى الأبطال الذين سيقومون بتحرير الأرض .. ثم قام بتناول مصحف كريم من على مكتبه وتقدم من يونس وطلب منه أن يضع يده على المصحف وأخذ يردد قسم الولاء للوطن والعمل.. وكان يونس يعيد ترديد هذه الكلمات من بعده فكانت تخرج من أعماقه مفعمة بالقوة والصدق.

طلب منه الرائد أبو خالد أن يسافر إلى قريته فى إجازة لمدة يومين يقضيها مع زوجته مع تجهيز نفسه للاستعداد الجاد للتدريب الذى يبدأ عقب هذه الإجازة القصيرة .. وأخبره بأن يشيع بين زملائه وأصدقائه بأنه لم يستطع القيام بشيء بخصوص إلغاء النقل وهذا سيكون ساتراً مناسباً له لتغطية الفترات التى سوف يتغيب فيها عن القرية والتى سيقضيها فى التدريب بحجة البحث عن سكن ملائم ومناسب لظروفه الاقتصادية فى القاهرة للانتقال إليه مع زوجته للإقامة به بالقرب من مقر عمله الجديد.

أما يونس فقد نزل بالقرب من قريته بالمهجر وسار على طريق ترابى للوصول إلى منزله ..وكان الليل يسدل أستاره على هذه القرية الهادئة وكان سكانها من الرجال والنساء والأطفال قد ملؤا شوارعها

الساكنة بالحركة أثناء عودتهم إلى منازلهم بعد قضاء يوم طويل في العمل .. والكل يستعد لقضاء ليلته على طريقته.

كانت حياتهم بسيطة مستمرة على وتيرة واحدة .. إنهم أناس طيبون بسطاء تدور بهم عجلة الحياة وكلما مر يونس ببعضهم كانوا يسألونه بشوق وسعادة عن القاهرة فكان يجيبهم بنفس الشعور بأنه قد زار الحسين والسيدة وقرأ لهم الفاتحة داعياً لهم بالعودة سالمين إلى ديارهم الحبيبة .. ثم وصل إلى بيته المتواضع فوجد زوجته بانتظاره واندفعت إليه في لهفة تحيطه بالشوق والحنين ، تريد أن تعرف أخباره قائلة له بأنها كانت دائمة الدعاء له بالتوفيق وأن هذه الأوقات التي مرت عليها بدونه كانت ثقيلة كالدهر .. وأخذت تساعده في خلع ملابسه ثم تقوم بتعليقها بعناية وأحضرت له جلباباً نظيفاً لكي يلبسه وفي أثناء ذلك كانت تتفرسه بعين الأم الحانية فوجدت هدوءاً وسكينة تملأ أساريره مما جعلها تطمئن قليلاً رغم سكوته وعدم إفصاحه بأي شئ منذ وصوله ..

قامت الزوجة على الفور إلى موقد الكيروسين البسيط لإعداد الطعام في نشاط، فقد كانت تقوم بإعداد الطعام وتنتظر في لهفة وشوق وصوله.. ويمر الليل طويلاً ثقيلاً دون أن يحضر ، وكانت يدها لا تقوى على أن تمتد لتتناول من هذا الطعام شئ دون مشاركته لها كعادتهما معا.. فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يتغيب عنها منذ وصولهما إلى هنا .. وبعد أن انتهت من إعداد الطعام على مائدة صغيرة لم تشأ أن تحدثه أو تسأله عن أي شئ بخصوص هذا النقل أو ما فعله في القاهرة طوال هذه المدة حتى لا تفسد شهيته المفتوحة والتي لاحظتها في طريقة تناوله للطعام وذلك على غير عادته من قبل واطمأنت في قرارة نفسها فكل ما تتمناه هو أن يخرج زوجها من هذه المحنة النفسية التي ألمت به.

فرغ يونس من طعامه، وحمد الله وشكره على نعمائه .. ثم توجه إلى السرير وتمدد عليه وبعد فترة صمت وبينما هى منهمكة فى رفع بقايا الطعام أخبرها بصوت هادئ مملوء بالسكينة بأن أمر النقل لابد أن ينفذ لأنها ترقية له ولها مزايا مادية ومعنوية فاستغربت الزوجة لهذا التناقض فى تصرفه ولكنها استشعرت الهدوء والراحة فى كلامه.. ثم أخذت تسأله عن كيفية الإقامة فى القاهرة وعن مصير هذا المنزل فى القرية وعن موعد الانتقال إلى القاهرة .. فكانت إجابته بأنه اتفق مع صديق على تدبير مسكن مناسب غير مكلف لإقامته هذه الفترة لحين البحث عن سكن دائم للانتقال إليه معا وأنه خلال هذه الفترة سوف يحضر إليها للاطمئنان عليها على فترات حسبما تمكنه ظروف عمله الجديد.. وبينما هما يتبادلان الحديث سكت يونس .. ولما عادت سالمة حامله أكواب الشاى الساخن وجدته يغط فى نوم عميق .. فابتسمت وتمنت من كل قلبها المحب له أن تحمل عنه شيئاً مما يشغله ..

انقضت فترة هذه الإجازة سريعا .. وأثناء ركوبه السيارة العائدة إلى القاهرة أخذ يسرح بخاطره فى أشياء متعددة .. والدته وأخوته وأهله فى سيناء .. وكيف يعيشون .. وكيف يتحملون هذه الأوضاع القاسية من الذل والاحتلال .. ثم انتقل بفكره إلى هذه العلاقة الجديدة التى ربطت بينه وبين الرائد أبو خالد فيملؤه ذلك بالزهو والفخار .. ولكن شيئاً ما من التساؤل والحيرة ظل مسيطراً عليه وعلى فكره .. فهل الظروف هى التى قادته إلى اللقاء بأبو خالد أم كل ذلك تم تدبيره بعناية فائقة تدل على مهارة فى تداول هذه الأمور، هل كان الأمر مخططاً له وهو لا يدرى؟ على كل الأحوال فهو سعيد بما حدث معه، فقد أتاح له الفرصة الحقيقية لخدمة وطنه وأهله فهذا هو مطلبه للانضمام إلى كتائب

المقاتلين الذين سيقومون بتحرير الأرض من المغتصب المحتل .. ثم سرح مرة أخرى فى اللحظة التى طلب منه أبو خالد ترديد قسم الشرف من خلفه .. ثم يقوم بإعادة ترديد بعضا من مقاطعه بلذة وحماس وطنى وشغف فى قرارة نفسه متغنيا بها كأنها لحن غنائى ، حقاً إن الله يحبه حتى يختاره لنيل هذا الشرف .

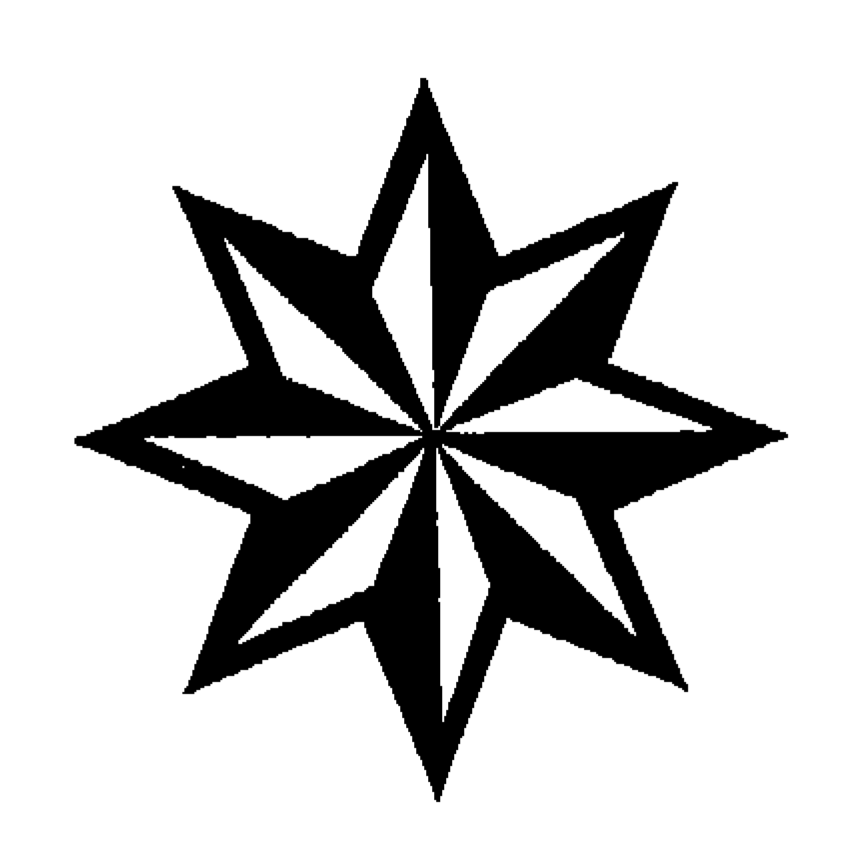
وظلت هذه الخواطر تتقاذفه حتى وجد نفسه فى القاهرة .. وعلى الفور توجه إلى المكان المتفق عليه فوجد سليمان فى انتظاره داخل السيارة فدلف إلى داخلها ثم اندفعت السيارة تشق طرق القاهرة المزدحمة حتى وصلاً إلى منزل هادئ فى أحد أطراف المدينة وهو المكان الآمن الذى سينزل فيه يونس لقضاء الفترة المخصصة لتدريبه..

فى هذا المكان الهادئ قضى يونس نحو أسبوع فى التدريب على الموضوعات التى قام أبو خالد باختيارها له لمناسبتها لهذه المرحلة الإختبارية والعمل على رفع الحس الأمنى له وتجهيزه نفسياً للقيام بتنفيذ أعمال المخابرات.

فى نفس الوقت الذى كان يونس يتلقى فيه هذه التدريبات التى ستساعده على بدء مزاولة نشاطه فى العمل السرى فى داخل سيناء كان الرائد قد انتهى من تجهيز كافة الترتيبات اللازمة لهذه المأموريه الإختباريه إلى الداخل. ونظراً لأن هذه هى المرة الأولى التى سيتم دفع يونس فيها للعمل بالداخل وما آلت إليه أحوال الأهالي بعد هذه الفترة الطويلة من بقائهم تحت الاحتلال وضرورة القيام بجس جديد لنبض الأهالي وكذلك للمناطق وما طرأ عليها من اختلاف فى السلوك والأوضاع سواء بفعل قوات الاحتلال أو نشاط عملاء العدو وقياس مدى إحكام سيطرتهم على

هذه المناطق وكذا إمكانية تقبل هذه المناطق لعمليات دس لعناصر من قبلنا للعمل فيها لمقاومة نشاط العدو، لذا كان قرار أبو خالد بدفع يونس فى مأموريـة اختباريه إلى الداخل بغرض أن يقوم باستكشاف كافة هذه الأوضاع والتى بناءاً على ما سيتحقق من نتائجها سيتم وضع الخطة المناسبة لتشغيله.

لذلك اختار الرائد طريقة مشروعة لدفعه فى مأموريته الأولى إلى الداخل لكى يتمكن من القيام بنشاطه وتنفيذ مهامه بحرية وبشكل طبيعي بدون أي ضغوط أو خوف، وتم اختيار وسيلة الانتقال المشروعة فى ذلك الوقت وهى عبارة عن لنش يسمى اللنش أبو الدرج والذى كان يقوم برحلات لجمع شمل الأسر فى سيناء ووادى النيل، وقد استمد اسمه من المرسى الذى يرسو به وهو مرسى فنار أبو الدرج ويقع على خليج السويس جنوب مدينة السويس وكان يقطع خليج السويس فى هذه الرحلات حتى مرسى على الساحل الشرقي يسمى سقالة غرندل كانت خاصة بشركة سيناء للمنجنيز سابقاً.



الفصل الثانى

تتحرك عقارب الساعة الثلاثة : الساعات والدقائق والثوانى إلى الأمام.. ويذهب يوم ويأتى يوم جديد .. فماذا يخفى ذلك اليوم فى طياته؟

داخل فيلا منعزلة من طابق واحد بأحد الشوارع الفرعية الهادئة بحى مصر الجديدة، تلقى يونس تدريبه .. فى هذا المبنى الذى كان له طابع خاص يجعله فى معزل عن المدينة المزدحمة بالبشر والعربات والمحركات من خلال السور العالى الذي يحيط به والحديقة ذات الأشجار العالية القديمة التى تساقطت أوراقها فى هذا الوقت من العام – فصل الخريف – وأصبحت كالجنة الخاوية على عروشها لا زرع فيها ولا ماء .. وهذا يتنافى مع كونه مكاناً مجهزاً للتدريب ..

هنا يتلقى يونس تدريبه اعتبارا من الأسبوع الأول من أغسطس على أعمال المخابرات ..وفى اليوم الأخير من التدريب – الخميس الدافئ العاصف كثير الرياح. كان سليمان مساعد الرائد أبو خالد فى انتظاره ليصحبه إلى مكتب الرائد وكان الإرهاق والتعب يرسمان خطوطا سوداء على قسمات وجه يونس .. ولكنه رغم ذلك كان يتحرك مع المساعد فى ثقة وحيوية وتفاؤل .. وكان الإصرار يملأ عينيه حيث استقلا سيارة كانت تنتظرهما، وبعد خمسة دقائق كانت السيارة تقف على مقربة من مبنى المقابلات ويهبط منها الرجلان وقد استطاع الرائد الذى كان يقف وراء النافذة الزجاجية المفتوحة فى هذه الغرفة أن يبصرهما وهما يتحركان فى بطء بالشارع حين وقف يراقب حركة الحياة فى شوارع المدينة وارتسمت على وجهه بسمة عريضة مملوءة بالسعادة والنشوة والأمل الوليد عندما رأى ذلك الشاب الواثق

الخطى فى مشيته معتزاً بنفسه ممتلئاً بالوطنية الثائرة الذى نذر نفسه فداء لوطنه وتحرير أرضه وهو يسير إلى جوار مساعده .. ثم عاد إلى مكتبه ينتظر قدومهما...

بعد دقائق مرت دق الباب دقات خفيفة فأذن لهما بالدخول .. ثم دخل سليمان وتبعه يونس، قام أبو خالد ورحب بقدومه وصافحه بحرارة واصطحبه إلى ركن بالغرفة يوجد به كنبة عريضة وكرسيان ومنضدة صغيرة ..وذلك لكى يجلسا فى راحة ويتمكنا من تجاذب أطراف الحديث بحرية وألفة أكثر بينما انصرف سليمان بعد أن أدى التحية العسكرية ..

حضر عامل البوفيه بناء على استدعاء سليمان له .. فطلب منه الرائد أن يحضر لهما كوبين من الشاى وبدأ الرائد فى الاستفسار منه عما تم معه فى التدريب الذى تلقاه وأخذ يناقشه بعمق فى موضوعات التدريب ليتأكد من مدى الاستفادة التى حصل عليها وليطمئن على قيامه بتنفيذ المهام التى سيكلف بها ..

استغرقت المناقشات بين يونس وأبو خالد بعض الوقت .. وبعد الانتهاء منها بادره الرائد بقوله: لقد دقت ساعة العمل يا بطل .. فقد تقرر دفعك للداخل للاتصال بأفراد قبيلتك، وسنقوم باختيار مجموعة عمل من الأفراد الموثوق فيهم وذلك حسب التدريب الذى تلقيته .. وذلك للعمل معك لتنفيذ المهام التى سنقوم بتكليفك بها وبتنفيذها مستقبلا.
استدار يونس إليه مهتما وسأله: وكيف سأدخل إلى سيناء ؟.

ابتسم الرائد بهدوء وأبلغه : إنك ستدخل عن طريق اللنش أبو الدرج وقد سمعت عنه طبعاً .. وذلك فى رحلته القادمة .. أى بعد عدة أيام، وقد قمنا بكل الترتيبات الخاصة بذلك وسيكون ساتر هذه الزيارة هو زيارة والدتك المريضة والاطمئنان على أحوال الأسرة .. وقد اخترنا هذه الطريقة المشروعة لكى تتمكن من التحرك بحرية وأن تقوم بعمل

الاتصالات المطلوبة بطريقة طبيعية .. واستطلاع المناطق التى ستقوم بالعمل فيها بصورة مأمونة ثم توقف الرائد فجأة وعاد يستطرد قائلا وقد تغيرت لهجته: ولكن هناك موضوع على درجة كبيرة من الأهمية ويعتبر من أولويات المهام التى ستكلف بها ..فسأله يونس فى اهتمام بالغ : وما هو يا فندم ؟.. فقال الرائد بعد أن استغرق فى صمت عميق للحظات : من المهم أن تنجح فى استمالة زوج شقيقتك الشيخ سويلم بقبول التعاون معنا لأن ذلك سيساعد كثيراً فى أعمالنا بالداخل مستقبلاً.. ثم استطرد قائلاً بعد لحظة أخرى من الصمت : وأنا سأقوم بمساعدتك فى تزويدك بما يحقق لك إمكانية إقناعه وموافقته على التعاون معنا، فرد يونس قائلاً: لكن هو معروف عنه وجود صداقات بينه وبين ضباط المنطقة من الإسرائيليين.. وقد يرفض هذه الفكرة .. لكنني بإذن الله سأحاول ولدى الوسيلة التى ستقنعه بالتعاون معنا .. ثم قال له أبو خالد: والآن بعد أن ظهرت همتك ونشاطك فى استيعاب مواد التدريب وقمت باختصار الفترة الزمنية المحددة لك، سنقوم بمنحك إجازة لمدة يومين تقضيها مع زوجتك وتستعد فيها للسفر على أن تقوم بإشاعة خبر بأنك قد تقدمت بطلب للذهاب إلى سيناء عن طريق اللنش لزيارة والدتك المريضة والاطمئنان على أسرتك بالداخل .. وإحضار بعض الشهادات المطلوبة لاستكمال مسوغات التعيين من مدينة العريش .. وإشاعة الخبر بين جيرانك ومعارفك بالقرية.

ثم قام الرائد مرة أخرى بالتنبيه عليه وتذكيره بضرورة المحافظة على أمنه الشخصي ومراقبة تصرفاته بدقة وتنفيذ كافة التعليمات التى تم تدريبه عليها .. لكى يحافظ على أمنه الشخصى وأمن المهمة المكلف بها.. ثم أصطحبه الرائد معه وهبطا درجات سلم المبنى حتى وصلا إلى السيارة التى كانت تنتظره بالقرب من البوابة الخارجية للمبنى لتوصيله إلى محطة مصر ومن هناك يستقل وسيلة مواصلات تنقله إلى محل

إقامته .. وقبل أن يصعد يونس السيارة الخاصة أعطاه أبو خالد مظروفاً وأبلغه بأنه مبلغ من المال لتجهيز نفسه للسفر.

غاص يونس بين الزحام فى هذا الوقت من عصر يوم الخميس الساخن بسبب تجمع جنود وضباط القوات المسلحة المتدافعين من كل اتجاه .. كل يريد الوصول بسرعة إلى المواصلة التى ستقوم بنقله إلى بلدته لقضاء إجازة قصيرة بين الأهل والأصدقاء للاطمئنان عليهم .. وأخيراً وصل إلى السيارة التى ستوصله إلى قريته واستقر داخلها فى صعوبة ليجد مكاناً يجلس فيه بجوار النافذة وأخذ يراقب بعينيه وجوه البشر فى الشوارع .. وقال فى نفسه: لقد حانت ساعة العمل الوطنى من أجل سيناء الحبيبة أرض الفيروز أرض القمر .. وكانت ترتسم فى مخيلته صور الضباط والجنود بملابسهم العسكرية وهم يجلسون إلى جواره فى حزم وثقة وقد غطت وجوههم سحابة صمت حزينة لتلك المرحلة المؤلمة من تاريخ مصر. إنهم يؤدون ضريبة الدم للوطن المفدى الذى بجهدهم ونضالهم سيكون مقبرة للعدو .. كما كان على مر العصور مقبرة للغزاة والطامعين، وأخذ يونس يشغل نفسه بتأمل عيون الضباط والجنود المملوءة بالإصرار والعزيمة ..

ظلت سالمة يقظة تنتظر قدوم الغائب .. تعد الطعام والشراب وترتب الغرفة وفراش النوم .. ثم جلست أمام المرآة لتبدى زينتها وترش الروائح الطيبة عليها فى انتظار الغائب القادم من بعيد .. كانت الحياة فى قرى المهجر تسير سيراً وئيداً على وتيرة واحدة .. فقد انتزع العدو الإسرائيلى من هؤلاء الناس ديارهم وأرضهم كانتزاع النبات من التربة .. فتقطعت أسباب العيش والرزق .. وكان عليهم ألا يقعدوا فى تلك المهاجر ينتظرون إعانات ومساعدات الدولة وأهل الخير من القادرين .. فأخذوا يبحثون عن مصادر أخرى للرزق .. كالتجارة والزراعة وتربية بعض الماشية والطيور المنزلية والعمل فى بعض المهن الحرة اللازمة للقرية الصغيرة ..

هذا ما فكرت فيه سالمة وشغلت به نفسها أحياناً فى وحدتها.. فقد أخذت تربى بعض الطيور المنزلية لكى تبيعها فى السوق الأسبوعي للقرية .. وهى تمنى نفسها بالعودة يوماً إلى ديارها وأهلها فى سيناء الحبيبة .. وقد عُرِفَت بين بنات ونساء القرية المهاجرة بالطيبة وحسن الخلق وكرم الضيافة وحب الآخرين والتفانى فى خدمة غير القادرين من كبار السن.

سار يونس تحت جنح الظلام يشق طريقه إلى منزله وقد احتوته مشاعر الوطنية وأحس بوجوده وقيمة حياته القادمة وبحاجة بلده إليه فى هذا الوقت العصيب من تاريخها الطويل الحافل بالنضال والتضحيات، دق الباب وكان الطارق يونس الذى دخل القرية النائم أهلها واستقبلته الزوجة بكل الحب والترحيب الحار وجلست تساعده فى خلع ملابسه وأخذت تعد له الطعام الساخن بينما استلقى يونس على ظهره من عناء السفر ومشقة التدريب الذى كان استعداده له عالياً..

جلست الزوجة المحبة المخلصة أمام زوجها تطعمه كما تطعم الأم وليدها قبل أن تطعم نفسها، كانت ترتدى قميصاً شفافاً وردى اللون .. ثم نهضت لتصب له الشاى فى الكوب الزجاجى .. وبعد أن انتهى قام ليتوضأ فنهضت مسرعة لتصب له الماء ليقوم للصلاة، وبعد أن فرغ من صلاته فزع إلى السرير لكى ينال قسطاً من الراحة ولكن غالبه النعاس نظراً لما لاقاه من تعب طوال اليوم فراح فى سبات عميق .. بينما كانت الزوجة المحبة مشغولة أمام المرآة تصلح من زينتها وتقوم بتصفيف شعرها المسترسل .. وعندما فرغت من زينتها تقدمت إلى السرير بدلال.. ولكنها وجدته يغط فى نومه فابتسمت ابتسامة راضية حانية وتمددت إلى جواره وأحاطته بذراعيها الحانيتين وأخذت أصابعها الملفوفة تتغلغل فى ثنايا شعر رأسه بحنان ورفق .. ثم راحت فى تفكير عميق .. كانت تتمنى من أعماق قلبها أن يسهر معها ويحكى لها عن

أحواله وما كان يفعله فى القاهرة .. وكيف كانت معيشته، وأن تحكى له أيضاً عن مدى الوحشة التى تعانى منها طوال غيبته عنها، ثم احتضنت رأسه إلى صدرها وأغمضت عينيها تحاول النوم ولكن السهاد لم يغادرها ولم يفارق عينيها طوال الليل.

فى هذا المنزل الصغير المتواضع والمكون من غرفة نوم وصالة ومطبخ صغير وحمام، جلس يونس مع الزوجة البدوية ذات الجمال الفطرى وشعرها الناعم المسترسل حتى خصرها وعينيها الواسعتين السوداوين يشع منهما بريق ذكاء فطرى أخاذ ساحر... فقد أخبر يونس زوجته التى كانت تجلس أمام موقد الكيروسين لتعد له مشروب الشاى الساخن بأنه تقدم بطلب إلى المخابرات الحربية يطلب فيه السفر إلى سيناء لزيارة الأسرة والاطمئنان على والدته المريضة... وكذلك إحضار بعض الشهادات من مدرسة العريش لتكملة مسوغات التعيين... فألحت عليه أن يصحبها معه... فكم كانت تود أن ترى أسرتها وتطمئن، عليهم... ولكنه وعدها بذلك فى ظروف أحسن... ثم أخبرها بأنه حصل على التصديق بالسفر... وسوف يسافر بإذن الله فى الأسبوع القادم...

البدء فى تنفيذ المهام السرية

انتهت الإجازة سريعاً وحان وقت الرحيل... نهض يونس من نومه مبكراً وتناول فطوراً خفيفاً بينما كانت زوجته تعد له حقيبة السفر... وعندما انتهى وعزم على الرحيل تعانقا فى وداع حار... ثم حمل حقيبته وخرج من المنزل فى حيوية بينما وقفت الزوجة تراقبه حتى اختفى عن عينيها.. وهى تمسح دمعةً تحجرت فى مقلتيها... وقد أخذت أشعة الشمس الذهبية تتساقط على المكان...

كانت مشاعر الشوق والحنين إلى الأهل فى سيناء تسيطر عليه وكان يتمنى لو كان طائراً بجناحين لكى يخترق الآفاق ويسبح فى الفضاء ويصل إليهم فى لحظة خاطفة ما بين طرفة عين وانتباهها... وعندما وصل يونس القاهرة استقل سيارة أجرة وتوجه على الفور إلى ذلك المنزل الذى يعرفه جيداً .. وما أن دخل من الباب حتى وجد الرائد فى انتظاره .. ثم بادره على الفور بأنه قد عزم نفسه على تناول الطعام معه .. وفى نفس الوقت مراجعة نهائية لمراحل خطوات المأمورية .. ثم طلب الرائد من القائمين على خدمة المكان إحضار طعام لهما.. بعد تناول الطعام قام الرائد أبو خالد بتلقينه التلقين النهائى للمأمورية وشرح له كل الخطوات والمراحل المطلوب منه تنفيذها وأوضح له كل ما سوف يقابله على الجانب الأخر عند وصوله إلى الشاطئ الشرقى لخليج السويس فى منطقة أبو رديس فهناك لجنة من العسكريين الإسرائيليين ستكون فى انتظارهم عند وصول اللنش ومعهم بعض المتعاونين معهم من أبناء سيناء.. وأنه سوف يتعرض لتفتيش أمتعته بواسطة هؤلاء واحتمال أن يتم له تفتيش ذاتى فى حالة شكهم فى أمره.. وأنه يجب عليه مراعاة عدم وجود أى شئ يثير الشك والريبة داخل متعلقاته الشخصية..

ثم استطرد الرائد فى اهتمام وهو يقف: فى حالة تعرضك لأسئلتهم للاستفسار منك عن سبب حضورك إلى سيناء وعن المدة التى سوف تقضيها وغير ذلك من الأسئلة فلابد أن تكون إجابتك معتدلة وصريحة بأنك قادم للاطمئنان على والدتك المريضة والتى وصلتك رسائل من أسرتك بالداخل تفيد بتدهور حالتها الصحية .. وكذلك للاطمئنان على باقى أفراد أسرتك.. ثم تابع الرائد حديثه وهو يمسك بذراع يونس : اعلم أن التدريب الذى حصلت عليه سوف يساعدك كثيرا فى مقاومة أى استجواب يتم لك ومساعدتك فى إقناعهم بسلامة موقفك ودفع الشك عنك.. وعليك باستخدام عقلك دائما فى مواجهة أى موقف تتعرض له ..

جلس الرائد ويونس على مقعدين وثيرين فى صالة المنزل الخاص الذى يجتمعان فيه الآن .. وكانت نسمة باردة تهب محركة ستائر النوافذ الزجاجية .. ثم قام الرائد إلى دولاب صغير فى ركن الصالة وأحضر لفافة متوسطة الحجم وقام بفتحها وقال له : هذه هدايا عادية ستحملها معك لوالدتك وأفراد أسرتك .. ثم قام الرائد بتحديد هدية كل فرد ومناسبتها له حتى إذا تم سؤاله من قبل السلطات الإسرائيلية تكون إجاباته جاهزة بتلقائية طبيعية لا تبعث على الشك وأخذ يونس يتأمل هذه الهدايا ويقول فى نفسه أن هذا الرائد دقيق جداً وحريص ويعمل حساباً لكل صغيرة وكبيرة مما كان يبعث على اطمئنانه الشديد إليه.

ثم قام الرائد مرة أخرى وأحضر مصحفا شريفاً ثم قال له: وهذا سيكون له وضع خاص .. وكانت ترتسم على شفتيه ابتسامة وينظر فى عيني يونس نظرات ذات معنى محدد، وبعد فترة صمت قصيرة قال الرائد فى ابتسامة ماكرة : أما هذا المصحف الشريف فهو لزوج أختك الشيخ سويلم !! أما المناسبة فإنك بعد وصولك وقضاء فترة مع الأسرة والاطمئنان على أحوالهم ستقوم بزيارة لشقيقتك وزوجها الشيخ سويلم فى بئر سبع للاطمئنان على أحوالهم .. ثم تكرر هذه الزيارة بصورة ودية حتى يطمئن لك .. وتكتسب ثقته .. ثم بعد ذلك عليك أن تختار الوقت المناسب وتقدم له هذا المصحف الشريف وتخبره بأنك موفد من قبلنا وإنك تحمل أغلى هدية منا إليه وهى كتاب الله .. وأن طلبنا منه هو أن يتعاون معنا وأن يكون مستعداً للمساعدة فى تنفيذ بعض مهام لنا بالداخل بحكم وجود صلات تربطه بسلطات الحكم العسكرى الاسرائيلى وأننا نريد أن نأخذ عليه العهد أمام الله سبحانه وتعالى على هذا المصحف.. وطلباتنا منه أن لا يغير أى شئ من أسلوب تصرفاته .. بل عليه أن يقوم بتدعيم صلاته وتقوية صداقاته بعناصر السلطات الإسرائيلية فى المنطقة لأن ذلك سيكون مفيدا لأعمالنا بالداخل.

ثم استطرد الرائد أبو خالد فى استكمال التلقين وقال: عندما تشعر بحدوث أى شىء غير طبيعى أثناء وجودك بالداخل قد يؤثر على أمنك وكذلك أمن المأمورية فقد رتبت لك مكان مقابلة فى منزل يقع فى الطرف الجنوبي لمدينة العريش وقام بتحديده له على خريطة للمدينة، وسيتم ترقبك فيه بعد الساعة العاشرة مساءً من كل يوم بعد دخولك بأربعة أيام بواسطة بعض رجالنا .. وعندما تلجأ إلى هذا المكان سيتم نقلك إلى منطقة جبل أم خشيب فى وسط سيناء بمعرفتهم .. وذلك لاتخاذ اللازم لتأمينك والعمل على سحبك من الداخل بمعرفتنا .. وسيتم نقلك فى أمان .. وسيتم اختيار الطريقة المناسبة لسحبك طبقاً لظروف الموقف بالداخل، ثم أبلغه بالاسم الحركي الذى سيستخدمه بدلاً من اسمه وكذلك بكلمة السر التى سيتعامل بها فى هذه المواقف.

أحس يونس بحاجته إلى فنجان قهوة يساعده على التركيز.. وشعر الرائد بذلك فطلب لهما فنجانى قهوة من أحد القائمين على خدمة المكان.. ثم عاد الرائد يلتف حول يونس الجالس فى مقعده مستقراً منتبهاً كالتلميذ الذى يستمع لشرح المدرس .. واستطرد أبو خالد وقال : اعلم بأن هذه المأمورية استطلاعية فقط .. وهى استطلاع للمناطق التى تصلح للعمل فيها، وترشيح للأفراد الذين ستقوم باختيارهم للعمل معك .. ودراسة إمكانيات كل منهم، واستطلاع الأوضاع العامة بالداخل والمستجدات التى طرأت على الأهالي والمناطق بعد هذه الفترة من الاحتلال وعند حضورك سيتم دراسة هذه المعلومات بدقه .. ثم نقوم بوضع الخطة المناسبة لطريقه عملك بالداخل..

دخل رجل بالقهوة فعاد الرائد الذى كان واقفا ليجلس قليلاً لتناول قهوته مع يونس ..ومر الوقت سريعاً وقد جاء وقت العشاء فقدم إليهما الرجل عشاءً خفيفاً.. أسدل الليل أستاره وأصبحنا فى منتصف الليل تقريباً.. فقد استغرق التلقين وقتاً طويلاً.. ومهما يكن فقد كان لابد من هذا وكان من

المهم أن يقوم يونس باستيعابه.. وبعد أن اطمئن الرائد على استيعابه لكل مراحل التلقين.. قام مستأذناً فى الانصراف وتركه لكى يجهز نفسه بنفسه وترتيب متعلقاته التى سيحملها معه .. ثم عانقه بحرارة مودعاً وتمنى له كل التوفيق فى مأموريته .. ثم أمر القائمين على خدمة المكان بالعمل على راحته .. وتمنى له ليلة هادئة هانئة ثم ودعه وانصرف ..

نهض يونس من نومه مبكراً فى صباح اليوم التالى فى حيوية ونشاط ... وعندما شعر القائمون على خدمة المكان به أحضروا له طعام الإفطار وقدموا له الشاى بعد أن فرغ من الصلاة.. ولكنه تناول إفطاراً خفيفاً كعادته، وبعد أن فرغ من شرب الشاى حمل حقيبته وشكر القائمين على خدمته على كل ما قدموه له من رعاية وعناية طوال الفترة التى قضاها معهم وودعهم ثم خرج بمفرده واستقل سيارة أجرة أوصلته إلى موقف السيارات الخاصة بمدينة السويس...

استقل سيارة "بيجو" وكان يركب معه بعض الرجال الذين يعملون فى القاهرة من أبناء السويس الصامدة وكان يشغل نفسه فى استرجاع كل كلمة مما قالها له أبو خالد ويحفظها عن ظهر قلب.. وكان يقطع ذلك توقف السيارة مرات عديدة بناءً على تعليمات من جنود القوات المسلحة الموجودين بنقاط المراجعة والتفتيش المقامة على الطريق .. وخروج الركاب من السيارة والانتشار في الصحراء في أماكن آمنة حتى تنتهى الغارات التى كانت تشنها الطائرات الإسرائيلية على مواقع القوات المسلحة على الجبهة ..

وقد استغرقت السيارة وقتاً طويلاً فى قطع المسافة من القاهرة حتى مشارف مدينة السويس وذلك بسبب هذه الهجمات الجوية، وعلى مشارف المدينة نزل مع باقى الركاب من السيارة لأن المدفعية الإسرائيلية كانت تقوم بقصف المدينة بوحشية.

لاحظ يونس أن كل الأشخاص مدنيين وعسكريين يندفعون بطريقة منظمة إلى أماكن آمنة للاحتماء بها من القصف المدفعى وكأنهم كانوا قد حصلوا على تدريب راقٍ للقيام بهذا العمل فاندفع معهم إلى مكان آمن إلى أن انتهى القصف، وقد عرف أن هذه الخبرة قد اكتسبوها من ممارستهم المستمرة لهذا الوضع مما ساعد كثيراً في تقليل الخسائر بينهم..

كان صوت المؤذن يرتفع من فوق أحد المآذن بحي الأربعين بمدينة السويس ليعلن صلاة العصر فتوجه يونس إلى المسجد ليؤدى شعائر الصلاة مع سكان هذا الحى القديم .. فوجد رجالاً وشيوخاً وفتياناً عز عليهم مفارقة ديارهم والعيش فى قرى المهجر أو غيرها من قرى ومدن مصر الطيبة وفضلوا البقاء للدفاع عن ديارهم مع إخوانهم من رجال القوات المسلحة..

وخرج من المسجد وأخذ يتأمل فيما حوله فوجد بيوت هذه المدينة الجميلة قد انهارت أو تصدعت بسبب قصف الطائرات الإسرائيلية أو قصف المدفعية الإسرائيلية المستمر على المدينة وعلى الرغم من ذلك فإنه كان يلاحظ عدم وجود أى تغيير من تصرفات الأهالي المدنيين وكذلك العسكريين المتواجدين بالمدينة يوحى بأى توتر أو ذعر أو قلق .. ولكن على العكس كانت الحياة تسير بطريقة طبيعية ... وكأن الذى يحدث هو الشيء الطبيعى المفروض حدوثه !! إنها عظمة الشخصية المصرية..

إن أى مكان يمتد فيه البصر عبر الصحراء الشاسعة الممتدة والمنبسطة يجد فيه معسكرات الجيش المصرى وسياراته ودباباته الراقدة فى أحضان الرمال الدافئة .. تنتظر إشارة البدء فى طرد المعتدى وصد هجمات الباغي .. هذا ما رآه يونس بعينيه الفاحصتين أثناء تجوله فى الشوارع بحثاً عن أحد المطاعم فقد بلغ به الجوع مبلغه ولم يعد يقوى على الانتظار .. إن ما رآه وما شاهده بعينه وما مر به من أحداث

أشعلت جذوة الحماس التى كانت مكبوتة فى نفسه .. وألهبت المشاعر الوطنية بداخله وقوت من عزيمته وزادت من إصراره على الاستمرار فيما هو مقدم عليه من مقاومة العدو اللدود وتحقيق النجاح فى المأمورية المكلف بها، وبينما هو سارح فى تأمل ما يدور حوله تسللت إلى أنفه رائحة شهية جعلته يتنبه إلى حاسة الجوع فوجد نفسه فى مواجهة أحد المطاعم الصغيرة فأخذ مكانه على إحدى الطاولات وبينما هو مشغول فى اختيار بعضاً من أصناف هذا الطعام، وجد أمامه شخصا يرتدى الملابس البدوية وأستأذنه في الجلوس على طاولته رغم وجود طاولات كثيرة من حوله فارغة ليس عليها أحد .. ولكنه لم يكترث لذلك ثم فوجئ بأن هذا الشخص قد طلب إحضار طلبين من شواء اللحم وبعض السلطات والخبز ثم بادره الشخص بقوله : أليس هذا ما كنت تريد أن تطلبه ؟ فسكت يونس، فقد كان يتعجب من تصرف هذا الشخص معه ! وما الذى جعله يختار نفس الأصناف التى كان يعتزم طلبها فعلاً.

بدأ يونس في تناول الطعام وهنا بادره هذا الشخص البدوى بتعريفه بنفسه وأخبره بأنه يدعى (سالم) من إحدى القبائل بجنوب سيناء ولكن يونس لاحظ أن لكنته البدوية غير سليمة تماماً والمميزة لأهالي الجنوب فسكت ولم يبادله الحديث .. ولم يهتم به .. واستمر في تناول طعامه .. ثم استطرد هذا الشخص الغريب وقال له : عموماً أبو خالد يبعث لك بتحياته ويطلب منك أن تقبل (عزومته) على طعام الغداء!! وهنا توقف يونس عن تناول الطعام ورفع رأسه و أخذ يحدق باهتمام فى وجه ذلك الشخص لفترة وهو صامت من شدة التأثر لهذا الموقف من الرائد أبوخالد..

وبعد لحظه صمت بادره الشخص الذى كان يتناول طعامه فى هدوء: بعد تناول الطعام ستتوجه معى إلى أحد المنازل بمنطقه قريبه من هنا.. لنقض به ليلتنا لأننا لن نستطيع الآن الذهاب إلى الكرنتينا (وهى المنطقة التى

يجتمع فيها ركاب اللنش لاتخاذ الإجراءات اللازمة معهم تمهيداً لنقلهم إلى منطقه فنار أبو الدرج) نظراً لأن القصف الإسرائيلي اليوم بدون توقف، ولفترات طويلة وخاصة على منطقه الزيتية ولا توجد سيارات تستطيع المغامرة بعبور وسلوك هذا الطريق..

لم يتكلم يونس وإنما استكمل باقي طعامه في صمت وتأمل.. إن الرائد المخلص "أبو خالد" لم يتركه حتى هنا في السويس وقبل العبور.. فهذا الشاب الغريب لابد أنه يكون من رجال المخابرات لحربيه وأنه على معرفة واتصال بالرائد.. بعد قليل فرغ الرجلان من تناول طعام الغذاء على عجل نظراً لأن القصف كان لا يزال مستمراً.. ثم قام هذا الشخص الذي كان يفرض نفسه ويتكلم في ثقة زائدة .. قام بدفع حساب طلباتهما ثم انصرفا مسرعين وسلكا طريقاً جانبيا متفرع من هذا الطريق الرئيسي وقد تقدم هذا الشخص وسار يونس وراءه يتبعه في صمت .. وكان الهدوء والسكون يحيطان بالمنطقة ولا يوجد أى أثر لحياه أو سكان ..

كانت الشمس قد مالت ناحية الغروب وأوشك الظلام أن يسدل أستاره .. حتى وصلا إلى سور متوسط الارتفاع مبني بالحجر الأبيض يتوسطه باب خشبي .. ثم قام هذا الشخص يفتح الباب ودلف منه ومن خلفه يونس .. فوجد حديقة صغيرة ولكنها مهملة كباقي حال الحدائق بالمدينه .. وكان يتوسط هذه الحديقة منزل مكون من طابق واحد على شكل فيلا .. ثم تقدم الشخص إلى باب الفيلا وطرق عليه طرقات معينة.. ولما انفتح الباب ظهر من خلفه شاب يرتدى الملابس المدنية.. فما أن رآه حتى أعتدل في وقفته احتراما وفتح له الباب على الفور .. وهنا اطمأنت سريرة يونس .. ودلفا إلى داخل المبنى فوجده يموج بالحياة بخلاف طبيعة المنطقة المحيطة به .. جلس الرجلان على أنتريه موجود بصالة متوسطة ثم طلب هذا الشخص من الشاب الواقف أمامه أن يحضر لهما شاى .. على الطريقة العربية ..

التفت الرجل إلى يونس ورحب به وقدم له نفسه قائلا فى صوت ودود : أنا النقيب عمرو من مكتب المخابرات الحربية بالسويس .. فأمعن يونس النظر إليه باهتمام .. ثم أخبره النقيب بأنه سيقضى هذه الليلة هنا فى ضيافتهم .. وفى الصباح الباكر بإذن الله سيقوم بعمل اللازم لتوصيله إلى الكارنتينا .. تناول الرجلان الشاى وتجاذبا أطراف الحديث عن أوضاع المدينة وملحمة الصمود التى يخطط لها أبناؤها ثم قام النقيب عمرو واستأذنه فى إنهاء بعض الأعمال ثم اصطحبه إلى غرفة مجهزة للنوم والإعاشة .. وتمنى له ليلة هانئة ..

قضى يونس ليلته فى هذا المكان وكان يتمنى أن يقضى ليلة هانئة كما تمنى له النقيب عمرو وذلك بعد ما لاقاه من عناء السفر طوال اليوم والمشقة والآلام النفسية التى كانت تعتصر قلبه من هول ما لاقاه وما رآه وشاهده بعينه من الأحداث التى تجرى على جبهة القتال مع العدو الإسرائيلي وقسوة ما تتعرض له هذه المدن الجميلة – مدن القناة- الصامدة وأهلها من عناء فى مواجهة هذا العدو الغاشم، ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ...فقد كانت ليلة عصيبة طويلة لا يطلع لها فجر !.. فإن أصوات الانفجارات الناتجة عن القصف المدفعى المتبادل بين القوات المصرية والقوات الإسرائيلية لم ينقطع طوال الليل .. فكلما استسلمت عيناه للنوم من شدة التعب والإرهاق فى فترة يخف فيها حدة القصف يفيق منتفضاً على أصوات اشتباكات بالنيران بمختلف أنواع الأسلحة بين الجانبين..

وهكذا قضى يونس ليلته في السويس .. وفي الصباح الباكر حضر إليه النقيب عمرو فوجده مستيقظاً ومستعداً للرحيل وكان طعام الإفطار جاهزا فتناولاه معاً على عجل ثم اصطحبه فى سيارة تشبه سيارات الأجرة المستخدمة فى المدينة، وكان يرتدى ملابس مدنية تشبه ملابس سائقى التاكسى وسلك به فى طرقات عده بعيداً عن الطريق الرئيسى المعتاد حتى

وصل الى مكان غير ظاهر يبعد قليلاً عن منطقة الكارنتينا.. وأنزله وأرشده إلى الطريق الذى يسلكه للوصول إليها .. ثم صافحه بحرارة وتمنى له التوفيق في مهمته.. وكانت نسمات الصباح الدافئة تهب من الخليج القريب منه واصل يونس سيره بخطى رشيقة نشيطة معلقاً حقيبته السوداء على كتفه حتى وصل إلى مكان الكارنتينا فوجد مجموعة ليست كبيرة تضم شيوخاً ونساءً ورجالاً وفتياناً من أبناء سيناء من قبائل مختلفة مجتمعين فى حلقات .. جالسين على الأرض الرملية يتبادلون أطراف الحديث .. وكان حولهم بعض جنود من أفراد القوات المسلحة القائمين على خدمتهم ومساعدتهم وكانت بعض عربات من الجيش تقف على مقربة من المكان فى أول الطريق فاندس فى إحدى هذه المجموعات واندمج معهم فى الحديث وبعد فتره وصلت سياره جيب نزل منها أحد الضباط برتبه الرائد ومعه ضابط آخر برتبه نقيب، وقاما بإنهاء إجراءات هؤلاء المسافرين واستقلوا السيارات التى أقلتهم إلى مكان اللنش.

رحـــلة إستكشاف المجهول

عندما استقر جميع المسافرين داخل اللنش أدار القبطان الماكينة وانتظر حتى أخذ إشارة التحرك من الرائد الذى ظل واقفا يلوح بيديه هو وجنوده للمسافرين، وكان اللنش يشق طريقه بهدوء على صفحة مياه الخليج الصافية الزرقاء متجها إلى الشاطئ الشرقى للقناة ..

استقر يونس على مقعده الخشبى داخل اللنش وأخذ يشغل نفسه بمراقبة الطيور البيضاء التى كان بعضها يحوم حول اللنش والبعض الآخر يهوى مندفعاً إلى الماء يلتقط بعض الأسماك بمنقاره الطويلة، وأحياناً كان يتفرس فى وجوه الشيوخ من الرجال والنساء ويتعجب لما وصل إليه الحال من أن يتكبد الإنسان كل هذه المشقة من تصاريح وأوراق لزيارة أهله وذويه فى أحد أجزاء وطنه !!

وأحياناً أخرى كان يتابع حكايات المسافرين والتى كانت تنحصر فى أحوالهم ومشاكلهم ومدى المعاناة التى يتكبدونها فى أماكن إيوائهم المؤقت .. أو عند أقاربهم كضيوف لا يعرفون متى تنتهى هذه الضيافة. استغرقت هذه الرحلة وقتاً طويلاً فوق مياه الخليج .. وأخيراً استقر اللنش على السقالة الموجودة على الشاطئ الشرقى للخليج فى منطقة تسمى غرندل وهى سقالة كانت تخص شركة سيناء للمنجنيز قبل العدوان وبعد فترة سمح للمسافرين بالنزول وكان فى استقبالهم بعض العسكريين الإسرائيليين ومعهم بعض المدنيين من أبناء سيناء يستخدمونهم كمعاونين لهم .. وكان استقبالهم من أسوأ ما يكون وكانت معاملتهم لهم بصلف وتعالٍ وغرور شديد .. ثم قاموا بنقلهم إلى مبنى فى منطقة أبو رديس خاص بالحاكم العسكرى الذى كان يقف فى استقبالهم ومعه بعض معاونيه .. وبدأوا فى ممارسة أمورهم الاستفزازية مع كل فرد من المسافرين : من استجواب وتفتيش للأمتعة والمتعلقات الخاصة بكل شخص وبعثرتها على الأرض بطريقه غير آدمية ولم يسلم من ذلك أحد حتى الشيوخ والنساء ..

ثم نادى ضابط إسرائيلى على يونس وأخذ يتفحصه بنظرات استفزازية مفعمة بكل أنواع الغطرسة والاشمئزاز والتعالى .. ثم أخذ يسأله عن طبيعة عمله وعن سبب حضوره وعن أسماء أفراد أسرته فرداً فرداً .. وعن أماكن إقامتهم . كذلك أخذ يسأله عن طبيعة عمله فى وادى النيل ومحل إقامته وأسماء أصدقائه وطبيعة عمل كل منهم .. وهكذا .. وقد استغرق هذا الاستجواب وقتاً طويلاً، وكان يونس واقفاً على قدميه طوال الوقت قبالة هذا الضابط الذى كان يجلس خلف طاولة صغيرة وبجواره شخص كان يقوم بتدوين كل ما كان يجيب عليه يونس وكان هذا الضابط الذى أخذ يدخن الغليون في جانب فمه ويتناول بعض المشروبات المثلجة في حين لم يفكر أحداً منهم في أحوال هؤلاء البشر من المسافرين ولو بشربة ماء من جراء ما كانوا يعانونه من ظمأ فى هذا

القيظ ثم طلب منه وضع حقيبته علـى طاولـة بجواره و أخذ يعبث فيها للتفتيش ويبعثر ما فيها حولـه.. ثم أخذ يسأله عن هذه الهدايا وعـن أصحابها ومناسباتها ومن أين جاء بها..

هنا أدرك يونس مدى أهمية ما فعله معه أبو خـالد أثناء التلقين النهائى لـه.. وأخذ يونس يشرح لهذا الضـابط الإسرائيلي كـل هدية مـن الهدايا الموجودة معه ومناسبتها والمكان الذى اشتراها منـه .. بكل ثقة وثبات .. وكان يونس يجيب على كل الأسئلة وكافة التساؤلات التي وجهت إليه بثبات وصراحة تامة .. وكان لكل سؤال إجابته الواضحة المناسبة له مما جعل هذا الضابط يهدأ قليلا ويحد من سلوكه العدوانى تجاهه ..

رغم صعوبة هذا الموقف وقسوته علـى نفسه لشعوره بالمسئولية الكبيرة الملقاة على عاتقه وحرصه الشديد على أن ينجح فى مراوغة هـذا الضـابط المتغطرس الذى فى مواجهتـه لأن أى خطـأ أو ارتبـاك فـى تصرفاته قد تبعث على الشك فى أمره وتـؤدى إلـى فشل مأموريتـه، فقد كان يحس بوجود الرائد أبو خـالد بجانبـه فـى كل لحظـة ويرى نظراتـه المشجعة ويتذكر كلماته الواثقة المفعمة بالوطنية فكان ذلك خير معين لـه على اجتياز أولى المراحل الخطرة فى المأمورية بنجاح.

خرج يونس من مبنـى الحـاكم العسكرى الإسرائيلي بعـد انتهـاء استجوابه مملوءاً بالثقة وكان يشعر فى قرارة نفسه بالامتنان العظيم لهذا الرجل الوطنى المخلص أبـو خـالد الذى بفضـل روحـه الوطنيـة الشديدة الغيورة أوقد فى أعماقه جذوة النضال وكان يشـكر اللـه مـن كل قلبـه أن ساق إليه هذا البطل الذى غير مسار حياته ووضعه على الطريـق السليم لخدمة وطنه.

وجد بعض السيارات القديمة تقف فى انتظار الركـاب .. وكـان كل سائق يعلن عن وجهته للجنوب أو للشمال وقد اصطفت السيارات بجـوار

بعضها على الرمال ..واستقر يونس فى إحدى السيارات التى أقلته إلى منطقة إقامته جنوب العريش فوصلها في الغروب .. وما أن وطِئت قدماه أرض دياره حتى خر ساجداً لله عز وجل شاكراً .. وقد سرى خبر وصوله كالبرق فخرج الأهل والأحباب والأقارب والأصدقاء والجيران لملاقاته والترحيب به بحفاوة وحب شديد وعناق طويل حتى وصل إلى داره وقد أحاطوه من كل جانب .. واندفع إلى داخلها لاشتياقه الزائد لرؤية والدته الحبيبة.. والاطمئنان عليها .. واندفع إلى أحضانها ليقبل يديها وكل جزء من رأسها حتى أخمص قدميها وانخرط فى بكاء حار من لوعة الفراق ونشوة اللقاء .. وكان الأخوة والأحباب يلتفون من حولهما فى فرح وسعادة غامرة بعودة الحبيب الغائب ..

قضى ليلته فى أحضان أمه الحبيبة وحوله اخوته وأشقاؤه ينصتون له في شوق واهتمام بالغ وهو يقص عليهم عن أحواله وأحوال مصر وما يجرى فيها وصمود شعب مصر الرائع في وجه العدو والاستعدادات التى تجرى على قدم وساق على كافة المستويات للتجهيز لمعركة التحرير .. تحرير الأرض المغتصبة وعن ما رآه بعينيه على جبهة القتال في مدينة السويس وما حدث لها .. وما يجرى فيها من التلاحم الرائع الذى شاهده ولمسه بين الأهالي و القوات المسلحة فى الصمود و الدفاع عن بلدهم..

أخذ يونس يستمع لهم أيضاً و هم يحكون له عن سوء ما وصلت إليه أحوالهم ومعيشتهم من عدم وجود أي خدمات من كافه الأنواع للأهالي.. وخاصة الخدمات الصحية.. وهذا ما تعانى منه والدته المريضة.. كذلك ما يتعرض له الأهالي من سوء المعاملة والرذائل المستمرة من العدو واعتداءاته المستمرة عليهم و على ممتلكاتهم وترحيلهم من مناطق إقامتهم.. وكذلك عمليات القبض العشوائي التى تتم للشبان وزجهم فى سجون إسرائيل لفترات طويلة بدون إبداء أي أسباب..

كانت أعمال العنف والقمع هذه التي تمارسها السلطات الإسرائيلية ضد الأهالى بغرض تخويف المواطنين وبث الذعر والرعب فى نفوسهم لإحكام قبضتهم عليهم.. كذلك تشجيع العملاء والمتعاونين معهم بإفساد أخلاقهم وتلويث أخلاقياتهم بالصرف عليهم ببذخ فى تعاطى المخدرات وقضاء ليالى حمراء فى ملاهٍ داخل إسرائيل.. ثم دسّهم فى مناطق معيشة المواطنين للتجسس عليهم ومراقبه أحوالهم وأفعالهم والإبلاغ عن أى نشاطات أو أحداث غير طبيعية من جانب الأهالي للسلطات الإسرائيلية لقمعها أولاً بأول.. وبذلك يكونون قد اطمأنوا إلى الحد من أي اتصالات يمكن أن تقوم بتحقيقها السلطات المصرية بأي عناصر من المواطنين بداخل الأرض المحتلة المغتصبة فى سيناء..

استمر هذا الترحيب الحار وتبادل الأشواق و الحديث مع الحبيب العائد حتى أنبلج نور الصباح دون أن يشعروا بمرور الوقت بهذه السرعة.. ثم قام يونس إلى حقيبته وأخذ يسلم كل فرد من أفراد الأسرة هديته التى أحضرها له من مصر.. فكان وقوع ذلك عليهم جميلاً وأسبغ عليهم سعادة فوق السعادة التي يشعرون بها بحضوره الآن بينهم وبعد قليل انفض هذا السامر وذهب كل فرد للاستعداد لبدء نشاطه وعمله اليومي وتركوه لكى ينال قسطا من الراحة بعد عناء هذا اليوم الطويل الشاق..

لم ينقطع وصول الأهل و الأحباب والجيران إلى المنزل طوال اليوم بعد أن وصل إليهم خبر وصول يونس من مصر.. للسلام والسؤال عن أخباره..ولاشتياقهم الزائد للوقوف على أخبار مصر وما يجرى فيها من أحداث تبعث على الاطمئنان فى قلوبهم ورفع الروح المعنوية لهم وتثبيت إيمانهم بقرب الأمل الذى يعيش بداخلهم ويحلمون فى تحقيقه وهو تحرير أراضيهم والخلاص من هذا الذل والكابوس الجاثم على صدورهم.. وعودة الأحباب والديار وجمع الشمل مره أخرى وعوده الحياة إلى طبيعتها كما كانت فى السابق.. وكان يونس سعيداً بهم كسعادتهم به

وكان يسامرهم ويطمئنهم على كل ما كانوا يحبون أن يطمئنوا عليه رغم ما كان يشعر به من إرهاق بعد عصر اليوم وصلت سياره حديثه نزل منها الشيخ سويلم زوج شقيقته الذى حل محل والده بعد استشهاده برصاص العدو الغادر عند اجتياح القوات الإسرائيلية للديار السيناوية أثناء العدوان فى عام ١٩٦٧.. فاستقبله يونس استقبالاً حاراً وذلك بخلاف ما كانت تتسم به مقابلاتهما من قبل بالجفاء حتى أن الشيخ سويلم استغرب فى نفسه من هذا التحول وكان هذا بسبب كلام أبو خالد السابق له عند مقابلته له أول مره وتوضيح موقفه له بأنه ليس له أى دخل فى سقوط شبكة العريش فى قبضة السلطات الإسرائيلية..

وبعد أن قام الشيخ بواجب الزيارة واطمأن على يونس وعلى باقى أفراد الأسرة طلب منه أن يحضر إليه فى محل إقامته فى بئر سبع حتى يرى شقيقته.. ووعده يونس بذلك ثم انطلق بسيارته الحديثة مغبره خلفها وهى تسير عبر المنازل القديمة والخيام الواطئة..

فى صباح اليوم التالي نهض يونس مبكراً لأنه لا يريد أن يضيع الكثير من الوقت فى الاستقبال والزيارات و الترحيب.. يريد أن يتفرغ للعمل الذى قدم من أجله.. وبدأ فى البحث عن زملائه القدامى الذين بدءوا العمل معه فى المقاومة بعد العدوان فى ١٩٦٧ لكى يعيد الاتصال بهم.. ولكن للأسف لم ينجح فى العثور على معظمهم لأنهم تفرقوا وهربوا فى الجبال بعد سقوط شبكه العريش.. ولا أحد يستطيع الوصول إليهم.. فبدأ فى اختيار عناصر جديده من أفراد قبيلته.. واستشعر بحثه الأمني والتدريب الجيد الذى حصل عليه استعدادهم الجيد وصلاحياتهم للقيام بالأعمال التى تخدم عمل المجموعة..

وقد ظهرت هذه الكفاءات نتيجة للظروف الصعبة التى يواجهونها فى حياتهم اليومية فى ظل احتلال العدو لأراضيهم والذكاء فى حسن

تكيفهم للتعايش مع هذه الظروف القاسية فى معيشتهم..كل هذه الظروف أوجدت المناخ المناسب ليونس لاختيار العناصر المناسبة التى ستقوم بالعمل معه ومساعدته فى تكوين الشبكة بالداخل .. ثم أخذ يضعهم فى اختبارات معينة حتى يضمن حسن اختياره للعناصر الصالحة من بينهم..

كان يونس يصطحب بعضهم معه فى الزيارات التى يقوم بها لاستطلاع المناطق المناسبة والتى تصلح لتكون مركزاً لنشاط وعمل الشبكة .. وفى نفس الوقت لم ينس القيام بزيارة شقيقته زوجة الشيخ سويلم في بئر سبع التى رحبت بقدومه ترحيباً حاراً وعانقته عناقاً طويلاً في لهفة وشوق زائد وأخذت تستفسر منه عن أحواله وأحوال الأسرة جميعاً وأحوال والدتهم لأنها تجد صعوبة كبيرة في زيارتهم لانشغال زوجها الدائم في أعماله وفى تنقلاته وغيابه عن المنزل لفترات طويلة .. وعندما هدأت لهفة الأشواق واستقر على أحد المقاعد الوثيرة لاحظ من تفحصه وإلقاء نظرة فاحصة على جنبات المنزل أنه منزل حديث ومفروش بفرش عصرى فخم ومقاعد وثيرة وستائر مسدلة على النوافذ وسجاد يفترش الأرضيات .. وأن المنزل ليس به من الطابع البدوى سوى ركن بجوار مدخل المنزل مفروش بشلت قطنية للجلوس، ومساند ومضاجع مزركشة مصطفة في نصف دائرة على سجادة فخمة يتوسطها طاولة نحاسية مستديرة بنقوش عربية جميلة .. وعندما أسر لها عن ملاحظته هذه بابتسامته الهادئة سارعت بقولها بأنها مثل طائر حبيس فى قفص من ذهب وأنها تفتقد العيش في المنزل الكبير وسط الأهل والأحباب والحرية في الدخول والخروج وتبادل الزيارات مع الأهل والأحباب ..

في هذه الأثناء دخل عليهما طفل صغير اندفع باكياً لأحضان أمه وأخذ ينظر إليه بعينيه الواسعتين كعيني أمه فأخذ يونس في مداعبته .. ولكنه ظل ملتصقاً بصدر أمه .. وأخبرته بأنها أسمته (صالح) على أسم والدهما رحمة الله عليه .. ثم اصطحبته ليجلس في الركن العربي.

حـــوار الثعــالب

بقى يونس مع شقيقته يتجاذبـان الحديث وذكريـات المـاضي السعيد تارة وتارة أخرى ينهمك في مداعبة هذا الطفل الجميل حتى أنس له وبـدأ في مبادلته اللعب وقد عاش هذه اللحظـات فـي سـعادة غـامرة أنسـته مـا كان يعانيه مـن حـزن وشـقاء، وأخـيراً وصـل الشـيخ سـويلم ورحـب بـه بحرارة ثم استأذنت الزوجة وقامت لتعد الطعام لهما ..

استشعر يونس بحسه بأن شيئاً مـا كـان يعتمـل فـي داخـل ابـن عمـه الشيخ سويلم الذى كان يحـاول جـاهداً إخفـاءه وقـد عـزا يونـس ذلـك إلـى احتمال أن يكون سببه الإرهـاق فـي العمـل وخلافـه .. ولكـن تزايـد هـذا الإحساس بعد ما أحضرت الزوجة الطعام علـى صينيـة نحاسـية كبـيرة.. ووضعته على الطاولة والتفوا حولها، وكانت الشـقيقة دائمـة الحديـث فـي مواضيع شتى عن شئون المنزل ومشـاكل الطفـل، ومـن آن لآخـر تقـوم بواجب الضيافة لشقيقها بمـا هـو معـروف عـن الكـرم البـدوى، كـل ذلـك والشيخ صامت شارد الذهن لم ينبس ببنـت شـفة حتـى رفـع الطعـام.. ثـم قامت الزوجة لتعد لهما القهوة العربى ..

نظراً لهذا الموقف وما أستشعره يونس ففضـل الصمـت وقـرر عـدم مفاتحة الشيخ في أي شيء في الوقـت الحـالى وانتظـر منصتـاً بانتبـاه لـه لأنه شعر بأن زوج شقيقته الشيخ يحاول إبلاغه بأمر مـا .. ولـم يمضـى وقت طويل .. وأثناء شربهم القهوة، فقد صدق إحساسه وتوقعه، اعتـدل الشيخ سويلم في جلسته والتفت إليه في جديـة بالغـة وقـال لـه: إن ضـابط المخـابرات الإسـرائيلي أبـو إبراهيـم اسـتدعاني أمـس وأبلغنـي بـأنك قـد حضرت عن طريق اللنش قادماً مـن القـاهرة ..فقـال يونـس: ومـاذا كـان ردك عليه ؟ قال الشيخ : طبعـا خشـيت أن أنكـر معرفتـى بذلـك لأن لهـم عيوناً كثيرة ولذلك قلت له بلغنى ذلك .. ولكنـى لـم أذهـب الـى المنطقـة

حتى الآن لمقابلته .. ولكنني شعرت بأنه لم يستسغ هذه الإجابة مني .. فبادرته وقلت له: أنت تعرف أنني ويونس على خلاف كبير من قبل .. وأنه الوحيد الذى كان يعارض زواجي من شقيقته وكان دائم التحريض لأفراد القبيلة ضدى بعد أن أصبحت شيخاً للقبيلة عقب وفاة والده .. وخاصة بعد معرفته بعلاقتي معكم ..

فسأله يونس: وماذا طلب منك ؟.

قال الشيخ بعد لحظة ورأسه منكس إلى الأرض: طلب مني تقريراً شاملاً عن الأسباب التى دعتك للحضور إلى سيناء .. وطلب مني أن أقوم بمراقبتك مراقبة دقيقة لكافة تحركاتك والاتصالات التى تقوم بها .. وبعد فترة من الصمت استطرد قائلاً : ثم طلب مني أن أصحبك إليه لأنه يريد مقابلتك في مكتبه هنا فى بئر سبع ..فقال يونس فى دهشة: وهل حدد موعداً لهذه المقابلة ؟، أجاب الشيخ: لم يحدد .. ولكن من كلامه وتصرفاته تتضح أهمية طلبه لرؤياك .. وأن تتم مقابلتك فى أسرع وقت ممكن .. ثم استطرد الشيخ قائلاً : والله يا ابن العم أنا رأيي أنك تقابله .. وتشوف طلباته منك إيه .. ثم صمت متفرساً فيه ليرى رد فعله عليه .. هنا استشعر يونس بوجود خطر قادم فقرر على الفور مراوغة الشيخ وعدم إظهار أى انفعالات أو أى مظاهر للقلق والشك قد تبدو على مظهره أو تصرفاته .. فقد سيطر على كل انفعالاته .. وبكل هدوء وافق على الرأي الذى عرضه الشيخ مظهراً عدم الاكتراث حتى لا يزرع أى شك فى نفسه تجاهه .. وفى نفس الوقت لكى يكسب وقتا للتفكير والتصرف في هذا الموقف.

طلب يونس من زوج شقيقته الشيخ إعطاءه مهلة لبعض الوقت لإنهاء بعض متعلقات لوالدته واخوته وكذلك مقابلة باقى الأهل والأصدقاء الذين يتوافدون إليه باستمرار للترحيب به حتى يتفرغ لمقابلة ضابط المخابرات

الإسرائيلي أبو إبراهيم ..لاقى هذا القول قبولاً .وارتياحا من الشيخ فوافقه على ذلك وقال له: هذا نعم الرأى يا ابن العم ...

عاد يونس إلى منزله محملاً بأثقال من الهموم بالرغم من فرحته الشديدة بلقاء شقيقته بعد فراق هذه السنين تتقاذفه مشاعر متباينة من التشكك والخوف من الفشل فى تحقيق مهمته بالداخل، فانفرد بنفسه وأخذ يتدارس بهدوء وحكمة فى هذا الموقف الذى فُرِضَ عليه. وكان خير معين له على إتخاذ القرار السليم هو التدريب والتلقين الجيد الذى كان قد حصل عليه من أبو خالد، فقد كان يشعر فى قرارة نفسه بوجوده معه فى هذه اللحظات الحرجة يحثه ويشجعه بكلماته الهادئة ويثبت من عزيمته. وبعد استعراضه لكافة الجوانب اتخذ قراره بعدم مقابلته لهذا الضابط الإسرائيلي لأن إتمام هذه المقابلة سيكون فى صالح المخابرات الإسرائيلية بحكم وجوده فى قبضتهم الآن وسيترتب على ذلك تداعيات لكافة جوانب مهمته وأوضاع أسرته بالداخل وأهم شيء هو عدم تحقيق الهدف الرئيسى وهو تكوين الشبكة بالداخل. وعليه يجب المراوغة لكسب الوقت والإسراع فى اختيار أعضاء الشبكة واختيار وتحديد مكان عملها.

أسرع يونس فى إجراء المقابلات للأفراد المرشحين للعمل معه في المجموعة، وقد استفاد كثيراً من تبادل الأحاديث الطويلة معهم فقد وقف على معلومات وأخبار كثيرة ذات قيمة , سيكون لها فائدة كبيرة في طبيعة تكوين وعمل الشبكة بالداخل. وكان كلما مر عليه يوم بأحداثه يتأكد باليقين أن مأمورية الاستطلاع هذه تعتبر على درجة كبيرة جداً من الأهمية فقد أفادته في معرفة متغيرات كثيرة جداً حدثت فى هذا المجتمع البدوى .. خلفتها أحداث العدوان والاحتلال الإسرائيلي بالعمل على إفساد هذا المجتمع المسلم الطاهر وشبابه البكر بأساليبهم الجهنمية المختلفة .. فقد عرف بأن الكثير من أبناء القبائل يذهبون للعمل داخل إسرائيل نظير أجور مرتفعة وذلك لسد النقص في الأيدي العاملة التى تقوم بكافة

الخدمات المختلفة داخل إسرائيل بسبب وجود الجنود الإسرائيليين على جبهات القتال العربية في سيناء والجولان وغيرها ... وفي نهاية الأسبوع وعند عودة هؤلاء الشباب إلى ديارهم ومحافظهم مليئة بالليرات الإسرائيلية من أجورهم التى استلموها.. يتم استدراجهم إلى بيوت الدعارة المنتشرة على طرق العودة .. ويتم إغواؤهم بقضاء أوقات ممتعة في تناول الخمور وفي شرب أنواع المخدرات ثم بعد ذلك قضاء سهرات حمراء مع بعض العاهرات الجميلات من اليهوديات... وفي صباح اليوم التالى يجد هؤلاء الشباب أنهم قد أنفقوا كل مدخراتهم في تلك الأماكن نظير بعض المتعة المحرمة .. وعلى هذا يكونون قد نجحوا في إفساد هذا الشباب البكر الطاهر وبث قيم الرذيلة والعادات السيئة فيهم والإطاحة بالقيم والأخلاق الكريمة والمبادئ الإسلامية التى تربى عليها هذا الشاب البدوى من أبناء شعبنا الطيب ..وأيضاً قد نجحوا فى استرداد أموالهم مرة أخرى .. وجعلوا هؤلاء الأبناء في حاجة دائمة للعمل داخل إسرائيل لكى يتمكنوا من الإنفاق على شهواتهم وملذاتهم، وتكون السلطات الإسرائيلية قد نجحت فى الحصول على العمالة التى يفتقدونها مجاناً !! ظل يونس مشغولاً بما يقوم به من أعمال واتصالات تستغرق كل وقته وتفكيره .. فقد كان في سباق دائم مع الوقت .. حتى أسرته قد افتقدت وجوده بينهم بحجة قضائه أوقاتاً كثيرة خارج المنزل في زيارات لبعض الأصدقاء والأحباب..

كان يونس فى قمة انشغاله .. بينما وصله رسول من قبل ابن عمه الشيخ يستعجله في الحضور إلى بئر سبع لأنه يريد مقابلته فى أمر هام.. وهنا توقع بأن هذا الطلب بخصوص تحديد الموعد الخاص بمقابلة ضابط المخابرات الإسرائيلية .. فأرسل إليه يونس رداً مع الرسول لتهدئته بأنه سيكون جاهزاً خلال فترة قصيرة .. وأنه سيكون تحت تصرفه بعد ذلك..

زاد يونس من نشاطه فقد كان في سباق مع الزمن بعد هذه الرسالة التى بعثت القلق في نفسه والتى تلقاها من الشيخ .. فقد بات واضحاً أن ضابط المخابرات الإسرائيلى قد وضع أمره ضمن أولويات اهتماماته ..فبعد أن اطمأن إلي سلامة الترتيبات التى أتخذها والعناصر التى قام باختيارها لمساعدته للعمل بالشبكة واطمأن على قيامه بإنجاز المهام المكلف بها، لذا عقد العزم على الرحيل قبل أن تتطور الأمور.. ويبدأ ضابط المخابرات الإسرائيلى في البحث عنه بواسطة عملائه ومطاردته، فتتعقد عملية هروبه من المنطقة.

فى صباح اليوم الذى اعتزم فيه يونس الرحيل قام بعمل اتصالات بأفراد المجموعة وطلب منهم مقابلته في المكان الذى تم الاتفاق عليه ليكون مركزا لعمل المحطة أو الشبكة .. ولكنه لم يفاتح أى فرد سواء من أسرته أو أصدقائه بهذا الأمر بل على العكس فإنه لم يغير من أسلوب تصرفاته اليومية المعتادة حتى لا يلاحظ أى فرد أى تغيير قد يشكك في أمره ..

دخل يونس على أمه بعد أن انتهز الفرصة المناسبة لذلك فهى الشخص الوحيد الذى لا يستطيع أن يخفى عنها شيئاً .. وبنظرة منها في عينيه شعرت بما يعتزم أن يبلغها به فأطرقت برأسها وقالت له: هل دنت ساعة الرحيل ؟ وأجابها يونس بالإيجاب وقلبه ينفطر من الحزن على فراقها .. ثم طلب منها الدعاء له بالتوفيق في طريقه .. لأنه سيرحل سراً في هذه المرة .. واندفع في أحضانها كالطفل الصغير وأخذ يقبلها ويطلب مرضاتها ودعاءها له ..

ظلت تدعو له بالسلامة والتوفيق وألم الفراق يعتصر قلبها الواهن الضعيف، حتى خرج من عندها وهو يغالب مشاعره حتى لا يشعر أحداً بما يعتمل في نفسه ثم أخذ طريقه بمفرده إلى المكان المتفق عليه لمقابلة المجموعة .. عندما أكتمل عقد الجماعة بدءوا في الاستفسار منه عن

السبب في دعوته للقائهم فى مثل هذا الوقت، فقد كان القلق بادياً على قسمات وجوههم .. فأخذ يطمئنهم ويثبت من روعهم وأبلغهم بعد لحظة صمت أنه قد اعتزم مغادرة المنطقة الليلة تمهيداً لعودته إلى القاهرة .. ولكن بطريقة سرية .. ثم استرجع معهم التعليمات التى قام بتلقينها لهم حتى اطمأن على استيعاب كل فرد لدوره في العمل. ثم قام بتلقينهم بالرسائل الكودية التى سيتم بعثها لهم عبر برامج الإذاعات المختلفة والتي تحدد لهم الأماكن ومواعيد توقع وصوله للداخل ليقوموا باتخاذ الترتيبات اللازمة لنقله إلى المنطقة ..

بعد أن اطمأن يونس على سلامه كل الترتيبات طلب منهم العودة إلى مناطقهم فى هدوء واستخدام الحيطة والحذر فى كافه تصرفاتهم وتوقع ازدياد نشاط عملاء المخابرات الإسرائيلية فى المنطقة بعد اختفائه للبحث عنه ومطاردته .. فلابد من اليقظة التامة والحذر البالغ للمحافظة على أمنهم الشخصي وأمن العملية.. ثم قام بتوديعهم فرداً فرداً بحرارة متمنياً لهم التوفيق وتمنوا له سلامه العودة.. وطلب من أحدهم الانتظار معه وعندما أسدل الليل أستاره طلب من رفيقه أن ينقله معه على ناقته إلى منطقه العريش و قد سلكا دروباً وعره فى الجبال وداخل الصحراء لتفادى المناطق التى يوجد بها نشاط للقوات الإسرائيلية.. وعندما وصلا إلى مشارف المدينة نزل يونس و طلب من رفيقه العودة إلى حيث كان من نفس الطريق الذي كانا قد سلكاه..

وبدأ طريق الأهوال

انتظر يونس وهو يرقب رفيقه وهو يبتعد حتى اختفى تماماً فى داخل هذا الظلام.. ثم تقدم متسللاً إلى المدينة ومحتمياً بهذه الظلمة الحالكة ومستخدماً طرقاً ودروباً غير مأهولة حتى وصل إلى المكان الذي كان قد تم تحديده له بواسطة الرائد أبو خالد فى تلقينه النهائي بالمهمة

باللجوء إليه في حاله وجود أى خطورة عليه. ووجد يونس هذا المكان مهجوراً وليس به أى حياة.. فأخذ يدور حوله بحذر ويتلفت حوله ربما يكون قد أخطأ المكان ولكنه سمع صوتاً خافتاً ينادى عليه باسمه الحركى صادراً من أحد الأركان فارتعدت فرائصه واختبأ بسرعة فى أحد الأركان المهجورة ولم يجب.. ثم بعد فتره صمت سمع هذا الصوت ينادى عليه بكلمه السر المتفق عليها مره أخرى فأطمئن له وتوجه ناحية هذا الصوت فوجد باباً ينفتح فى هدوء وطلب منه أن يدخل.. فلما دخل أقفل الباب من خلفه فتسمر يونس فى مكانه.. وكان الظلام حالكاً.. وبعد فتره صمت تسلل إليه ضوء خافت كان ينبعث من لمبة جاز فأخذ يتلمس طريقه من خلال ممر حتى وصل إلى مكان هذا الضوء فوجد فى نهايته غرفه ليست بالكبيرة ويتوسطها رجلان يرتديان الملابس الإفرنجية وأخذا يتفرسانه لبرهة.. ثم قاما بالترحيب به واستفسرا منه عن سبب تأخره لمثل هذا الوقت فأخبرهم بأنه كان يستخدم دروباً بالصحراء وداخل الجبال غير مأهولة لتفادى المناطق التي بها نشاط للقوات الإسرائيلية.. ثم قام أحدهما إلى موقد كيروسين موجود بركن الغرفة وذلك لعمل شاى له.. و تقديم واجب الضيافة لـه من الطعام الخفيف الذي كان موجوداً على طاوله صغيره فى أحد أركان هذه الغرفة.. ومن كثره ما لاقاه وقابله من أحداث طوال اليوم جعله ينسى أنه لم يتناول أى طعام!!.. ولا حتى كسره خبز جاف! ولهذا فقد راقه عرضهم بتناول بعض الطعام فقد جاءت هذه الضيافة فى وقتها لأن الجوع قد بلغ منه مبلغاً عظيماً.

كانت أصوات موتورات الدبابات والعربات المدرعة المتحركة في عمق الصحراء المنبسطة تشق سكون الليل البهيم وتتناهى إلى مسامعه فتضفي على هذا الجو الغموض والرهبة . وكان يونس قد انتهى من تناول بعضاً من هذا الطعام المتاح وحمد الله كثيراً على ذلك وبدءوا فى شرب الشاى.. ثم أخبره أحد الرجلين بأنه سيقضي الليل معهما فى هذا

المكان. وفى الصباح الباكر سوف يتركانه لعمل الترتيبات اللازمة لنقله إلى منطقة أخرى.

فى هذا الجو الغامض المشحون بالتوتر والحذر والترقب وفي هذا السكون الرهيب الذى يحيط بالمنطقة التى لا تصلح إلا إن تكون مكان للأشباح والموتى قضى يونس ليلته لم يذق فيها طعم النوم أو الراحة رغم ما كان يعتريه من شدة التعب مما عاناه طوال اليوم والمجهود الجسدى الذى بذله فى تحركاته السريعة التى كان يسابق فيها الزمن والسفر على ظهر جمل كان يسلك مسالك فى منتهى الوعورة خلال الجبال والهضاب بعيداً عن أماكن تواجد المواقع الإسرائيلية المنتشرة بالمنطقة مما كان يضطرهما للنزول من على الجمل والسير لمسافات طويلة لصعوبة هذه المسالك. وكانت الرياح تهب قوية فى الصحراء تحمل رمالاً كثيفة وهواءً دافئاً يصطدم بنوافذ هذا المكان ويتسلل من الفتحات الكثيرة الموجودة به فتحدث صفيراً مخيفاً لم ينقطع طوال الليل، وقبل طلوع الشمس قام الرجلان وتوجه أحدهما لإيقاظه ولكنه وجده جالساً متيقظاً.

استأذن منه الرجلان فلابد أن يخرجا لمهمتهما، وقبل مغادرتهما وجه إليه أحدهما بعض التحذيرات وطلب منه السكون فى مكمنه وعدم إصدار أى أصوات قد تؤدى إلى لفت الانتباه إلى المكان وكذلك عدم التطلع من خلال الباب أو الشباك ..

أطرق يونس برأسه إلى الأرض وابتسم فى استسلام وقال فى قرارة نفسه يعنى كأنني ميت ... ثم استطرد الرجل الأخر وأخبره بأن شخصاً سوف يحضر إليك على فترات متباعدة للاطمئنان عليك وإحضار بعض الطعام والمياه . ثم قاما بتوديعه وانصرفا. ظل يونس فى مكمنه هذا يتعجب ويتأمل فيما صارت إليه الأحوال فى هذه المدينة الجميلة .. فلم يكن يتصور

أن هذه المنطقة الموجود بها الآن تقع في مدينة العريش ! فقد أصبح الكثير من مبانيها خرائب وأطلال... بعد أن هجرها الكثير من أهلها هربا من بطش هذا العدو الإسرائيلي واستفزازاته المستمرة والمعاملات اللاإنسانية التى يمارسها ضد الأهالي.

وعندما أنبلج نور الصباح بث فى نفسه الهدوء و السكينة.. إنه فى حالة غير مستقرة وفى حاجة ماسة إلى أن ينال قسطا من النوم .. فقد شعر بالتعب والإرهاق تسرى فى أوصاله وخاصة الإرهاق النفسي الذى كان يطبق على صدره من جراء تركه أسرته في هذه الظروف ولا يعلم ماذا سيكون مصيرهم أو التمزق النفسي الذى كان يعتصر قلبه كلما تذكر نظرات والدته المريضة التى تركها رغماً عن إرادته، كذلك اخوته الصغار وهو لا يعلم ما سيئول إليه مصيرهم المجهول ! كذلك زملاءه الذين تركهم ولا يعلم إلا الله ماذا سيكون مصيرهم وماذا سيكون مصيره في رحلة المجهول التى تنتظره وهو قابع فى مكانه ! ولكنه استسلم لله عز وجل ورفع عينيه إلى السماء ضارعاً إلى الله واستسلمت عيناه للنوم.

استيقظ من سباته وهو لا يعلم كم مضى عليه من الوقت وهو نائم فقد كان المكان مظلماً كعادته ولكن بصيصاً من ضوء النهار كان يتسلل من خلال الفتحات الموجودة في شباك الغرفة التى كان قابعاً فى أحد أركانها لا يبرحه .. وبينما هو سابح فى تفكيره تتقاذفه الهواجس والأفكار فيما وصل إليه وما سوف ينتظره من مجهول لا يعرفه ! فمصيره أصبح مرهوناً بيد هذين الشخصين الذين لا يعرفهما والذى وضح له من حديثهما وهيئتهما بأنهما ليسا من أبناء البادية ولكنهما قطعاً من أبناء مدينه العريش . شعر بظل يتحرك فى الغرفة !! تسمر فى مكانه من شده الفزع ثم أخذ يرفع رأسه ببطء ليتحقق مما شعر به فإذا بفتى نحيل البنية واقفاً أمامه، أخذ يتفرسه وعندما التقت عيونهما ابتسم له هذا الفتى الذى كان عمره لا يناهز الإثنى عشر عاماً على الأكثر

وكان يحمل فى يده شنطة صغيرة بها بعض الطعام وفى اليد الأخرى جركن مياه ..

ألقى عليه هذا الفتى النحيل التحية وأخذ يتحرك بالغرفة بنشاط لا يوحى به حجمه النحيل ثم وضع المتعلقات التى كانت معه فى ركن الغرفة ثم تناول بعض الأغراض التى كانت مبعثره ووضعها داخل الحقيبة ثم أستأذنه فى الانصراف واختفى قبل أن يفيق يونس من دهشته.. كيف دخل.. كيف وصل إليه..؟ حتى إنه لم يعرف اسمه ؟؟

ظل يونس فى مكانه هذا ثلاثة أيام لم يكن يؤنس من وحدته إلا هذه الدقائق القليلة التى كان هذا الفتى النحيل يحضر إليه فيها فى فترات غير منتظمة ليحضر له فيها الطعام والماء حتى انه كان لا يستطيع إشعال سيجاره أثناء الليل خوفاً من أن ينكشف المكان لأي عميل من عملاء العدو أو إحدى الدوريات السيارة المنتشرة. وفى مساء اليوم الرابع حضر إليه أحد الشخصين وأخبره أن موعد تحركه قد حان واصطحبه متسللين عبر طرق مختلفة غير مأهولة فى المدينة إلى أن خرجا خارجها واستمرا فى المسير حتى وصلا إلى مكان التلاقي فوجدا شخصاً من البدو ولكنه ليس من قبيلة يونس واقفاً بانتظارهما خلف تله صغيره من الرمال ومعه جمل وأخبره هذا الشخص بأن هذا دليلك الذى سيقوم بتوصيلك ثم قام بالشد على يديه مصافحاً بحرارة متمنياً لهما السلامة و التوفيق فى رحلاتهما وأعطاه ما معه من مياه وطعام وشاى وسكر.. ثم انطلقا فى رحلتهما تحت جنح الظلام. ظلا فى مسيرهما ثلاث ليال لأنهما كانا يسيران ليلاً فقط ويختبئان نهاراً داخل أحد الكهوف فى الجبال أو فى ظل الأشجار الشوكية التى كبرت وتضخمت فى هذه المناطق المهجورة التى حرمت على المواطنين حتى أصبحت تستطيع أن تختفى بداخلها حتى الدبابة والعربة المجنزرة ..وكان السير في هذه المناطق محفوفاً بالمخاطر

سواء من كمائن العدو غير معروفة أماكنها أو من الذئاب والضباع والأفاعي السامة التى تضخمت مع مرور الزمن فى تلك الأماكن المحرمة. وكانت كمية المياه محدودة فكان شرب المياه لآ يتم إلا أثناء السير وبقدر قليل ومحدود حتى لا تنفذ الكمية أما الطعام فلا وقت له فيكفى القليل بضع لقيمات فقط تقيم الأود..

وأخيراً وصلاً إلى مكان مقابلة أخر يقع شرق منطقة تسمى جبل أم خشيب في وسط سيناء وهناك تقابلا مع دليل آخر اصطحبه وسار به عبر دروب ومسالك شاقة لا يعرفها إلا دليل خبير حتي وصلا إلي مكان داخل الجبل عبارة عن مغارة أو كهف مغطي مدخله من الخارج ببعض النباتات الشوكية الكثيفة التي تساعد علي إخفائه عن أي عين. استقرا داخل هذه المغارة لأخذ قسط من الراحة ثم قام هذا الدليل البدوي واستأذن منه في الانصراف لإبلاغ مجموعته بوصوله ..

علي الجانب الآخر في القاهرة .. كان الرائد أبو خالد قد نجح في الحصول علي راحة لعدة أيام قرر أن يقضيها مع أسرته في الإسكندرية ليخرج من دوامة العمل المستمر هذه .. ويريح أعصابه من التوتر والشد العصبي الناتج من هذا العمل وأحداثه المتلاحقة وأيضاً تكون فرصة مناسبة ليتواجد مع أسرته وقضاء وقت أطول بينهم .. لأنه كان يحس بافتقادهم الشديد له لطول فترات تغيبه عنهم بسبب ما تقتضيه طبيعة ظروف عمله علي الرغم من أنهم لم يظهروا له أي نوع من التذمر .. أو طلب الذهاب في رحلات إلي المصايف كباقي أقرانهم .. لأنهم كانوا يقدرون طبيعة عمله والظروف التي تمر بها البلاد.

عندما أبلغهم الرائد بهذا النبأ السعيد اندفع ابنه الصغير محمد إليه بفرحة وسعادة غامرة قائلا له : منذ عدوان ١٩٦٧ وحتي الآن ونحن محبوسون في هذه الشقة .. ولم نذهب إلي المصيف أو أي مكان آخر ..

حتي إنك مش فاضي إنك تجلس معنا وقت كبير .. وتلعب معايا .. أو تخرجنا في نزهة في حديقة أو حتي في النادي .. وهنا قاطعته والدته قائلة .. خلاص يا طويل اللسان .. أهو بابا حقق لك كل أمانيك وسنسافر باكر بإذن الله .. وشوف بقي الأشياء التي تريد أن تأخذها معاك علشان أضعها لك في الشنطة. كانت سعادة الأسرة الصغيرة بالغة بهذه الإجازة رغم صغرها .. قامت الزوجة بهمة ونشاط بتجهيز متطلبات السفر الخاصة بهما وبطفليهما محمد وإنجي حتي انتهت من تجهيز الحقائب الخاصة بالسفر، مضي يومان من الإجازة وقد كانت الأسرة تستمتع بالوقت الذي يقضونه معاً بسعادة غامرة .. ففي النهار ينزلون إلي الشاطئ الرملي ويقضون يومهم بين أحضان الموج الدافئ وكان الصغيران يستمتعان باللعب علي رمال الشاطئ وتكوين أشكال أو بيوت في الرمال أو يتقاذفون الكرة في سعادة ونشوة، وفي المساء يذهبون إلي الملاهي أو يقومون بالتمشية علي الكورنيش وسط أفواج المصطافين يتناولون المرطبات والحلوى وبعض الساندويتشات الجاهزة التي يحبها الصغار وعندما يعودون يلتفون حول التليفزيون يتبادلون الحكايات والقفشات والنكات .. والطفلان يجلسان في أحضان والديهما في حب وسعادة حتي يغلبهما النعاس ..

في اليوم الثالث نزل أفراد الأسرة كالعادة لقضاء يوم آخر جميل في أحضان المياه الزرقاء وكان الرائد وزوجته يجلسان في استرخاء تحت إحدى الشماسي المنتشرة علي رمال الشاطئ .. والطفلان يلهوان بلعبهما البريء علي الرمال أمام أعينهما .. ثم قام الرائد وحمل الطفلين معه إلي داخل المياه .. وكلما توغل للداخل كانت الأمواج المتلاحقة تصدمهم فيتعالى صراخهما في سعادة بالغة .. وهكذا مر الوقت سريعاً في هذا اللعب البريء والسعادة الغامرة حتي أوشكت شمس اليوم إلي الميل ناحية الغروب فخرجوا من الماء متوجهين إلي المنزل .. وبمجرد وصولهم إلي

داخل المنزل دق جرس التليفون ورفع الرائد السماعة .. بينما أسرع الجميع إلي الالتفاف حوله في صمت ووجوم وتوتر .. فقد تولد لديهم إحساس بأن خطباً ما سيحدث.

كانت إجابات الرائد علي التليفون باقتضاب وظهر علي وجهه علامات الانزعاج والتوتر .. وبعد أن أنهي المكالمة طلب من أفراد أسرته تجهيز أنفسهم للسفر إلي القاهرة في الحال .. كان الوجوم والصمت مسيطراً علي أفراد الأسرة وهم جالسون داخل السيارة التي كان يقودها بنفسه طوال الطريق من الإسكندرية إلي القاهرة .. فقد تهدمت فجأة قصور الأحلام والأماني التي كانت في مخيلة الزوجة والصغيرين بقضاء أوقات سعيدة .. وجميلة .. وهم مجتمعون لأول مرة في إجازة علي الشاطئ الساحر .. في الإسكندرية ..

كان الرائد شارداً بذهنه في تفكير عميق فيما سمعه من قائدة في هذه المكالمة بخصوص ٢٦٠ .. فماذا حدث ؟، لأن المحادثة من خلال التليفون كانت مقتضبة ولم يرد بها أي تفصيلات قد تريح أعصابه .. ورغم أن القائد قد طمأنه علي موقفه فإنه كان بادئ الأمر قلقاً مهموماً وأخذ يفكر في كافة الاحتمالات التي يمكن أن تكون قد حدثت .. وعندما لاحظت عليه الزوجة ذلك بدأت في اختلاق موضوعات مختلفة للمناقشة وشغله عن أي موضوعات تشغل فكره وتبعده عن التركيز في قيادة السيارة في هذا الطريق الصحراوي خاصة وأن سواد الليل كان حالكاً وقد يشكل ذلك خطورة علي حياتهم ..

كان صامتاً مفكراً وعندما وصلت الأسرة بسلام إلي منزلهم بالقاهرة تركهم وتوجه علي الفور إلي مكتبه بالإدارة .. وعندما وصل كان الليل علي وشك الانتصاف .. ووجد القائد في انتظاره .. وقدم له اعتذاراً رقيقاً عن قطع أجازته.. وكانت علامات القلق مازالت ترتسم علي وجهه

ولكن القائد أخذ يشرح لـه بـأن السبب فـي ذلـك يرجـع إلـي ورود برقيـة لاسلكية من شبكة المعلومات الموجودة في منطقة أم خشيب بوسط سـيناء تفيد بـأن ٢٦٠ موجـود طرفهم بعد أن تمكـن مـن الهـروب مـن منطقتـه ويطلب الأذن بالحضور .. وقد قاموا بإخفائـه فـي مكـان أميـن ويطلبـون تعليمات بالتصرف.

بدأ أبو خالد علي الفور فى تنفيذ الخطة التى كان قد وضعها لإخلائه من الداخل فـى حالـة هروبـه مـن المنطقـة، وهـى بـأن تقوم مجموعـة أم خشيب بتجهيز دليل ذو خبرة جيدة يقـوم بتوصيلـه إلـى منطقـة مقابلـة محددة تقع غرب جبل أم خشيب لمقابلـة منـدوب اتصـال لـه خبـرة جيدة بالمناطق شرق قناة السويس حتى جبـل أم خشـيب سيتم دفعـه إليـه عـبر القناة من خـلال إحدى نقـاط الدفـع التـى يتـم تحديدهـا ثـم يقـوم بمرافقتـه وإحضـاره إلـي الشـاطئ الشـرقي للقنـاة.. وعنـد وصولهمـا سـيتم دفـع مجموعة التقاط بحرية مخصصة لهذا الغرض بطريقة سرية إلى الشاطئ الشرقى للقناة لسـحبهما، وتـم تحديـد أمـاكن المقابلـة وتوقيتـات تنفيـذ كـل مرحلة بكل دقة.

قام الرائد بإرسال برقية لاسلكية إلى مجموعـة أم خشـيب للبـدء فـي تنفيذ دورهم بالخطة والإبلاغ عن موعد تحركه إلى مكان المقابلة لاتخـاذ الـلازم، ثـم توجـه إلـى الإسـماعيلية بمنطقـة الجبهـة لاتخـاذ الترتيبـات والتجهيزات الخاصة بعملية الدفع والالتقاط من خلال قناة السويس.

فـي الموعـد المحـدد لتنفيـذ المأموريـة وعنـد حلـول الظـلام وصـل أبوخالد ومجموعة الدفع إلي منطقة عملها المحددة علـي الشـاطئ الغربـي للقناة لعمل التجهيزات اللازمة لعملية دفـع منـدوب الاتصـال وبـدأ العمل بنشـاط وهـدوء تـام حتـي لا يتم جذب انتبـاه جنـود العـدو الموجوديـن بمواقعهم علي الشاطئ الشرقي للقناة ..

وبعد إنتهائهم من تنفيذ عملهم، نزل المندوب إلى القارب المعد له مودعاً بالدعوات الحارة والتمنيات من الله عز وجل بالتوفيق له من الرائد والمجموعة الموجودة، فهو فى المقام الأول أخ شقيق وزميل من المجاهدين فى خدمة القوات المسلحة. وكان القارب يتمايل على صفحة مياه القناة فى هدوء رغم عواصف هذا الموقف الحماسى داخل النفوس المترقبة حتى اختفى عن الأنظار فى ظلمة هذا الليل الحالك السواد.

كانت هناك مجموعة أخرى من الضفادع البشرية المصرية متمركزة علي الشاطئ الشرقي لتأمين منطقة الدفع ومراقبة تحركات ونشاط قوات العدو في المنطقة لتأمين تحرك وعبور المندوب من خلال منطقة نشاط الدوريات والكمائن الليلية للقوات الإسرائيلية الموجودة علي البر الشرقي ..

بعد أن اطمأنت مجموعة التأمين علي سلامة عبور المندوب للمرحلة الأولى بسلام.. قامت بإعطاء الإشارة الخاصة بتمام التنفيذ.. وعلي الفور قامت المجموعة الموجودة علي الشاطئ الغربي بسحبهم في سكون بالحبل المتصل بالقارب وتم إخلاء المنطقة بسرعة وصمت وسكون من المعدات والأفراد وتجمعهم خلف أحد السواتر بمنطقة خلفية ثم عادوا بنفس الطريق إلي القاعدة بالإسماعيلية ..

وبحسب التوقيتات المحددة وردت برقية لاسلكية من مجموعة أم خشيب تفيد بتمام تنفيذ عملية التلاقي بسلام وأن المجموعة فى طريقها إلى الغرب. وعلي الشاطئ الغربى للقناة وفي المنطقة المحددة كان الرائد ومجموعة الالتقاط البحري في انتظار وصول ٢٦٠ ومرافقه، وقد قامت المجموعة باتخاذ كافة الترتيبات اللازمة لتنفيذ العملية في سرية وسكون تام حتى لا تكشف وسائل الاستطلاع الإسرائيلية على الجبهة وجود نشاط غير طبيعى فى هذه المنطقة ..

كان الوقت يمر ببطء ثقيلاً كالدهر علي المجموعة .. والتوتر والقلق والترقب يسيطر علي الرائد أبو خالد الذي كانت عيناه لا تفارقان منظاراً للرؤية الليلية الذى يحمله معه ويراقب من خلاله منطقة وصولهما علي الضفة الشرقية . كان السكون يغطي المكان لا يقطعه إلاّ بعض أصوات تراشقات متبادلة بنيران بعض الأسلحة عبر القناة بين بعض مواقع القوات المصرية والمواقع الإسرائيلية .. وكانت الطلقات المضيئة المنطلقة من بعض المواقع تقطع ظلام الليل وتتلألأ في السماء لفترة وينعكس ضوئها علي هذه الوجوه المتحفزة في صمت وترقب ..

عندما انتصف الليل صدرت الإشارة المتفق عليها من علي الشاطئ الشرقي للقناة من الجهاز اللاسلكي الصغير الذي يحمله مندوب الاتصال تفيد بتمام وصوله إلي الموقع .. وعلي الفور دبت الحياة في هذا المكان الساكن وأصبح كخلية النحل كلّ يقوم بتنفيذ واجبه بنشاط وسكون ..وتم سحب مندوب الاتصال وزميله ٢٦٠ من الشاطئ الشرقي بواسطة مجموعة الضفادع البشرية بسرعة إلي الشاطئ الغربي وبمجرد وصولهما تم إخلاء المنطقة بنفس الأسلوب من السرعة والنظام والهدوء وإعادة كافة الأوضاع السابقة إلي ما كانت عليه .. والتأكد من عدم وجود أي آثار قد تفيد استطلاع القوات الإسرائيلية في ملاحظة حدوث نشاط غير طبيعي في هذه المنطقة .. وبمجرد خروجهما من القارب المطاطي بعد وصوله إلي الشاطئ الغربي وجدا الرائد أبو خالد في انتظارهما يمد يده إليهما معانقاً بشوق وحرارة ومهنئاً علي وصولهما بسلامة الله .. ثم اصطحبهما معه في السيارة متوجهاً إلي مكان آمن بالمدينة خاص بمكتب المخابرات الحربية لقضاء الليلة به ..

كانت الساعة تقترب من الرابعة صباحاً عند وصولهم لهذا المبني الهادئ المنعزل وكان التعب والإرهاق بادياً بوضوح علي كل من ٢٦٠ ورفيقه المندوب من تأثير هذه الرحلة الشاقة التي قاما بها تحت هذه الظروف القاسية والمخيفة أثناء تسللهما من خلال القوات الإسرائيلية

المتمركزة علي طول الجبهة شرق قناة السويس .. وخطورة اصطدامهما بدوريات سيارة أو كمائن ليلية لقوات العدو لذا فقد تركهما الرائد ليحصلا علي قسط من الراحة بعد هذا المجهود الشاق، وتناول وجبة ساخنة كانت مجهزة بانتظار وصولهم.

عند ولوج أول ضوء للنهار قام الرائد باصطحاب يونس معه فى السيارة فى طريقهما إلى القاهرة. وفى الركن المعتاد من مكتبه جلسا فى جلسة استماع مهمة. يونس يقوم بسرد كافة التفاصيل له منذ وصوله إلى مدينة السويس وحتى عودته من سيناء والرائد يستمع فى إنصات واهتمام بالغ ولم يكن يقاطعه إلا عندما يريد الاستفسار عن تفاصيل بعض الأحداث الهامة وكان يدون فى مفكرة موجودة معه أسماء بعض الأشخاص الذين يرد ذكرهم فى الأحداث أو بعض التصرفات ذات الدلالات المعينة.

عندما فرغ يونس من سرد كافة التفاصيل، كان أبو خالد مهتماً جداً بالاستفسار عن طبيعة موقف الشيخ زوج شقيقته بالداخل وما استشفه من طبيعة علاقته مع ضابط المخابرات الإسرائيلى بالمنطقة، وسأله إذا كان قد طلب منه التعاون معنا ؟ فأجاب يونس بأنه لم يطلب ذلك وآثر التريث لحين تأكده من سلامة موقفه، أما بخصوص ما استشفه من طبيعة علاقته مع ضابط المخابرات الإسرائيلي فقد كانت علاقة لا تتعدى سوى أنه شيخ معين مسئول عن قبيلته أمام السلطات الإسرائيلية وتنفيذ التعليمات الروتينية للحاكم العسكرى الإسرائيلى. بعد هذه الجلسة الطويلة والمفيدة للغاية والتى أوضحت تفاصيل على جانب كبير من الأهمية والتى ستكون من نتائجها حدوث تغيير كبير فى طبيعة ومهمة عمل المجموعة بالداخل.

نهض الرائد من مجلسه مصافحاً يونس بحرارة مهنئاً له بسلامة الوصول ومنحه أجازة قصيرة يقصيها مع زوجته ووعده بأنه سيقوم بعمل الترتيبات اللازمة لنقله هو وزوجته للإقامة بمسكن قريب بالقاهرة ولم يشأ أن ينفذ ذلك إلا بعد عودته بالسلامة.

على خريطة توضيحية لمسرح العمليات فى سيناء، قام الرائد أبوخالد على الفور بصياغة التقرير الخاص بدفع المندوب ٢٦٠ فى مأمورية استطلاع الى داخل سيناء وأوضح به كافة التفاصيل الخاصة بتحركاته والاتصالات التى نفذها وأسماء العناصر التى قام بترشيحها وطبيعة إمكاناتهم وأوضاع قوات العدو بالمنطقة وأوضاع الأهالى وطبيعة نشاط عملاء العدو بالداخل ومكان عمل الشبكة وأماكن الكمائن الليلية للعدو التى اكتشفها فى طريق عودته. وقد أشار فى هذا التقرير ببعد الرؤيا للمندوب ٢٦٠ وحسن توقعه بعدم مقابلته لضابط المخابرات الإسرائيلى وكذلك ارجاء مفاتحته لزوج شقيقته الشيخ فى التعاون معنا فى الظروف الحالية. وبذلك يكون المندوب ٢٦٠ قد حقق النجاح فى تنفيذه للمهام التى تم تكليفه بتنفيذها رغم الظروف الصعبة التى واجهته بالداخل. وقد استبعد الرائد فى قراره دفع مجموعة استطلاع خلف خطوط العدو من القوات المسلحة للعمل فى هذه المنطقة لفترات طويلة لأن ذلك سيشكل خطورة عليهم وعلى سلامة المنطقة. واقترح إحلال ٢٦٠ والمجموعة التى قام بترشيحها للعمل معه بالداخل محل مجموعة خلف الخطوط والاستفادة من الاستعداد الفطرى للمندوب ٢٦٠ وذكائه بعمل برنامج تدريبى مكثف له على استخدام الجهاز اللاسلكى واستخدام الشفرة. وتدريبه على تصوير المواقع العسكرية بطريقة البانوراما باستخدام التلىفوتو. وقد تصدق له على ذلك. ففى الحقيقة كانت مغامرة من الرائد بطلبه احلال ٢٦٠ محل مجموعة استطلاع مؤخرة العدو وتعهده بتنفيذ ذلك ولكنها كانت مغامرة محسوبة بدقة وذلك بصدق إحساسه الشديد به وبإمكانياته.

بعد إنتهاء فترة الأجازه رجع يونس الى المبنى الذى يعرفه فوجد أبوخالد فى إنتظاره ... وبعد أن قام بالترحيب به وإطمأن منه على احوال زوجته .. إصطحبه الى ركن من الغرفه وجلسا متقاربين وبدأ الرائد حديثه فى هدوء على الرغم من ملامح الجدية والإهتمام الشديد التى كانت تبدو بوضوح على قسمات وجهه وفى نبرات صوته وبادره قائلا : من الدراسه التى قمنا بها لتقييم مأموريتك بالداخل .. فقد تقرر أن تقوم بتكوين خليه سريه للعمل خلف خطوط القوات الإسرائيليه على المحور الأوسط .. من بعض أقرانك من البدو الذين قمت بترشيحهم للعمل معك .. وأن واجب هذه الخليه هو مراقبه نشاط العدو بالمنطقة والإبلاغ عن تحركاته بصوره فورية عن طريق بلاغات لاسلكية بواسطة جهاز لاسلكى سنقوم بتدريبك على كيفيه إستخدامه .. كذلك تصوير المواقع الحيويه ومعسكرات القوات الإسرائيلية بطريقه البانوراما.. وسيتم تدريبك أيضا على ذلك ... ثم إستطرد قائلا.. وعليك كما أعرفه عنك أن تبذل جهدا كبيرا فى إستيعاب مواد التدريب بصوره جيده لأننا فى سباق مع الزمن .. فنحن سنقوم بالإرتباط بتوقيتات محدده وسنقوم بإتخاذ ترتيبات وتجهيزات مهمه بخصوص تأمين مأموريه دفعك الى الداخل بطريقة سريه فى أقرب فرصه..

بعد لحظه من الصمت سأله يونس عن موعد دخوله ؟

فأجابه أبو خالد : سيكون إن شاء الله فى أول الشهر العربى حيث يكون الإظلام تام.

ثم سأله يونس : ومتى سأبدأ التدريب؟

فأجاب أبوخالد : فورا .. من الأن .. فقد تم إتخاذ كافة الترتيبات لذلك.. لأننا لانريد إضاعه أى وقت .

فقال يونس :على بركة الله .. وأنا جاهز وإن شاء الله سأكون عند حسن ظنك .

ثم إستطرد الرائد قائلا : قد دبرنا لك مسكناً مناسبا لك ولزوجتك بالقرب منا حتى تكون زوجتك تحت رعايتنا أثناء وجودك بالداخل وقمنا بعمل اللازم لتجهيزه وفرشه والمسكن الآن جاهز لكما للانتقال إليه والإقامة به وسأنتهز فرصة مناسبة لاستقطاع وقت من البرنامج التدريبي لإرسالك لإحضار زوجتك ومتعلقاتكما الضرورية فقط والانتقال إلى مسكنك الجديد وعليك أن تشيع بين جيرانك وأصدقائك بأنك وفقت الي مسكن مناسب قريب إلى عملك وستنتقل إليه مع زوجتك، وشكره يونس كثيراً على هذا الاهتمام الزائد به وبأسرته.

لقد كانت عمليات دفع هؤلاء المندوبية إلى داخل سيناء لمزاولة تنفيذ مهامهم خلف خطوط العدو وكذلك عمليات إعادتهم من الداخل تحتاج إلى تخطيط دقيق وجيد وجهد غير عادى وحرص زائدا أثناء تنفيذ هذه العمليات التى تحمل فى طياتها كثيرا من المخاطر سواء للقائمين على تنفيذها من عناصر المخابرات الحربية أو من أفراد القوات الخاصة من القوات المسلحة المشاركين فى عمليات التنفيذ والعمل على مواجهة كل الإحتمالات والمواقف التى قد تعترضهم أثناء القيام بهذه العمليات والتغلب عليها لإتمام نجاحها.

كما كان يتم إتباع إجراءات على درجه عالية من السرية والتمويه وابتكار طرق ووسائل غير تقليدية فى طريقه تنفيذ كل عملية وذلك لخداع قوات العدو ووسائل استطلاعه المتطورة الموجودة على طول جبه القتال كما كان يتم اختيار دقيق لمناطق دفع هؤلاء المندوبين للداخل وكذلك لمناطق إخلائهم من الداخل طبقا لطبيعة وظروف كل عملية وكان ذلك يتطلب استطلاع مستمر ودقيق بواسطة جميع وسائل الاستطلاع

لقواتنا الموجودة على طول خط المواجهة على جبهة القتال بدءا من وسائل الاستطلاع باستخدام نظارات الميدان على المواجهة وحتى وسائل الاستطلاع الإلكترونى فى العمق وذلك لتحديد خطوط سير داوريات العدو الراجلة والراكبة وتوقيتاتها وتحديد أماكن تواجد أى كمائن ليلية للعدو حتى نضمن سلامه خط سير هؤلاء المندوبين عند تسللهم من خلال مواقع القوت الإسرائيلية على طوال خط المواجهة، حيث كانت هذه العمليات تشكل خطورة كبيرة على حياتهم.

ولقد كان هؤلاء الأبطال يقومون بتنفيذ هذه العمليات بفدائية منقطعة النظير غير مكترثين بأى مخاطر قد يتعرضون لها. فقد سقط منهم شهداء روت دمائهم الذكية الأرض التى قدموا لها أرواحهم رخيصة فى سبيل الذود عنها وتحريرها من العدو المغتصب ووقع بعضهم أسرى فى قبضة عدو خسيس نزع الله من قلبه الرحمة وجرده من الرجولة فلم يكن يطبق فى معاملته لهم أى من المواثيق الدولية التى وضعت لتطبق فى معامله أسرى الحرب ولا قوا من هذا العدو الغادر الخسيس الأهوال والتعذيب.

إنخرط يونس فى التدريب فى نفس الفيلا التى تلقى فيها تدريبه الإبتدائى وبنفس النشاط والكفاءة المعهوده عنه على أيدى مجموعه فنيه مختاره من المهندسين على درجه كبيرة من الكفاءة والخبرة فى مجال الإتصالات اللاسلكية والتشفير حيث قاموا بتدريبه على كيفية إستخدام الجهاز اللاسلكى وإتقان العمل عليه والتغلب على أى مصاعب تحدث له بالداخل وطريقة إصلاح أى أعطال تحدث بالجهاز كما تم تدريبه على قواعد تشفير الرسائل التى سيقوم بإرسالها بواسطة الجهاز اللاسلكى وكذلك طريقة ووسائل تشفير رسائل المعلومات التى سيقوم بإرسالها شهريا مع حاملى الرسائل. كذلك تم تخصيص فنى تصوير لتدريبه على إستخدام الكاميرا فى التصوير الفوتوغرافى ونظرا لأن مهمه يونس ستكون مختلفه لطبيعة تواجده فى مناطق محظور تواجد الأهالى بها

وممنوع الأقتراب من المواقع والمعسكرات الإسرائيلية لمسافات بعيده فقد تم تزويد الكامير بتللى فوتو مقرب بطول ٦٥ سنتيمتر لضمان الحصول على صور واضحة للأماكن المستهدفه وتدريبه على تصوير المواقع العسكرية من مسافات بعيده بإستخدام التللى فوتو وطريقة تصوير هذه المواقع والمعسكرات بطريقة البانوراما أى تصوير المواقع عده لقطات فى صور مسلسه من اليمين الى اليسار بالترتيب وعند طبع هذه الصور وتجميعها بنفس التسلسل نحصل على صوره كاملة للموقع . كما تم تدريبة على كيفية تمييز أسلحة ومعدات العدو المختلفة وكذلك أنواع الزى الذى يرتديه أفراد جيش الدفاع الأسرائيلى والعلامات المميزه للأسلحة وللوحدات حيث يقوم بعد ذلك بتدريب أفراد مجموعته عليها لتساعدهم فى تنفيذ مهامهم فى جمع المعلومات عن نشاط ومواقع القوات الإسرائيلية بالداخل.

وخلال إحدى فترات الراحه التى كان يحصل عليها يونس بين كل تدريب وآخر أنهى أبو خالد ترتيبات إنتقاله من القرية التى كان يقيم بها الى مسكن مناسب بإحدى ضواحى القاهرة هو وزوجته. وقد أسعده ذلك كثيرا وخفف عنه كثيرا من الأعباء النفسية بعد شعوره بأن زوجته قد أصبحت تحت رعايتنا الكامله وأصبح يقضى أوقاتا أطول معها.

ساعدت قوه تركيز يونس وحسن إستيعابه على الأنتهاء من تحصيله لكافه الموضوعات التى تم تدريبه عليها قبل الموعد المحدد لذلك ثم أجريت له عده إختبارات عمليه حيث وضع فى مواقف مماثله لمواقف قد تحدث له بالداخل أثناء عمله وذلك للوقوف على حسن تصرفه وكيفيه مواجهته لهذه المواقف والتغلب عليها وبعد أن إجتازها بنجاح كافئة أبو خالد على ذلك بأن منحه أجازه ليقضيها مع زوجته ويجهز نفسه حتى تكتمل الترتيبات الخاصة بعمليه دفعة للداخل.

كان التخطيط لمأمورية دفع ٢٦٠ الى الداخل بطريقة سريه يشغل كل تفكير أبو خالد للظروف الخاصة بوضعه وذلك أنه يعتبر العامل الرئيسى في تكوين الشبكة السرية لجمع الأخبار عن نشاط العدو على محور رئيس هام من محاور العلميات فى جبهه سيناء. لذلك قام بعدة مأموريات استطلاعية علىٰ جبهة قناه السويس وإطّلع على عدد من تقارير الاستطلاع لعدد من المواقع حتى يقف على طبيعه مواقع ونشاط قوات العدو فى المواجهة. فى إحدى المأموريات الاستطلاعية قام باستطلاع منطقه البحيرات المره جنوب الإسماعيلية، وكان تركيزه خلال استطلاعه الشاطئ الشرقي للبحيرات على منطقة تقع فى المنتصف بين النقطتين الحصينتين للعدو، ثم قام بالتنسيق مع استطلاع الجيش بتركيز الاستطلاع عليها بصوره مستمرة. وعكف على دراسه كافه تقارير الاستطلاع عن هذه المنطقة وكذلك دراسة تقارير الاستطلاع الإلكترونى للوقوف على نشاط العدو فى العمق. ثم أخذ يدرس طبيعة الأرض فى هذه المنطقة مع الدليل البرى الذى اختاره لمرافقه ٢٦٠ وتوصيله الى منطقه التلاقي الأولى بالداخل وهو بدوى من أبناء سيناء له خبره جيده بدروب ومسالك هذه المناطق ويعرف طريقة جيدا فيها فى الظلام الحالك فوجد أن طبيعة الأراضى بهذه المنطقة تتكون من سلسلة من التلال والكثبان الرملية تبدأ من مسافة أقل من كيلو متر واحد من الشاطئ مما سيسهل لهما التخفى والاحتماء بها وصعوبة اكتشافهما بواسطة أى رادارات أرضيه قد يستخدمها العدو لكشف الأفراد، كما أن هذه الأراضى تعتبرمن الأراضى الغير صالحه لاستخدام المركبات للسير فيها مما سيساعد فى التقليل من إحتمال وجود كمائن ليلية للعدو قد تعترض طريقهما، حيث أنه من المعروف عن أسلوب العدو فى إستخدام الكمائن الليلية أنه لايستخدم أسلوب الكمائن أو الدوريات الراجلة فى المناطق المنعزله فلابد أن تكون محصنه إما داخل دبابات أو عربات مدرعة

نصف جنزير لتوفير الحمايه لها مما سيمكن الدليل البرى من اكتشافها بواسطة منظار الرؤية الليلية الذى سيتم تزويده به.

بعد أن إستقر رأى الرائد على هذه المنطقة لتكون منطقة التسلل الى الداخل لتوفيرها لنسبة كبيرة من السريه والأمن للمأمورية بدأ بحثا مكثفا لإيجاد دليل بحرى ذو خبره لتوصيل المأمورية الى المكان المحدد على الشاطئ الشرقى. وبالتحرى والتقصى إستقرا رأيه على صياد سمك يزاول مهنه الصيد فى هذه البحيره منذ سنوات وهو أصلا من البرلس. فى العقد الخامس قوى البنيان. تلمح عيناه بذكاء حاد وترتسم على وجهه الطيبه المصريه الأصيله وقوة العزيمه وعلى خبره جيده بطبيعه المياه بهذه البحيره وممراتها ويعرف طريقة جيدا فيها فى الليالى الحالكه الظلام مستخدما قاربا خشبيا (فلوكه) فى أعمال الصيد.

كذلك وجد أن وسيلة التنقل بين مجموعه البواخر المحتجزة داخل البحيرات أثناء عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ هى اللنشات الصغيره أو القوارب الزوارياك المطاطيه المزوده بموتور دفع لتلبيه المطالب الإداريه للأطقم العامله على هذه السفن من الشاطئ الغربى وكانت هذه التحركات تتم نهارا فقط وأى تحركات ليليه كانت محظوره وبقيود مشدده. فوجد أن الفلوكه الخشبية ذات المجدافين هى الوسيله المناسبة للعبور الى الشاطئ الشرقى لأنها تعتبر وسيله غير تقليديه ولا تسترعى الانتباه وستحقق المفاجأه والخداع للجانب الأخر على الشاطئ الشرقى..

وإستكمالا لحظه الدفع أراد أبو خالد الإطمئنان على طبيعة الأرض على الشاطئ الشرقى والتأكد من خلوها من حقوق للألغام.. لذلك قرر أن يقوم بتنفيذ مهمه عبور الى الشاطئ الشرقى مستغلا فرصه الظلام التام فى الأيام الأولى من الشهر العربى واصطحب معه الدليلين البرى والبحرى وعنصر من المهندسين العسكرين من الجيش وفردين مسلحين

بالأسلحة الأوتوماتيكيه للحماية مستخدمين الفلوكه التى سيتم تنفيذ مأمورية الدفع بها.

أبحرت الفلوكه تنساب على صفحه المياه المعتمه كظلام الليل حتى إبتعدت عن الشاطئ الغربى وكان الوقت يمر ببطئ شديد ووجد الرائد أن الدليل البحرى يتجه ناحية البواخر المحتجزه داخل البحيرات فأستفسر منه عن سبب اختياره لهذا المسار فاخبره الدليل بانه يريد ان يختصر فى الوقت لان هذه البواخر راسية داخل الممر الملاحى للقناه داخل البحيره ثم بعد ذلك سيتجه من هناك مباشره الى المنطقة المطلوبه على الشاطئ الشرقى. ولكن الرائد طلب منه ان يغير هذا المسار ويتبعد تماما عن هذه البواخر. فقد كان الرائد متخوفا من أطقم العاملين على هذه البواخر فهم من جنسيات متعددة واحتمال ان يكون احدهم على اتصال بالعدو مما يعرض هذه المأموريات للأخطار.

وقبل ان تصل الفلوكة الى الشاطئ الشرقى اخذ الرائد يستكشف الموقف بمنظار الرؤيه الليلى الموجود معه يعنايه كبيره حتى رست الفلوكه على رمال الشاطئ وتقدم الرجال فى حذر. كل يقوم بواجبه بدقه وإستغرقت هذه العمليه فتره طويله وخاصه من رجل المهندسين العسكريين فكما توقع أبو خالد فقد عاد اليه الرجل وأخبره هامسا بوجود حقل ألغام وطلب منهم البقاء فى مكانهم وعدم التجول لحين الانتهاء من مهمته وبعد فتره غير قصيره عاد مرة أخرى وطلب من الرائد أن يذهب معه ليريه أمر ما ودخلا حقل الألغام فوجد الرائد ألغام مضاده للدبابات مرصوصه على غير الطريق المتبعة وبطريقه مبعثرة وظاهره فأخبره رجل المهندسين بأنها ألغام هيكليه مضاده للدبابات ولزيادة الاطمئنان سأله الرائد اذاا كان قد عثر على أى ألغام مضاده للأفراد فأجاب بالنفى كذلك وجدا بعض الاسلاك الشائكه ولكنها كانت متأكله بفعل العوامل الجويه وهنا إطمأن قلب الرائد وعاد وإصطحب معه الدليل البرى وشرح له الموقف داخل الحقل وجعله يشاهد بنفسه هذه الألغام حتى

يطمئن قلبه. ثم إتفق الرأى على عدم وجود ضروره لعمل ثغره فى حقل الالغام لان ذلك يلفت نظر استطلاع العدو للمنطقة. ثم أمر الرائد الرجال بالعوده الى القارب فقام فردا الحراسه بطمس أثار الاقدام التى كانت على الرمال الرخوة كما هو متبع فى كل عمليه تسلل حتى لا تشعر قوات العدو بوجود نشاط فى هذه المنطقة. وعند وصولهم للقارب قال الدليل البحرى للرائد لقد قمت بوضع علامه مميزه ولكنها غير واضحة على مدخل المنطقة حتى أتمكن من الأسترشاد بها فى الدخول اليها عند حضورى فى المره القادمه وأثناء عودتهم بالقارب الى الشاطئ الغربى كان الصمت التام يخيم على الجميع والعيون متحفزه تبرق فى سواد الليل الحالك ولايكاد يسمع الا صوت إرتطام المجدافين بالمياه وأصوات بعض التراشقات بالاسلحه المختلفه وعند وصول القارب الى منتصف المسافه اذا بالدليل البحرى يتحدث بعفويته التلقائية الى الرائد ويخبره بلهجته الساحليه قائلا : والله يا أفندى وأنا جالس فى القارب بإنتظاركم لقيت السمك حواليا عمال بيلعلط كده وأخذ يشير بيديه . وعمال يفط من الميه حواليا زى ما يكون بيغيظنى وكنت بأمنع أيديه كل مرة من إنها تمتد للشبكه .. ولو لاخوفى منك لكنت رميتها واللى يحصل يحصل بقى .. وهنا إنفجر الجميع فى ضحك مكتوم كانت تهتز له الفلوكه بشده .. وعندما وصلوا الى الشاطئ الغربى شكره الرائد وتأكد بأنه المرشد المطلوب.

وهكذا إكتملت تفاصيل خطه دفع ٢٦٠ لدى الرائد أبو خالد فطلب الاجتماع بالقائد لعرضها عليه. وكان الاجتماع فى غرفه العمليات أمام خريطة توضيحية لسيناء محدد عليها مواقع العدو ودفاعاته على طول خط المواجهه وفى العمق حيث قام الرائد بشرح تفصيلى لكل ما تم إتخاذه من إجراءات لتأمين دفع المأمورية. وكان القائد منصتا فى إهتمام بالغ وكانت تبدو عليه علامات الثقه والرضا والطمأنينه على سلامه الإجراءات.

ثم قدم له الشكر فى النهايه على المجهود الكبير الذى بذله فى هذا الخصوص وقال له : لقد وضح لى أن النتائج التى توصلت اليها قد بثت فيك الثقه والطمأنينه على نجاح المأمورية.

فأجاب الرائد: فى الحقيقه نوعاما. ولكن القلق هذا أصبح عاده ومغروسا فى داخلنا والتوفيق إن شاء الله من الله سبحانه وتعالى.

فقال القائد: ولكن فى الحقيقة فإننى أشفق على ٢٦٠ من حموله التجهيزات الثقيله التى سيجهز بها وهى الجهاز اللاسلكى وهذا وزنه لايقل عن ٢٠ كجم والبطاريات الخاصه به ودينامو الشحن اليدوى والهوائى الدايبول بطول حوالى ٢٤ مترا علاوه على الكاميرا والتللى فوتو الخاص بها وطوله حوالى ٦٥ سنتمتر. ففى الحقيقه هذه الحموله تحتاج الى جمل.

فرد الرائد قائلا: ان هذا الموقف قد فرض علينا ولكنى سأقوم بتوزيع هذه المعدات على كل من ٢٦٠ وزميله الدليل البرى وهذا الموقف سيتحملاه فقط فى المرحله الأولى حتى نقطه المقابله ومن هناك سيكون مدبرله وسيله نقل لمواصلة مسيرته الى مكان عمله.

فقال القائد: أيضا فأننى أشفق عليهما وأنا أتصور ما سيلاقيانه من مصاعب ومجهود بدنى شاق ومضنى فى تحركاتهما على أرض ذات طبيعه وعره لمسافه ٢٥ كيلومتركما أخبرتنى تحت ضغط نفسى رهيب من الخوف والرهبه فى تسللهما منفردين من خلال المواقع الدفاعيه لقوات العدو على الجانب الأخر وصراعهما مع الزمن للوصول الى منطقة الأمان قبل ظهور ضوء الصباح عليها وهم فى العراء على أرض صحراوية منبطة.

فرد الرائد قائلا : فعلا يا أفندم فلقد قمنا من جانبنا بجهد كبير وشاق والتنسيق مع جهات متعددة لكى نضمن تحقيق أعلى نسبه من السريه

والتأمين ويبقى الجزء الأهم وهو توفيق الله سبحانه وتعالى ورعايته للمجاهدين فى سبيله.

وفى نهاية حديثهما طلب منه القائد أن يقدم لهما شكره العميق نيابه عن وطنهم وقواتهم المسلحه. وتمنياتهم لهما بالتوفيق.

تم تحديد الموعد المناسب لدفع ٢٦٠ للداخل بالمعدات اللازمة لنشاط عمل الشبكة .. وزميله الدليل البرى من خلال نقطة الدفع التى تم اختيارها .. وفى الموعد المحدد اصطحب الرائد معه ٢٦٠ فى السيارة.. وتحرك فى الصباح الباكر متوجهاً الي الإسماعيلية وهنالك فى المكان الأمين الخاص بمكتب المخابرات الحربية التقى بالدليل البرى .. ثم قاموا بالتتميم النهائي على كافة معدات المأمورية .. ثم تناولوا طعام الغذاء وبعد الانتهاء من تناول الطعام .. صلوا صلاة الظهر فى جماعة .. ثم قاموا بقراءة الفاتحة والدعاء إلى الله أن يوفقهم فى مهمتهم هذه..

قبل الغروب الذهبى للشمس فى الأفق البعيد كان الرائد يصطحب ٢٦٠ والدليل البرى معه فى سيارة جيب عسكرية ووصل إلى الموقع المحدد للدفع جنوب البحيرات بعد غروب الشمس .. على الرغم من أن المسافة تعتبر قصيرة ولكن السيارة كانت تتوقف كثيراً للاحتماء بالسواتر الترابية وإستخدام أماكن غير مطروقة بسبب غارات طائرات العدو الجوية المستمرة على مواقع الجبهة المصرية.

عند وصولهم للموقع وجدوا الدليل البحرى الصياد قد بدأ فى نزح المياه من فلوكته المغمورة فى مياه البحيرة ..داخل غابة من النباتات المائية الكثيفة بالقرب من شاطئ البحيرة بمساعدة بعض الجنود من أفراد الوحدة العسكرية التى تحتل هذه المنطقة للدفاع عنها .. وكانوا يقومون بعملهم بنشاط زائد وفى صمت تام لعدم لفت أنظار استطلاع العدو بوجود نشاط مفاجئ فى هذا الموقع .. بعد دقائق استطاعوا تعويم

الفلوكة أو القارب ثم قام المراكبي باختبارها عدة أمتار في مياه البحيرة.. حتى يتأكد من سلامتها ثم عاد ..

بعد أن اطمأن الرائد إلى سلامة التجهيز ركب كل من ٢٦٠ والدليل البرى فى القارب ومعهم الدليل البحرى ثم ركب معهم فردين من أفراد القوات الخاصة مزودان بمدافع رشاشة ونظارات رؤية ليلية للاستطلاع والحماية .. وكان الرائد يردد فى همس من كل قلبه: مع السلامة .. الله معكم ..

التسلل من بين فوهات البنادق

أبحر القارب منطلقاً فوق مياه البحيرة فى هدوء وسكون محتمياً بأستار الظلام الدامس وعتمة المياه ذات الأمواج الخفيفة .. وكان المراكبى يستخدم مجدافيه بمهارة فائقة بحيث لا يؤدى ارتطامهما بالمياه إلى إحداث صوت مرتفع قد يؤدى الى كشف المأمورية وكانت أصوات الرياح تزمجر فى الهواء على شاطئ البحيرة وأصوات الأنفجارات الناجمه عن تبادل التراشق بالاسلحة المختلفة بين الجانبين على ضفتى البحيرة كانت تصم الأذان والطلقات المضيئة تلمع فى السماء فكان هذا يكفى لتغطية اى صوت .

منذ مغادرة القارب الشاطئ الغربى مبحراً إلى الشاطئ الشرقى والخوف والترقب والحذر يخيم على جميع الأفراد الموجودين هنا على الشاطئ الغربى للبحيرة وكانت دعواتهم لهم بالتوفيق وقراءة بعض آيات القرآن الكريم ليوفقهم الله فى طريقهم .. وكان أكثر الواقفين قلقاً هو الرائد أبو خالد الذى كان يتابع كل إشارة يستقبلها من القارب بتمام تنفيذ كل مرحلة بحذر بالغ حتى اطمأن إلى إنزال المأمورية على الشاطئ الشرقى بسلام .. وعودة القارب إلى الشاطئ الغربى وبعد وصول القارب قام المراكبى بإدخاله مرة أخرى إلى منطقة تنمو فيها الأعشاب والبوص الكثيف على الشاطئ

بمساعدة بعض جنود الوحدة العسكرية التى تمت العملية من خلال موقعها .. وإعادة غمره وإغراقه في مياه البحيرة داخل الشاطئ بين أعواد البوص والغاب العالية ليظل مختفياً عن وسائل استطلاع القوات الإسرائيلية ..

بعد إخلاء المنطقة من النشاط المفاجئ الذى كان بها وإعادتها إلى ما كانت عليه من السكون والهدوء وقلة الحركة .. أمضى الرائد ليلته فى متابعة تقارير الاستطلاع الإلكتروني للاطمئنان على طبيعة نشاط قوات العدو الموجودة فى مناطق سير المأمورية ..

أشرق الصباح مبتسماً وسرت أشعة الشمس باردة فى أول النهار.. واستيقظ الرائد بعد إغفاءة قصيرة فى هذا الصباح الوليد عائداً إلى القاهرة وعلى الفور بدأ فى إعداد الرسائل التى سيتم إذاعتها عن طريق الإذاعة لمجموعة ٢٦٠ للاستعداد وعمل الترتيبات اللازمة لترقب وصوله وانتظاره فى الأماكن التى تم الاتفاق عليها ..

أما عن رحلة ٢٦٠ ورفيقه الدليل البرى متسللان إلى داخل سيناء مخترقان المواقع الدفاعية لخط بارليف على الشاطئ الشرقى فإن أقل وصف لذلك بأنها شجاعة وجسارة نادرة وتضحية بالنفس وإنكار للذات منقطع النظير ليس لهما من تدعيم ولا حافظ سوى الله سبحانه وتعالى الذى يرعى المؤمنين المجاهدين فى سبيله، وقد فضلت أن أنقل نفس كلماته كما كتبها فى التقرير الخاص بالمأمورية بعد عودته كما هى بتلقائيتها لأن هذا هو التعبير الصادق من القلب لمدى المعاناة الرهيبة التى كان يلاقيها من الترقب والحذر والخوف من المجهول والحرص الشديد على النجاح فى تنفيذ المهمة. كل ذلك فى كلمات بسيطة كبساطة صاحبها وكان يتلخص فيما يلى:

"بعد مغادرتنا للفلوكة على الشاطئ الشرقى للقناة كنت أنا أحمل الجهاز اللاسلكي ومعداته وكان الدليل يحمل باقى المهمات والماء ..

وكانت الرياح فى تلك الليلة شديدة تصفر من حولنا مزمجرة عاصفة.. والرمال المتحركة تصطدم بوجوهنا وتندفع فى أعيننا .. وأصوات الانفجارات تزأر من حولنا والتراشقات التى كانت تتم من آن لآخر.. وطلقات الإضاءة التى كان العدو يطلقها لكشف المنطقة من آن لآخر .. وبمجرد إنبعاث أى ضوء من هذه الطلقات نقوم على الفور بالارتماء على الرمال والاختباء بين الشجيرات المنتشرة بالصحراء ..

كنا عند مقابلتنا لأي طريق عرضى نفترق كل منا فى اتجاه ثم نقوم بمراقبة المنطقة بدقة حتى إذا إطمأننا لعدم وجود كمائن أو دوريات ليلية نقوم بارتداء حذاء خاص يسمى النعل الصوف .. وهو عبارة عن قطعة من فروة صوف خروف يتم تقطيعها بحجم مناسب للقدم ويتم تمشيطها بعناية بالمشط وهى تساعد كثيراً على طمس أي آثار للأقدام على الرمال .. ولها طريقة معينة للسير بها كان قد تم تدريبنا عليها.

كان لخبرة الدليل البرى بدروب ومسالك المنطقة ولفطنته أكبر الأثر فى التوفيق وعدم كشف آثارنا بواسطة دوريات قص الأثر التابعة للقوات الإسرائيلية.. الطريق ملئ بالمخاطر نظراً لأن هذه المناطق مهجورة ومحرمة على المواطنين وحيواناتهم فقد كبرت بها هذه الأشجار الشوكية التى تنمو فى المناطق الرملية نتيجة لحرمان الأهالى من التواجد والرعى بها، فكنا لا نعرف ما يخبئه لنا القدر .. كذلك الحيوانات فى هذه المناطق توحشت من ذئاب وضباع وأفاعى تضخمت بفعل السنين التى مرت عليها في هذه المناطق المحرمة ..

كان الجلوس غير مسموح به فى هذه المنطقة إلا على فترات قليلة وللضرورة وكذلك شرب الماء فيكون أثناء السير أيضاً .. أما عن الطعام فغير مسموح بتناول أى طعام .. وعموماً لا يوجد أحد تحت هذه الظروف العصيبة تتواجد لديه الشهية لتناول الطعام ..وحسب تعليمات

الدليل لابد أن نفترق كل فى جهة لدواعى الأمن خوفاً من العثور على آثار أقدام أثناء عبور بعض الطرق العرضية والتى كان العدو يطلق عليها (مقصات).. وبعد أن تنتهى الفترة التى يعرفها الدليل للأمان بأنه ليس هناك متابعة لأثار الأقدام .. الغرود الرملية أنهكتنا من التعب حتى أنه لا يمكننا إشعال سيجارة أو تدخينها..

وصلنا إلى المنطقة الأولى وكنا قد قطعنا حوالى خمسة وعشرون كيلو متراً سيراً على الأقدام فى هذه المناطق المقفرة وكنا فى حالة يرثى لها من التعب الجسماني وأقرب إلى الهلاك .. وكانت المياه التى معنا قد نفذت تماماً ولكن من لطف الله والخبرة الجيدة للدليل البرى بتلك المناطق فقد أوصلنا إلى المكان المتفق عليه تماماً .. فوجدنا رجلين فى انتظارنا من العناصر العاملة مع المخابرات الحربية وكان ضوء الفجر قد أوشك على الظهور .. وكان هذا المكان غرب منطقة أم خشيب وهو موقع لإقامة إحدى القبائل البدوية التى كانت تقيم فى هذه المنطقة والتى حدد لها مناطق معينة تتواجد بها بواسطة السلطات الإسرائيلية وكانت هذه القبيلة تحت الرقابة المستمرة بواسطة السلطات الإسرائيلية ..

عندما رآنا هذان الرجلان فى هذه الحالة السيئة قاما على الفور بتقديم الشاى الساخن وبعض الطعام لنا .. وأخذا منا أحمالنا لإخفائها .. وأثناء ذلك قاما بإيقاظ بعض الصبية الصغار لاصطحاب بعض الأغنام والماشية والخروج بها للرعى وكان الغرض من ذلك هو مرور هذا القطيع على آثار أقدامنا ومحو أي آثار على الأرض وتضليل قصاصى الأثر العاملين مع دوريات العدو من أبناء البدو فى قص الأثر ..

بعد أن انتهينا من تناول الطعام وشرب الشاى قام الرجلان بإرشادنا إلى مخبأينا وكان المخبأ عبارة عن حفرة عميقة بالأرض بالكاد تتسع لشخص فى الوضع الجالس ومبطنة من الداخل من نفس المواد

المحيطة بالبيئة لمنع تهايل الرمال على من يوجد بداخلها ويتم تمويه مدخلها بالأعشاب الشوكية المنتشرة بالمنطقة تماماً مثل الحفر التى تستخدمها حيوانات الصحراء نظراً لأن هذه المنطقة تعتبر منطقة صحراوية منبسطة وبها بعض التلال الرملية البسيطة والصغيرة ..

قام الرجلان بإخفائنا بهذه الحفر طوال النهار وقد أعطيا لكل منا كسرة من الخبز وزمزمية مياه لنبل الشفتين فقط عند العطش .. ثم قاما بدفن المهمات والمعدات بنفس الطريقة فى أماكن متفرقة آمنة معدة لذلك..

كنا نرقد فى حفرتين متباعدتين أنا وزميلى الدليل بعد أن قطعنا تلك المسافات الشاسعة داخل هذه الصحراء القاحلة حاملين هذه الأحمال الثقيلة وفوق كل حفرة بعض من هذه الأشجار الشوكية للإخفاء والتمويه ..وعند الظهيرة بينما كان الأطفال يلهون ويلعبون ويملئون المكان صخباً وصياحاً والنساء غاديات ذاهبات مشغولات فى الأعمال المنزلية، سمعت من مكانى صوت عربات نصف جنزير وعربة جيب .. وقد توقفت العربة الجيب بالقرب من مكانى، وأعقب ذلك صراخ الأطفال وفزع النساء من اقتحام الجنود الإسرائيليين لأماكن إقامتهن منتهكين بذلك حرماتهن .. وأخذ الصبية والأطفال يفرون فى فزع وخوف وعمت الفوضى المكان.

ومن خلال ذلك سمعت أحد الإسرائيليين ينادى على شيخ القبيلة يستدعيه وكانت عمليات بحث وتفتيش تتم فى المكان بواسطة الجنود الإسرائيليين .. وكنا فى مكمننا تحت الأرض نشعر بما يدور من فوقنا ونشعر بوطأة الأقدام الإسرائيلية الثقيلة المتحركة من فوقنا ..وكان كل ما نستطيع القيام به فى هذا الموقف هو تلاوة بعض الآيات المنجيات من القرآن الكريم.. وتلاوة الشهادة لأن مصيرنا سيكون الإعدام حتما

برصاصات من هذا العدو الغادر في مكاننا لنكون عبرة لباقي القبائل من حولنا ممن يقومون بإيواء متسللين قادمين من وادي النيل للعمل ضد قوات الاحتلال الغاشم وقد كان هذا الجندى الإسرائيلي المتغطرس الواقف فوق الحفرة التى كنت مختبئا بها شاهراً سلاحه فى وجه هؤلاء المدنيين العزل ويوجه لهم السباب وأقذع الشتائم ويهددهم بالويل والثبور وعظائم الأمور وآه لو كان قد نظر تحت قدميه لرآني !! لكن إرادة الله وعنايته بالمجاهدين فى سبيله قد حفظتنا ونجتنا من كيد الكائدين ومن سطوة المعتدين ..

وانصرف أفراد القوة الإسرائيلية يجرون أذيال الخيبة لعدم حصولهم على مشتهاهم وأخذوا معهم شيخ هذه القبيلة وذلك لحجزه بأحد السجون كنوع من الترهيب والتخويف والضغط الذى تمارسه السلطات الإسرائيلية على الأهالي لمنعهم من التعاون مع المتسللين العاملين مع المخابرات المصرية ..

عندما حل الظلام خرجنا من مكمننا وتقدمنا للرجلين بكل الشكر والعرفان وقد جمعا لنا كل المعدات التى كانت معنا وزودانا بالماء والطعام وأحد الجمال لتكون وسيلة مواصلات لتكملة المسيرة إلى المرحلة الثانية .. وقد قاما بتوصيلنا إلى مشارف القبيلة بعد أن قاما بمراقبة المنطقة مراقبة جيدة للاطمئنان على خلو طريق سيرنا من الكمائن والدوريات الإسرائيلية وودعانا بحرارة وعناق متمنيين لنا التوفيق والسلامة..

بدأت المرحلة الأولى من مراحل العودة إلى منطقة عملى وهى تبتعد عنى – أى عن هذا المكان الذى كنت أختبئ فيه – مسافة مائة وخمسين كيلو متراً أو أكثر فى عمق الصحراء .. حيث الكثبان الرملية والرمال المتحركة والجبال الصخرية، صحراء قاحلة لا يسكنها الآدميون ..

وليس من أنيس سوى الدليل والجمل .. الذى نصحبه لحمل المتاع فقط ..خلال هذه الكثبان الرملية ووعورتها لا يمكن لأحد ركوب الجمل .. هذه المسافة نقطعها فى ثلاثة ليالى والسير يكون ليلا وليس بالنهار خوفاً من دوريات الطائرات الهليوكوبتر الإسرائيلية .. واستطلاع الدوريات المارة الإسرائيلية .. وكنا نطلق سراح الجمل بعيداً عنا ونختبئ نحن وسط الأشجار التى كان يسكنها الأفاعي والحيات والعقارب السامة فلابد أن يكون المرء هنا في منتهى اليقظة وإلا انتهى من لدغة حية أو عقرب سام .. كما كنا ترى بعض الغزلان ترعي وتجوب الصحراء .. وتستظل بالأشجار ولا تهرب منا لأنها لم تر إنساناً منذ زمن طويل..

وأخيراً وصلت إلى محطة الوصول الثانية وتركني الدليل وكان علي أن أكمل المشوار مع دليل آخر كان مكلفاً بتوصيلي إلى منطقة الانتظار الأخيرة لمقابلة أفراد مجموعتى لنقلى إلى مكان إقامتي .. واستمررنا فى السير على نفس المنوال .. وكان معى زمزمية ماء مصنوعة من القماش الخيش وأثناء انتظارنا بالنهار تحت ظل أحد الأشجار الشوكية وضعت الزمزمية على شجرة صغيرة وكانت ملامسة للرمال .. ونمنا حوالى ثلاث ساعات من شدة التعب .. وعندما استيقظنا كنت فى شدة العطش وسحبت الزمزمية لأشرب منها ولكننى وجدت الرمال قد سبقتنى وسحبت كل المياه الموجودة بها ..

ظللنا على هذا الحال من العطش حتى وصلنا إلى منطقة الانتظار الأخيرة .. وهناك وجدت أحد الأفراد بانتظاري حسب الاتفاق فشكرت الدليل الذى رافقنى وأعطيته الماء الذى كان مع زميلى ورجع إلى مكانه وواصلت الرحلة حتى وصلت إلى منطقة عمل المحطة بسلامة الله ..

وانهمرت الرسائل عبر الأثير

بعد مرور أسبوع على دخول ٢٦٠ إلى سيناء مرة أخرى بالجهاز اللاسلكي والمعدات .. تم تحقيق أول اتصال لاسلكي مع الشبكة وقد أفاد ببرقية لاسلكية بأنه وصل إلى مكانه بأمان وتمركز فى المنطقة وبدأ العمل على المحور الأوسط ..

كانت سعادة الزائد أبو خالد بالغة بهذا الحدث وقام على الفور بإبلاغ المدير ببدء تمام عمل الشبكة .. وأخذت الشبكة تعمل فى جمع المعلومات عن أنشطة العدو وتدريباته التى تقوم بها الوحدات العسكرية المتمركزة فى المنطقة ورصد تحركات العدو العسكرية على الطرق والممرات الداخلية بدقة متناهية والإبلاغ لاسلكياً عنها أول بأول. وكان ٢٦٠ قد قام بتدريب أفراد المجموعة التى كونها على تميز الأسلحة والمعدات المتنوعة للعدو بحيث يسهل عليهم معرفة أنواع المركبات المستخدمة فى التدريبات .. وكذلك المستخدمة فى التحركات .. وكان يتم الإبلاغ بصورةٍ منتظمةٍ عن تحركات العدو و نشاطه بالمنطقة.. و كان يتم الإبلاغ الفوري باللاسلكي عن أي نشاط مفاجئ لقوات العدو سواء كان هذا التغيير الطارئ في التحركات أو فى التدريب أو أي أحداث تؤثر علي الروح المعنوية للمواطنين بالداخل ..

كانت رسائل المعلومات و كذلك الأفلام التي تصور للمعسكرات والمواقع الإسرائيلية بطريقه البانوراما يتم إحضارها من الداخل بواسطة مندوبي اتصال وحاملي رسائل مدربين جيداً للقيام بمثل هذه الأعمال في مواعيد يتم تحديدها بدقه ووضع الخطط المناسبة لعمليات التقاطهم ودفعهم للداخل بأمان وسريه تامة من نقاط متفرقة عبر قناة السويس أو خليج السويس بصوره منتظمة ويتم تحليلها ومقارنتها بالمعلومات والأخبار التي تم جمعها من المصادر المختلفة للمخابرات لتأكيد صحتها.

ولم يستطع هذا الحائط الرملى الشاهق الذى بناه الجيش الإسرائيلي على قناة السويس بطول المواجهة من منع قطار الرسائل الواردة لنا من الداخل بصورة منتظمة بالرغم من الظروف البالغة الصعوبة والقسوة التى كانت تواجه حامليها أثناء تنفيذهم لهذه المهمات الشاقة بدنياً ونفسياً مستعينين بوسائل ذكية للخداع والمفاجأة والخبرة الجيدة بالطبيعة والليل والنجوم وطبيعة الأراضي، ويرجع الفضل فى ذلك إلى الروح العالية التى كانت تجمع هذه العناصر على التضحية وإنكار الذات والحب الكبير الذى يجمع بين الرئيس والمرؤوس فى مواجهة محاولات العدو المستميتة بتوجيه الضربات لها للحد من هذه العمليات على طول المواجهة شرق القناة وكذلك فى خليج السويس.

وقد وردت في إحدي هذه الرسائل من مجموعه ٢٦٠ خريطة عسكرية لمجموعه عمليات إسرائيلية (توازي فرقه مدرعة من القوات المصرية بأسلحتها) موضح بها تكتيك القيادة الإسرائيلية فى القيام بعمل هجوم مضاد ضد قوات مصرية نجحت فى عبور قناة السويس، وقد أفادت هذه الخريطة القيادة المصرية كثيراً فى توضيح فكر القيادة الإسرائيلية في طريقه التعامل مع القوات المصرية التي تنجح في اختراق قناة السويس. قام أبو خالد بسؤال ٢٦٠ ببرقية لاسلكية عن مصدر حصوله علي هذه الخريطة والمكان الذي أحضرها منه، فأفاده بأنها وصلته من مندوب جديد تحت الاختبار من منطقه بئر سبع وسيتم إخطاركم بتقرير مفصل في حينه، ونرى أنه سيكون مفيد لعمل الشبكة فى منطقه بئر سبع.لم يشأ أبو خالد مناقشته فى هذا الموضوع فى حينه وأكتفي بإبلاغه بتوخى الحذر لسلامه أمن الشبكة على أن يقوم بمناقشته تفصيلياً بخصوص هذا الموضوع عند حضوره فى المرة القادمة.

وبعيداً عن الأخبار العسكرية .. ساعدت الشبكة على تحسين الحالة الصحية والنفسية لأهالي سيناء تحت نير الاحتلال الإسرائيلي .. فقد

تفشت أمراض العيون كمرض الرمد والأمراض النفسية بين أهالي سيناء لعدم توفير الخدمة الطبية من جانب سلطات الاحتلال لهؤلاء الناس ..

قامت المخابرات الحربية بتصعيد هذه القضية إلى المحافل الدولية.. ثم قامت بمتابعة هذا الموضوع مع الصليب الأحمر الدولى عن طريق وزارة الخارجية المصرية، والتى قامت بإرسال لجنة خاصة لتقصى أحوال المواطنين فى المناطق المحتلة وتم الاتفاق على إرسال بعثات طبية: أطباء من جميع التخصصات .. ومهمات وأدوية طبية من القاهرة إلى سيناء تحت إشراف الصليب الأحمر الدولي وتم تجهيز مستشفى العريش .. وكذلك تجهيز نقاط طبية فى المناطق التى يسكنها البدو للكشف عليهم .. وتقديم العلاج والإشراف الطبى لهم .. مما كان له أكبر الأثر فى رفع الروح المعنوية للمواطنين بالداخل وزيادة روح الولاء والانتماء للوطن الأم ..

وقد ساعدت الشبكة في الإبلاغ عن عملاء للعدو كان يقوم بدفعهم إلى وادى النيل من خلال أفواج رحلات جمع شمل للأسرة والتى كانت تتم على فترات عن طريق الصليب الأحمر الدولى .. وقد ساعدت هذه الشبكة فى تعقب هؤلاء العملاء وعمل التحريات الدقيقة عنهم ومراقبتهم والقبض على من ثبتت إدانته وخطورته على الأمن القومى المصرى.

بعد التأكد من انتظام عمل الشبكة ونجاح ٢٦٠ فى تدريب شاب من عناصرها على درجة عالية من الذكاء والكفاءة فى العمل على الجهاز اللاسلكى ليكون بديلاً له يمكن الاعتماد عليه فى إدارة الشبكة بكفاءة، وذلك لتنفيذ الخطة الخاصة بتطوير عمل الشبكة بالداخل بما يتلاءم مع المهام المطلوب تنفيذها فى الداخل فى المرحلة المقبلة. فقد تم التفكير فى سحب المندوب ٢٦٠ من الداخل لعدة اعتبارات وهى:

أولاً: إعطائه فترة راحة بعد هذا المجهود المضنى والضغط العصبى

الشديد الذى كان يتعرض لهما بسبب تواجده بالداخل لمدة سبعة أشهر متصلة وهو متخفى فى الجبال والوديان ليس له مكان ثابت للاقامة به ولا يستطيع الاتصال بأسرته المقيمة بالقرب منه أو الاطمئنان عليهم وعلى والدته إلامن خلال مجموعته ونقل أخبارهم إليه حتى أنهم لا يعرفون بوجوده خوفاً من تسرب أخباره لأى عميل للعدو بالمنطقة وذلك حرصاً على أمن الشبكة وكذلك رؤية ابنه الذى ولد أثناء وجوده بالداخل.

ثانياً: إعطائه دورة تدريبية لرفع كفاءته وذلك على جهاز لاسلكي حديث تم تطويره بواسطة فنيين على درجة عالية من الكفاءة والخبرة قاموا برفع كفاءته الفنية والتغلب على المشاكل التى كانت تعترضه فى تحقيق الاتصالات من داخل المناطق الجبلية أو الصخرية.

ثالثاً: تدريبه على بعض الأعمال العسكرية مثل استخدام الأسلحة الخفيفة وإطلاق الصواريخ وعمل الدوائر الزمنية الخاصة بالإطلاق وطرق توجيهها وتحديد المسافة .. وذلك بما يتمشى مع خطة عمليات القيادة العامة للقوات المسلحة المستقبلية ..

وتم تحديد الموعد المناسب لسحبه من الداخل وتحديد المكان المناسب لإخلائه من الشاطئ الشرقى للقناة ..

الذعر داخل حقل الموت

كانت عمليات دفع والتقاط المندوبين من وإلى سيناء يتم تنفيذها بطرق سرية للغاية ويتم التخطيط الجيد لها مع استخدام كافة الإمكانيات التى تحقق المفاجأة والخداع وسرعة التنفيذ، لذلك فقد تم اختيار جيد لمندوب الاتصال الدليل الذى سيرافقه من آخر مرحلة حتى منطقة الالتقاط على الشاطيء الشرقى للقناة، وكذلك تحديد الموعد المناسب

لعملية الالتقاط والمواعيد التبادلية فى حالة عدم التمكن من تنفيذ أى مرحلة بنجاح .. وفى الموعد المحدد للتنفيذ توجه الرائد أبو خالد إلى مكتب الإسماعيلية، وكانت مجموعة الالتقاط بانتظاره .. ولكسب الوقت تحرك الجميع بعد تناول وجبة من الغذاء سريعة وهم وقوف (للتتميم) النهائى على المعدات والقارب "الزودياك" المستخدم والموتور وتحرك الرائد فى عربة جيب صغيرة .. وكان معه مجموعة أفراد الضفادع البشرية .. إلى موقع الالتقاط داخل أحد مواقع القوات المصرية فى منطقة جنوب البحيرات للتجهيز لفتح ثغرة فى حقل الألغام الخاص بهذه الوحدة، والممتد على الشاطئ الغربى للبحيرات مباشرة .. وكانت السيارة اللورى التى تحمل القارب الزودياك والموتور والمعدات قد تبعتهم بعد نصف ساعة من تحركهم وقد سلكت طريقاً مخالفاً للطريق الذى سلكه الرائد ومجموعته وذلك لأغراض الأمن والتمويه..

عند وصول الرائد للوحدة العسكرية قام على الفور باستدعاء عناصر المهندسين العسكريين الذين قاموا بفتح الثغرة فى حقل الألغام الموجود على الشاطئ حتى يمكن التحرك من خلاله والوصول إلى مياه البحيرة لإنزال القارب وتنفيذ العملية .. وعند وصول العربة اللورى مع باقى المعدات تم إنزالها على الفور مع آخر ضوء .. وتم إخفاء السيارات: الجيب واللورى مع غيرها فى حفر مخصصة لذلك فى الرمال .. وتمت عملية نفخ القارب وراء "تبة" بالموقع تم اتخاذها كساتر ترابى لمنع العدو أو وسائل استطلاعه من رصد ما يدور بهذا الموقع للتأمين.. مع حلول الظلام وهبوط أستار الليل تحركت المجموعة التى تحمل القارب الزودياك .. وكان بينهم جندى قوى البنيان ضخم الجثة تم اختياره لكى يحمل موتور القارب لثقل وزنه .. وأفراد الضفادع البشرية والدليل البحرى والرائد الذى يحمل معه جهازاً لاسلكياً صغيراً لالتقاط إشارة وصول ٢٦٠ ورفيقه إلى الشاطئ الشرقى ..

قام الزائد بعد عبور هذه المجموعة للثغرة التى تم فتحها فى حقل الألغام الممتد بوضع جندى من المهندسين العسكريين ومعه كشاف إنارة صغير على مدخل الثغرة – الفتحة – واتفق معه أنه بعد تنفيذ المأمورية وأثناء العودة ليلاً يقوم الرائد بإصدار إشارات من كشاف صغير معه .. ويقوم الجندى بالرد عليها حتى يعرف مدخل الثغرة ويمكن تفادى الدخول فى حقل الألغام ليلاً فى هذا الإظلام التام ..

بعد منتصف الليل بقليل ووسط صمت قاتل وزمن متوقف عن الدوران وكآبة مطبقة ووجوم موحش وقلق زائد .. أعطى المندوب إشارة الوصول إلى الشاطئ الشرقى للقناة .. وفى هذه اللحظة دبت الحياة فى هذا المكان الساكن وتحول إلى خلية نحل .. هذه مجموعة تقوم بإنزال القارب إلى الماء .. وهذه مجموعة تقوم بتركيب الموتور.. وتلك مجموعة تقوم بالتتميم على المجاديف الاحتياطية .. كل ذلك يتم تحت الظلام الحالك لأنه غير مسموح لهم باستخدام أى نوع من أنواع الإضاءة لخطورتها على سلامة العملية إذا تنبه العدو على الشاطئ الشرقى لذلك..

كان هذا النشاط الطارئ يتم دون إحداث أى أصوات .. وكان كل فرد يتحرك ويقوم بأداء واجبه المحدد الذى تم تدريبه عليه، والذى قام بتنفيذه مرات عديدة، حتى أصبح يحفظه عن ظهر قلب بدون أية أخطاء..

انطلقت المجموعة بالقارب فوق مياه البحيرة المعتمة .. وبعد ساعة مرت كالدهر عادت بعد أن تم التقاط يونس وزميله من الشاطئ الشرقى بنجاح .. وعند وصولهم إلى الشاطئ الغربى، وقف الرائد يعانق يونس وزميله عناقاً حاراً وأصدر تعليماته بسرعة إخلاء المنطقة خوفاً من ظهور أول ضوء عليهم بهذا المكان حيث قام الأفراد بعملهم فى همة ونشاط .. وتحركت المجموعة بنفس الطريقة.. الرائد أبو خالد فى

المقدمة وخلفه الدليل والمندوب وخلفهم القارب الزودياك المحمول بواسطة بعض الجنود .. ثم خلفهم الجندى الضخم الذى يحمل الموتور ..

ظل الرائد يرسل إشارات خافتة أثناء تقدمهم .. لكنه لم يكن يتلقى أى رد فيظل مستمراً فى السير مع المجموعة .. ماذا حدث؟ مرت دقائق قليلة .. وفجأة تسمر الجميع فى أماكنهم على صوت صرخة مدوية شقت هذا الهدوء الرهيب، وكأنها صرخة الموت .. جاءت من خلفهم صادرة من الجندى حارس الثغرة وكان يصيح فى هستيرية وألم شديد نتيجة لإفاقته من غفوته التى غلبته أثناء جلوسه فى انتظار عودتهم وشعوره بأنهم قد مروا به:

– يافندم .. يافندم أنتم فى وسط حقل الألغام !!

انزعج جميع أفراد القوة .. ووقعوا فى حيرة شديدة وصدرت منهم همهمة وصوت خافت خائف مختنق .. لكن الرائد استطاع السيطرة على الموقف .. وفى هدوء كعادته دائما فى مثل هذه الأزمات طمأنهم وهدأ من روعهم وثبت من اضطرابهم .. إنهم بلا شك داخل مقبرة الموت ولكن لابد من الحكمة والتأنى، وجاء صوت الرائد كالبلسم الشافى يشفى الجروح الدامية فى الصدور المضطربة قائلاً :

– اهدءوا .. مادام لم يحدث شئ مكروه حتى الآن فنحن بالتأكيد فى أمان..

ثم طلب من المجموعة أن تعمل (للخلف دور).. وطلب من كل فرد منهم أن يضع قدميه على آثارها الموجود على أرض الشاطئ الرخوة .. وكان يقوم بتوجيه كل فرد بواسطة ضوء الكشاف الصغير الموجود ليتمكن من السير على آثار أقدامه الموجودة على أرض الشاطئ حتى يخرج من الثغرة بأمان وهكذا، استغرقت هذه العملية فترة من

الوقت كانت بمثابة دهر من الزمان .. وكانت حركة كل فرد منهم صراعاً رهيبا مع الوقت الذى يخشى من أن ينبثق عليهم ضوء الفجر فتتعرض هذه المجموعة لخطورة كبيرة من جانب عيون العدو على الشاطئ الآخر ..

بعد أن تجمعت المجموعة قام أبو خالد بالتتميم عليهم .. وفى هذه اللحظة قام الجندى الضخم الجثة حامل الموتور برباطة جأش شديد وسأله فى نفاد صبر : هل زال الخطر يا فندم ؟ .. ونحن الآن فى أمان ؟ فطمأنه الرائد وقال له : نعم الحمد لله، وبدأ الرائد فى الالتفاف لتحريك باقى المجموعة .. لكنه سمع صوت ارتطام هائل على الأرض من خلفه وعندما التفت لمعرفة مصدر هذا الصوت الشديد، وجد هذا الجندى قد سقط على الأرض، دفعة واحدة .. بينما سقط الموتور الذى يحمله بعيداً عنه بفضل رعاية الله ورحمته وذلك نتيجة الصدمة العصبية الشديدة التى كان يتحملها منذ أن سمع صراخ الجندى .. وإدراكه أنه محاصر داخل حقل لألغام (أى حقل الموت) وكان يحمل على كاهله حملاً ثقيلاً، وظل متحاملاً حتى أطمئن على خروجه منه .. ثم خارت قواه خارج حقل الألغام .. وفى الحال أسرع زملاؤه بحمله .. فالوقت ليس فى صالحهم الآن ..

خرجت المجموعة بسلامة الله من حقل الألغام باستخدامهم للثغرة التى كانت محددة بهذا الحقل ثم أعيد إغلاقها بواسطة عنصر المهندسين العسكريين ليعود كل شئ إلى طبيعته الأصلية.. ويعود السكون إلى المكان مرة أخرى .. وكأن شيئاً لم يحدث .. حتى لا يظهر لاستطلاع العدو وجود نشاط غير عادى فى هذا الموقع. بعد انقضاء هذه الغمة التفت يونس إلى الرائد ونظر له نظرة ذات معنى ولسان حاله يقول " أبعد أن امكث سبعة شهور بالداخل والموت يحيط بى فى كل لحظة ثم حفظنى الله سبحانه وتعالى ونجانى ورجعت بالسلامة فأجد الموت أيضاً بانتظارى ".

عند حلول أول ضوء للصباح، اصطحب الرائد مغه يونس إلى القاهرة بعد قضاء ليلتهم فى مكتب المخابرات الحربية فى الإسماعيلية مع باقى المجموعة .. وعند وصولهما طلب الرائد منه كتابة تقرير مفصل عن مأموريته بالداخل حتى يمكن دراسته دراسة تفصيلية لتغطية نقاط الضعف .. أو معرفة وجود أى ثغرات فى طريقة عمل الشبكة وإجراء التعديلات لتطوير الشبكة وتحسين أسلوب عملها لكى تقوم بمهامها بكفاءة عالية .. وتم مناقشته تفصيلياً فى إمكانية إضافة أى مهام جديدة لعمل المجموعة ..

كانت هذه أول مأمورية يتم دفع يونس فيها عبر قناة السويس متسللاً من خلال المواقع الدفاعية للقوات الإسرائيلية .. فقد أكتسب خبرة كبيرة وحصل على تطعيم حى للمعركة – وهذا اصطلاح عسكرى يطلق على الجندى عندما يلتحق بالجيش ثم يدفع به الى ميدان تدريب مصغر يحاكى ميدان المعركة ليحصل على تطعيم المعركة –ساعدت كثيراً فى حدوث تغيرات جوهرية فى سلوكياته وقوت من عوده وشحذت من همته وعزمه على تخطى الصعاب وزادت من روح التحدى بداخله .. فقد مكث فى هذه المأمورية بالداخل مدة سبعة أشهر كاملة.كان يعيش متنقلا فى الجبال والوديان بعيداً عن الأنظار؟؟؟ متخفياً سواء من الأهالي أو من الأعداء إلا من مجموعته الذين كانوا فى عونه على تنفيذ مهامه بإخلاص وكفاءة، فقد كانت الطرق والدروب صعبة وقاسية .. وأى تحركات لا تتم إلا ليلا ولكن أيضاً بحذر وخوف من أى مفاجأة غير متوقعة .. وكان يقضى نهاره مختبئاً إما فى جحر فى رمال الصحراء الملتهبة مموها ببعض الأعشاب الشوكية ليختفى عن الأنظار أو داخل كهف في الجبل.. وكثيراً ما كانت تشاركه بعض الحيوانات وحشرات الجبال فى مكمنه.. فقد كان كل تفكيره فى التصميم على نجاح مهمته .. ناهيك عن الإعاشة فى هذه المناطق فقد كانت أكثر قسوة .. فقد كانت ندرة المياه تشكل أكبر

عشرة كانت قطرة المياه لها ثمنها الغالي، فهى الحياة ولابد من المحافظة عليها كالمحافظة على روحه .. التحركات النهارية محرمة نظراً لنشاط طائرات الهليوكوبتر المستمر للعدو على تلك المناطق المحرمة خوفاً من وجود متسللين بها للقيام بأعمال مضادة للقوات الإسرائيلية بالداخل ..

وفى إحدى جولاته عثر فى منطقة مهجورة على عربة مدرعة معطوبة، فأخذ يستخدمها فى الاحتماء داخلها والمبيت فيها ليلاً خشية الذئاب والضباع، وكان يستخدم الكيروسين الذى كان موجوداً فى خزان الوقود بها فى ملىء ولاعته وكذلك لملىء مصباح الكيروسين الذى يستخدمه للإضاءة ليلاً كى يتمكن من كتابة تقارير المعلومات والرسائل اللاسلكية .

أما استخدام اللاسلكي فكان حكاية أخرى .. كان لابد له من تحقيق الاتصال اللاسلكي من مناطق متفرقة حتى لا يعطى لأجهزة تحديد الاتجاه الخاصة بالعدو الفرصة لتحديد موقعه والوصول إلى مكانه .. فكان عند القيام بالاتصال اللاسلكي يستخدم فى ذلك ثلاثة جمال . الجمل الذى يمتطيه ومحمل عليه الجهاز اللاسلكي يكون فى المنتصف وعن يمينه ويساره جملان يمتطيهما فردان من مجموعته واجبهما الإمساك بالإيريال الخاص بالإرسال بحيث تكون المسافة بين كل جمل والجمل الموجود فوقه الجهاز بالمنتصف مسافة لاتقل عن إثنى عشر متراً .. ثم تقوم المجموعة بعمل توجيه للجمال جهة اليمين واليسار حتى يتم تحقيق اتصال جيد بالمحطة الرئيسية .. ثم يقوم بإرسال الرسائل المطلوب إرسالها بطريقة مشفرة .. وهو متحرك بنفس المجموعة فى نفس الاتجاه حتى إذا تمكنت وحدات التصنت الخاصة بالعدو من التقاط هذا الإرسال تجد صعوبة كبيرة فى تحديد مكانه لأنه متحرك فى اتجاهات مختلفة .. فيظنون أنها إحدى المحطات أو الوحدات المتحركة فى مكان ما على الجبهة.

وقد ابتكرت المجموعة غطاء لحماية مستخدم الجهاز اللاسلكى من العوامل الجوية السائدة فى هذه البيئة الصحراوية مثل الرياح المشبعة بالرمال والأمطار وخلافه. غطاء يشبه الهودج يمكن غلقه بإحكام فيساعد مستخدم الجهاز على العمل بحرية باستخدام كشاف كهربائى أو مصباح كيروسين لقراءة وكتابة الرسائل بسهولة، كذلك ضمان عدم خروج أى أصوات كالتى تصدر من الجهاز اللاسلكى عند الاستخدام خاصة أثناء الليل فى هذه الأماكن الساكنة الممتدة نظراً لأنه كان يعمل فى منطقة منبسطة ويتفادى الدخول إلى المناطق الجبلية أو الصخرية ليضمن تحقيق اتصالات لاسلكية جيدة.

وقد حدث فى أول تجربة للاتصال بهذه الطريقة وعندما بدأ يونس فى استخدام الجهاز، أن صدر منه صوت صفير جعل أحد الجمال يجفل وينطلق فى الصحراء وتسبب فى قطع الإيريال .. انطلقت المجموعة فى أثره للحاق به ومحاوله تهدئته وإعادته .. وانتابتهم حالة من القلق والذعر لأن الموقف الذى كانوا موجودين فيه لا يحتمل كل هذه الجلبة التى حدثت ولولا لطف الله وعنايته لتسبب هذا الحادث فى كارثة .. ولولا التدريب الجيد الذى حصل عليه لما تمكن من إصلاح الجهاز وإعادة الاتصال به مرة أخرى بعد فترة طويلة من القلق والغموض مرت على الرئاسة فى القاهرة.

أما بخصوص تصوير المواقع الإسرائيلية بالكاميرا مع استخدام التيليفوتو، فنظراً لأن المواقع الإسرائيلية كانت تقع على مسافات بعيدة جداً يُحظر إقامة أو مرور الأهالي بهذه المناطق .. فقد كان يتم تزويد الكاميرا بتليفوتو طوله يتعدى النصف متر ليعطى كفاءة عالية فى التقريب .. ومع ذلك كان عندما يأخذ واجب تصوير أحد المواقع أو المعسكرات الإسرائيلية، يقوم

بتكليف أحد أفراد المجموعة بعمل استطلاع لموقع الهدف ودراسته جيداً أولاً، وكذا دراسة أأمن الطرق وأنسبها للوصول إليه والمكان المناسب للقيام بالتصوير منه .. ثم يقوم هو بعد ذلك بمصاحبة دليل ذى خبرة بالمنطقة المراد تصويرها والتحرك ليلاً والوصول إلى مكان الهدف ليلا والتمركز فى المنطقة المناسبة لزوايا التصوير بطريقة البانوراما وتجهيز الكاميرا والتليفوتو وطمس الأجزاء اللامعة منها بأى مادة غامقة اللون حتى لا تعكس أشعة الضوء فينكشف مكانه، ثم يقوم بالتصوير فى أول ضوء بعد أن يتأكد من تمام تجهز الكاميرا وصلاحيتها للتصوير، ويأخذ صور بانوراما للموقع بالكامل من اليمين إلى اليسار .. ثم يعاود التصوير مرة أخرى فى أخر ضوء بنفس الطريقة حتى يمكن توضيح جميع أجزاء الموقع والتأكد من ظهور كافة التفاصيل المطلوبة أثناء دراسة الصور الملتقطة ومعرفة موعد التقاطها.. وعند حلول الظلام ينسحب هو والدليل في طريق العودة إلى مكان عملهما .. وكان يقوم بإرسال هذه الأفلام أولاً بأول بعد حفظها بطريقة مأمونة تم تدريبه جيداً عليها وذلك مع مندوب الاتصال الخاص بالشبكة لتوصيلها إلى القاهرة.

.. كانت صور البانوراما لهذه المواقع والمعسكرات الإسرائيلية بالداخل على درجة كبيرة من الأهمية وساعدت فى الكشف عن النظام الدفاعى للعدو والأماكن المناسبة لمهاجمتها والاستيلاء عليها كما حدث بعد ذلك أثناء العمليات العسكرية. كذلك ساعدت القوات الخاصة المصرية فى القيام بالعمليات الفدائية ضد هذه الأهداف وتكبيد العدو خسائر فادحة أثرت بدرجة كبيرة على الروح المعنوية للقوات الإسرائيلية العاملة فى سيناء.

الفصـــل الثـــالث

كانت عقارب الساعة تدق في مكتب الرائد أبو خـالد .. وتشير إلـى العاشرة صباحاً .. عندما دخل الرائد ومعـه عـامل البوفيـه الـذى يحمـل " سرفيس " طعـام مـن الخبز البلدى والبيض المسلوق وقليـل مـن الجبـن الأبيض والزيتون الأخضـر..وكوبـان مـن الشـاى مغطـاة بأطبـاق صينـى حتى لا يبرد ويظل سـاخناً بعـض الوقـت .. قـال أبـو خـالد مداعبـاً: هـذا إفطار ميرى خاص بـالقوات المسلحة .. لكـى تعـرف أنـك داخـل وحـدة عسكرية مثل باقي الوحدات .. ألا تأكل معى؟ .. فقال يونس وهو ينهض من وراء المكتب ويترك الأوراق و القلم فى دعابة ومرح: لا بأس.. وإن كان هذا التقرير المفصل فى حاجة إلى دجاجة مشوية! .. أو لحم مسلوق ومحمرّ! فاستدار الرائد مبتسماً وقال موجهاً حديثـه للعـامل الـذى كـان لا يزال واقفاً فى انتظار الأوامر: يا عم عبـده.. فـى السـاعة الثانيـة ظهـراً أرجو أن تقدم له دجاجة مشوية مع الغذاء .. فقال الرجل وهو ينصـرف: حاضر يافندم ..

وبعد أن فرغ الإثنان من تنـاول الإفطـار .. انصـرف الرائـد وتـرك يونس منهمكاً فى كتابة التقرير الهام المفصل عن مهمته السابقة. وعندمـا حضر له الرائد عصراً بادره قائلاً: أما الآن فأنا أصحبك فى نزهـة علـى شاطئ النيل للاستمتاع بمنظر الغروب .. بعيداً عن السياسة والعسكرية!.

غادرا المكتب وهبطا درجات السلم ثم صحبـه الرائـد فـى سيارتـه البيضاء إلى رحلة شاعرية على كورنيش النيـل فـى منطقـة أكثـر هـدوءا وراحـة .. بعيدا عـن زحـام البشـر والسيارات وحركـة المـرور التـى لا تتوقف فى المدينة، وحول مائدة مستديرة فى كازينو علـى شـاطئ النيـل، جلس الرجلان يتأملان غروب الشمس وقد تحولت المياه إلى رقـائق مـن

الذهب الخالص المتلألئ بفضل أشعة الشمس الحمراء، وطلب الرائد بعض المشروبات وأثناء تناول المشروب قال الرائد وقد أسند ظهره إلى الكرسى المستدير المصنوع من جريد النخل: لقد تصدق على إعطائك إجازة لمدة أسبوعين تقضيها مع أسرتك .. وألف مبروك لقد رُزقتَ بمولود جميل، فقال يونس مبتهجاً وقد احتوته مشاعر اللذة والألم والسعادة والقلق: ابني المولود !، فهز الرائد رأسه بالإيجاب وهو ينتهى من شرابه قائلا : طفل جميل .. وإن شاء الله يكون بطلاً مثل والده .. فعاد يونس يقول مندهشا: متى ولدت سالمة ؟، لقد كانت حاملاً عند سفرى لسيناء ..فقال الرائد: اطمئن ولدت زوجتك هذا الطفل الجميل فى الشهر السابع نتيجة آلام مفاجئة وقد قمنا بعمل الإجراءات اللازمة لسلامتها حتى وضعت فى إحدى مستشفيات القوات المسلحة حيث لاقت رعاية طبية خاصة وعناية فائقة.

نظر يونس إليه فى امتنان وسعادة بالغة بهذا النبأ السعيد وقال: طبعاً أنا واثق أنكم قمتم بأكثر مما لو كنت أنا موجوداً..قال الرائد: لقد كانت الولادة متعثرة إلى حدٍ ما .. لقد وضعنا معها سيدة لمرافقتها ومساعدتها والسهر على راحتها حتى تمت الولادة بسلام.. وخرجت بسلامة الله. لم يستطع يونس أن يحرك لسانه من شدة الفرح بينما انفرجت أسارير وجهه وأشرقت عيناه وكاد أن يطير من الفرحة بلا أجنحة وأحس الرائد بذلك فاستطرد قائلاً : وهى الآن موجودة فى منزلها ومعها السيدة المرافقة لها من طرفنا للسهر على راحتها وخدمة المولود لحين عودتك. ثم عادا إلى المكتب بعد استمتاعهما بهذه الجلسة على شاطئ النيل.

كان الرائد ويونس يقفان بالمكتب أمام خريطة بيانية لسيناء لمناقشة التقرير مناقشة تفصيلية، وامتدت المناقشة والحوار حتى وقت متأخر من الليل وبعد أن انتهيا من كافه التفاصيل وقف الرائد صامتاً لفترةٍ والتقط

نفساً عميقاً وكان يونس واقفاً قبالة يتفرس قسمات وجهه التى ظهرت عليه أثار من القلق والريبة ثم فجأة طلب منه أن يذكر له بالتفصيل كيفيه وصول خريطة العمليات الإسرائيلية إليه، وهنا اكتشف يونس على الفور سر أثار القلق التى كانت ظاهرة على وجه الرائد، فأبلغه أنها قصه طويلة سأحكيها لك بالتفصيل لأنها ستكون مهمة جداً لنا لضم خلية جديدة ستكون هامة فى منطقة بئر سبع ولم أشأ أن أكتب ذلك فى التقرير وسأقوم بكتابه تقرير مفصل بذلك. فرد أبو خالد قائلا عموماً احكى لى عن كل شئ بالتفصيل واترك موضوع التقرير فيما بعد. فقال يونس أنا أعرف شخصاً من أبناء عمومتى يدعى حسان ومن نفس قبيلتنا ولكنه كان يقيم فى منطقه بئر سبع مع أسرته من قبل نكسه ٦٧ وكنا نسمع عنه أنه يعمل فى التجارة وأنه ناجح فى عمله، وبعد عدوان يونيو ٦٧ أصبح يتردد على سيناء ويتصل بأفراد القبيلة المقيمين فى سيناء، ولقد تقابلنا عدة مرات بعد عدوان يونيو من قبل هروبى إلى مصر وتعارفنا معرفة جيده وصارحته بما كنا نقوم به من أعمال مقاومة ضد قوات الاحتلال وكان متحمساً جداً لأعمالنا وهو طبعاً يجيد اللغة العبرية تحدثاً وكتابه وأبلغنى بأنه يعمل متعهد توريدات مع الجيش الإسرائيلي وكان يمدنى ببعض الأخبار عن مواقع وتحركات للقوات الإسرائيلية فى داخل إسرائيل، وبعد هروبى انقطع الاتصال بيننا، وقد فوجئت هذه المرة بأحد أفراد الشبكة يبلغنى بأن حسان قد حضر إلى المنطقة ويسأل عنى بإلحاح ويريد مقابلتى لأمر هام. فترددت كثيراً وفكرت وخشيت أن تكون المخابرات الإسرائيلية تريد دسه علينا وكنت فى حيرة وفى الوقت نفسه خشيت أن أخبرك بطلبه لمقابلتى فأنا أعلم بأنك سترفض قطعاً، فقاطعه أبو خالد قائلاً طبعا لأنه ليس عندي خلفية مسبقة بهذا الموضوع وأنت تعلم أن هذه الموضوعات تحتاج دراسة جيدة للمحافظة على أمن الشبكة، فاستطرد يونس قائلاً طبعاً طبعاً، ثم هدانى تفكيرى العميق إلي أن هذا الشخص ربما لم يعلم بهروبى من المنطقة ومقابلتى له في منطقه وزمان

أنا أحدده ستكون مفيدة جداً لي فى أننى أستطيع الحكم على خلفياته من مقابلتى له وجهاً لوجه، وفعلاً حددت موعد ومكان آمن لمقابلته وحضر فى الموعد وبعد تبادل السلامات والعناق والسؤال عن الأحوال بادرنى قائلاً: معى رسالة هامة جداً وأريد أن أرسلها للقاهرة وأننى قد غامرت بنفسى حتى تمكنت من الحصول عليها لمعرفتى بأنها ستكون هامة جداً للقيادة المصرية، ثم أخرج من بين طيات ملابسه خريطة مطبقة بعناية ثم أخذ يفردها وأخذ يشرح لى كل ما هو مكتوب عليها باللغة العبرية.، وهنا عرفت أنها وثيقة فى غاية الأهمية. ولكننى كنت فى نفس الوقت حريصاً على أمنى فقلت له بعد فتره من التردد والحيره المصطنعة، معك كل الحق ولكن كيف لى أن أوصلها للقاهرة ؟ فركز على بنظرة طويلة ذات مغزى وارتسمت على وجهه نصف إبتسامة ماكرة ثم عاجلنى قائلا عموماً إننى عندما فكرت فى الحصول على هذه الخريطة فكرت كثيراً فى كيفيه توصيلها إلى القاهرة ثم تذكرت بأنك فد أخبرتنى بأنك تعمل مع مجموعة على إتصال بمصر. وعندما حضرت إلى المنطقة وتحسست أخبارك عرفت بأنك هربت إلى مصر فذهبت إلى أبن عمنا الشيخ سويلم وأخبرته بالموضوع طبعاً لأننى كنت فى حيرة لأنى أعلم تماماً أهميه هذه الخريطة.

وعندما عرف هو الآخر مدى أهميتها أبلغنى بطريقة فهمت منها أن أعود إليك مرة أخرى بالمنطقة وأنك ستقوم بعمل اللازم. وهنا أسقط فى يدى، وقد أكد هذا الحادث لى صدق فراستى بأن الشيخ كان على علم بوجودى وعملى بالداخل، فأخذت الخريطة منه ووعدته بعمل اللازم وهنا ظهرت على وجهه سعادة غامرة وارتياح بالغ بعد ما كان يعانيه من هم ثقيل، ولقد أبلغني بأن له بعض أقرانه من العرب المخلصين فى منطقه بئر سبع على استعداد تام للقيام بأى أعمال يتم تكليفهم بها، فطلبت منه أن ينتظر إلى حين يسمع منى وذلك لحين أن أناقشك فى ذلك فإننى أرى من طبيعة شخصيتة وإمكاناته أنه يصلح للعمل معنا مع مجموعته

فى منطقه بئر سبع وبذلك يمكن إضافة خلية جيدة للشبكة فى منطقـه بـئر سبع. وصمت أبو خالد مفكراً ولكـن كـان يونـس يقـرأ بفراسته علامـات الرضـى والاستحسـان المرتسمة علـى وجهـه ولكنـه لـم يعلـق علـى شـئ كعادته في أخذ وقته الكافى من الدراسة لاتخاذ القـرار المناسـب ثـم بـادر يونس قائلاً: وهل عرفت منه كيف حصل على هذه الخريطة، فقال يونس طبعاً، فقد أخبرنى بأنه بحكم عمله مع بعض وحدات الجيش الإسرائيلى كمتعهد توريدات، فقد ذهب إلى المعسكر الإسرائيلى فـى منطقـه العمـرو علـى الحـدود مـع إسـرائيل جنـوب رفـح وهـو معسـكر مسـتديم مجهـز لاستقبال القوات الإسرائيلية القادمة من الداخـل للتدريـب علـى العمليـات بالأراضي الصحراوية وخاصة قوات المظليين وذلك بناء علـى استدعاء من القائد الإداري للمعسكر لتنفيذ بعض المطالب الخاصـة بهم ولكنـه لـم يجده بالمكتب المعتـاد أن يقابلـه فيـه فسـأل عنـه فأشـار أحد الجنـود إلـى مكتب قريب مجاور موجود به ولما دخل هذا المكتب وجده يتوسط ثلاثـة من الضباط الإسرائيليين ملتفين حول طاولـة مستطيلة يتدارسـون إحـدى الخرائط فلما التفت إليه الضابط ووجده بينهم قام بحركـة فجائيـة بسـرعة وقام بتطبيق الخريطـة بطريقـة عصبيـة ومرتبكـة، فأثـارت هـذه الحركـة انتباه حسان بأن هذه الخريطة بها شئ مهم وبسرعة حاول قـراءة بعـض المكتوب عليها وتأكد حدسه بأنها خريطة سرية، ثم قام هذا الضابط وهـو من أصل درزى بعد أن انتهى من تطبيق الخريطة ووضعها أسفل بعـض الخرائط الموضوعة على ركن الطاولة بجوار الحائط، ثـم اصطحبـه إلـى المكتب المعتاد مقابلتـه فيـه. وأثنـاء مناقشـتهما سـمعا أصـوات محركـات طائرات تطير فوق المعسكر ثم بعد فترة سمعا أصوات صفارات الإنـذار تنطلق من بين جنبات المعسكر وحـدث هـرج ومـرج بيـن كافـة الضبـاط والجنود، وأسرع هـذا الضـابط الإسـرائيلي بـالخروج مـن المكتـب تاركـا حسان بداخله بمفرده فوقف حسان لفترة وفكر بسرعة وقد حسب بأن هذه ربما تكون طائرات مصرية تقوم بمهاجمـة المعسـكر، وأثنـاء ذلـك تذكـر

هذه الخريطة فقرر على الفور الحصول عليها مهما كلفه الأمر، فانتهز هذا الهرج واندفاع أفراد المعسكر إلى مكان خارج المعسكر، فتسلل إلى المكتب الموجود به الخرائط وأغلق على نفسه من الداخل ثم أخذ يبحث في كومة هذه الخرائط الموضوعة حتى عثر على هذه الخريطة ثم قام بتطبيق خريطة أخرى بنفس الطريقة ووضعها مكانها وأعاد كل شئ إلى أصله ثم أخفى هذه الخريطة بين طيات ملابسه ثم خرج من المكتب بهدوء بعد أن تأكد من خلو الطريق وعاد إلى المكتب الذي كان يجلس به بهدوء محافظاً علي رباطه جأشه وجلس بنفس الوضع وفى نفس المكان الذى كان جالسا فيه، وعلى الفور حضر هذا الضابط الدرزى واستكملا حديثهما وأثناء الحديث عرف منه بأن أحد المظليين لم تفتح مظلته أثناء عملية الإسقاط وكان هذا سبب الهرج الذى حدث. وبعد الاتفاق على كل شئ مع الضابط، خرج من المعسكر بطريقة طبيعية رابط الجأش كأن لم يحدث شئ لعدم الشك فى أمره ثم أخذ يبحث عنى حتى وصل إلىّ.

بعد أن انتهى يونس من سرد القصة طقطق أبو خالد برأسه مفكراً بعمق ثم عاجل يونس قائلاً: لقد وضح بأن الشيخ يعلم بوجودك بالداخل وليس ذلك فقط بل إنه يساعد أيضاً فى التغطية عليكم .. فرد يونس قائلاً هذا ما عرفته أنا أيضاً بعد مقابلتى لحسان .. وهنا هز أبو خالد رأسه قائلاً إن موقف الشيخ هذا سيدعونا لعمل دراسة جديدة للاستفادة منه فى أعمال مستقبلية لنا بالداخل وسأخبرك فى حينه، المهم المطلوب منك الآن إعطائي أسماء حسان وجماعته فى بئر سبع بالتفصيل ومحلات إقامتهم هناك والأعمال التى يزاولونها الآن .. وطبعاً أنت حافظهم فى رأسك، فأجاب يونس طبعاً طبعاً .. وبعد أن انتهى من إملاء كافة البيانات إلى الرائد قام باصطحابه حتى السيارة التى كانت تنتظره عند المدخل الخارجى للمبنى وكان أحد أفراد الأمن جاهزاً لتوصيله إلى شقته التى تقيم بها زوجته وابنه.

عندما وصل يونس، دق جرس الشقة وفتح الباب وكانت الزوجة سالمة هي التي وراءه، فاستأذن الجندى في الانصراف وشكره يونس، ثم دخل وعندما رأته سالمة صاحت من الفرحة وعانقته طويلاً وأخذت تتحسس جسمه وصدره ووجهه وتتأمل عينيه وكأنها لا تصدق .. والتفت بذراعيها حوله في حب وهي تبشره بالمولود الجديد الذى لم تسمه حتى الآن باسم معين .. وصحبته معها إلى فراش الطفل الغارق في نومه .. فأخذه يونس بين زراعيه وأخذ يقبله بحرارة ثم أعاده إلى فراشه .. في هدوء وسكون..

أما الزوجة الحبيبة المحبة له فقد أحاطته بذراعيها واحتضنته ثم ساعدته في خلع ملابسه وحذائه كعادة نساء القبائل العربية، وأخذت تحكى له ما حدث معها وأن أبو خالد كان دائم السؤال عن أحوالها وكان يرسل من يقوم بتلبية مطالبها باستمرار .. وسألها يونس عن صحتها الآن وعن حالتها، فأخبرته بأنها تماثلت للشفاء وأنهم قاموا بأكثر من الواجب .. وطلبت منه أن يبلغ شكرها للرائد على ما قدمه لها من الرعاية والمساعدة..

كان الرائد قد أبلغه بموضوعات التدريب التى ستتم له لرفع مستواه وتطوير عمله واتفق معه على موعد المقابلة بعد الإجازة للبدء في التدريب، وفي الفترة التي قضى فيها يونس الإجازة تم وضع خطة تشغيل وتطوير عمله وتطوير إمكانيات الشبكة بالداخل بما يتمشى مع متطلبات خطة عمليات القوات المسلحة المقبلة - لردع قوات العدو .. سواء على الجبهة أو في عمق دفاعات العدو .. والقيام بعمليات تعرضية لقواته ومنشأته خلف الخطوط وفي العمق الإستراتيجي وإحداث أكبر خسائر في الأفراد والمعدات وفي المنشآت العسكرية لقواته لخفض الروح المعنوية لأفراده وتلقينه درسا هاما هو أن احتلال الأرض لن يوفر لإسرائيل الأمن الذى تنشده، وعاد يونس بعد انتهاء أجازته وذهب

على الفور إلى المبنى فوجد الرائد أبو خالد الذى كان فى انتظاره، فصافحه بحرارة وأبلغه بأنه سيتلقى أولاً برنامج تدريب على بعض الأعمال العسكرية فى أحد وحدات القوات الخاصة بمنطقة الجبهة حتى يكون تدريباً واقعياً وقد قمنا باتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك.

أقلته سيارة إلى هذه الوحدة على أنه جندى متطوع ليتلقى التدريب الميدانى فيها، وقامت قيادة الوحدة الخاصة باستلام أوراقه والترحيب به.. وجاء حلاق الوحدة بناء على طلب القائد وأخذ يونس معه لحلاقة شعره الذى كان طويلاً ناعماً مسدلاً على الجبهة وخلف الرقبة لكى يكون مثل باقى زملائه المتطوعين بالقوات المسلحة ولكى يعيش مع باقى أقرانه بالوحدة حياته المستقبلة يطبق عليه ما يطبق عليهم من قوانين ولوائح عسكرية ..

فى مساء اليوم الأول لدخول يونس هذه الوحدة العسكرية القريبة من الإسماعيلية جاء قائد الوحدة إلى المخيم الذى يبيت فيه الجنود .. وكان معه ضابط برتبة نقيب وخلفهما مساعد التعليم المسئول عن تعليم الفرقة الجديدة من الجنود .. وعندما قدم القائد نفسه ومن معه لهؤلاء الجنود وأثناء إلقائه لمحاضرة قصيرة للترحيب بوجودهم بينهم اخوة في الكفاح المسلح، استرعى انتباه يونس أن هذا المساعد الذى كان واقفاً خلفهم منذ أن دخل مع القائد وهو لم يرفع عينه من عليه وكان يتفرسه جيداً، وظل يونس فى حيرة من أمره لدرجة أنه لم يسمع أى شئ مما كان يقوله القائد من تعليمات وتوجيهات وكان مشغولا بأمر هذا المساعد؟. كان شكله يعتبر مألوفاً له ولكنه يعجز عن تذكره، وبعد أن انتهى القائد من محاضرته وغادر المكان، عاد هذا المساعد مرة أخرى وتوجه إلى يونس مباشرة وسأله عن اسمه فأجابه، وهنا رفع هذا المساعد غطاء رأسه وقال له حتى الآن لم تتذكرنى، وهنا شهق يونس شهقةً شديدةً واندفع إليه بشدة يعانقه فقد تذكر للتو بأنه هو الذى كان زميله فى خلية العريش والذى

كان يدّعى بأنه موظف بـإحدى الشـركات بالمدينـة ... فقد كـانت صدفـة ولقاءاً جميلاً... وقد تعهده هذا المساعد بالتدريب الجيد، وكانا يسترجعان ذكريات هذه الأيام الجميلة رغم قسوتها. وكان هذا المساعد خير رفيق له فى معاونته على إتمام التدريب بكفاءة تامة لأنه يعلم بأنه سيعمل بعد ذلك بمفرده بالداخل.

فى هذا البيت التـابع للمخـابرات الحربيـة كـان يونـس يتلقـى تدريبـاً جديداً له على استخدام جهاز لاسلكى حديث ذى إمكانيات فنيـة واتصاليـة أفضل من ذلك الجهاز المستخدم فى الشـبكة .. وكـانت إدارة المخـابرات قد طورته بطريقة ما وأضافت إليه من التقنيات الحديثة فـى حينـه بحيث أصبح من أفضل أجهزة اللاسلكى .. وفـى ذلـك البيت التـابع للمخـابرات الحربية تم تدريب يونس على استخدام تقنيـة جديـدة فـى تشـفير الرسـائل اللاسلكية يصعب حلها فى حالة التقاطها بواسطة المخابرات الإسـرائيلية. وأمضى يونس أسبوعاً شاقاً فى التدريب على الجهاز اللاسلكى الحديـث.. وعلى الوسائل الحديثة فى الاتصالات، فقد كـان التدريـب نظريـا وعمليـاً داخـل هـذا المبنـى وعلـى أيـدي كبـار الفنييـن.. وكـان التدريـب صباحـاً ومسـاءاً .. وفـى نهايـة مـدة التدريـب الخـاص تـم اختبـاره علـى الجهـاز للاطمئنان على استيعابه للتدريبات التى تمت لـه علـى الجهـاز اللاسـلكى والشفرة، وقد تم منحه إجازة لمدة أسبوع للراحة والاستجمام بعد كل هـذا العناء الذى لاقاه فى فترات التدريب .. وأيضاً لحين استكمال خطة الدفـع المناسبة له بالداخل..

صـــوت النذير من فم الأسير

أثنـاء قيام الشبكة بعملهـا بـالداخل .. وكـان نشـاطها مستمرا، حـدث حـادث كاد أن يعرض أمن المجموعة للخطر .. وذلـك لمندوب الاتصـال وحامل الرسـائل الخاص بهذه المحطة .. هذا الحـادث يظهـر مـدى قسـوة

الصـراع وحدتـه الـذى كـان محتدمـاً بيـن المخـابرات الحربيـة المصريـة والمخابرات الإسرائيلية واستماتة العدو فى مقاومة نشاط العناصر العاملة مع المخابرات الحربية في سيناء والأرض المحتلة والمحاولات المستمرة من جانب العدو لضربها ووقف نشاطها لما يشعر به من خطورة نشاطها وأثره الكبير علـى أمـن وسـلامة القوات الإسرائيلية بسـيناء .. ومـدى إصرار المخابرات المصرية على استمرار نشاطها فى الحصول علـى المعلومـات عـن نشـاط القـوات الإسـرائيلية فـى سيناء أولا بـأول وعـدم السماح بإعاقة هذا النشاط أو تعطيله تحت أى ظرف.

حـدث هـذا أثنـاء وجـود يونـس بالقـاهرة لإعـادة تدريبـه فــى خطـة تطويـر عمـل الشـبكة الخاصـة بـــه بـالداخل .. وكـان البديـل لــه يقـوم بـالعمل بصـورة جيـدة ومنتظمـة، وقـد حـدث أن قـام منـدوب الاتصــال الخــاص باسـتلام رسـائل الأخبـار الخاصــة بالمحطــة بالتوجــه فــى الموعـد المحـدد لاسـتلام الرسـائل وكــانت مدفونــة فــى نقطــة معروفــة لـه فـى المنطقـة المحـددة لاسـتلام الرسـائل.. وكــان هــذا النظــام متبعــاً لتـأمين سـلامة الشــبكة .. وكذلــك سـلامة المنـدوب فــى حالــة سـقوط أى طــرف فــى يــد المخــابرات الإســرائيلية، فتكــون حــدود معلوماتــه مقصـورة عليـه شـخصياً.. ولا يتسـبب فــى الإرشــاد عــن أى عنــاصر معروفة لديـه تكـون سـبباً فـى ضـرب الشـبكة ثـم يعـود بهـا إلـى القـاعدة بالإسـماعيلية عـبر القنــاة.

وكان يتم التقـاط هـؤلاء المندوبيـن مـن الشـاطئ الشـرقى للقنـاة فـى مأموريات التقاط بحرية من مناطق متفرقـة محـددة مسبقاً .. كمـا كـانت تحدد مواعيد وصولهم بكـل دقـة ليمكـن التقـاطهم فـى سـرية تامـة وبدقـة متناهية ..وكانت هذه العمليات تتطلب مجهوداً شاقاً وتخطيطاً على جانب كبير من الدقة .. وذلك لتأمين أمن وسـلامة الأفـراد وكذلـك سـلامة هـذه العمليات واستمرارها ..

فقد أبلغت إحدى وحدات الاستطلاع الإلكتروني للقوات المسلحة عن نشاط زائد لدورية للعدو تقوم بمطاردة متسللين فى منطقة تحرك المندوب، وفى موعد تحركه تقريباً .. وعلى الفور تم إرسال برقية تحذير للشبكة لاتخاذ احتياطات الأمن والترقب والإبلاغ الفورى عن أى نشاط غير عادى لسلطات العدو بالمنطقة.

وبعد فترة وصلت أخبار أخرى من بعض عناصر المخابرات الحربية العاملين داخل جهاز المخابرات الإسرائيلية بالداخل تؤكد أن دورية للعدو ألقت القبض على شخص بدوى من سيناء فى نفس الموعد، وأنه أصيب أثناء المطاردة وموجود حالياً بمكتب المخابرات الإسرائيلية فى بئر سبع رهن التحقيق ..

كان لابد من الحذر وكذلك التجهيز لانتظار المندوب فى موعد وصوله وكان يدعى (سالمان) لاحتمال أن تكون الأخبار الواردة ليست متعلقة به أو أن يكون موجوداً فى موعده ولكنه تحت سيطرة المخابرات الإسرائيلية بغرض استدراج مأمورية الالتقاط البحرية التى ستقوم بالتقاطه من الشاطئ الشرقى لضربها ..فكان لابد من اتخاذ وحساب كافة الاحتمالات نظراً لأن الشبكة لم يصل منها ما يفيد بوقوع أى أعمال تفتيش أو بحث من جانب السلطات الإسرائيلية فى المنطقة وكان لابد من عمل خطة مضادة للتعامل مع المندوب فى حالة وقوعه أسيراً تحت سيطرة الكمين الإسرائيلي ومحاولة تخليصه أو التقاطه فى حالة وصوله سالماً بمفرده ..هذا ما تم الاتفاق عليه الآن فى مواجهة هذه الأزمة الطارئة ..

كان الرائد أبو خالد ومجموعة الالتقاط البحرى فى الموعد المحدد لوصول مندوب الاتصال سالمان فى انتظاره علي الشاطئ الغربي .. ولكن هذه المرة تم تدعيمها بعدد اثنين لنش زودياك بمحرك سريع .. وكل لنش تم تجهيزه وتدعيمه بمجموعة من رجال الضفادع البشرية، تم

تزويدهم بأسلحة أوتوماتيكية و" أر بي جيه " مضاد للدبابات وقسمت إلي ثلاث مجموعات:

** مجموعة الالتقاط تم تزويدها بعناصر من الضفادع البشرية مسلحين بأسلحة أوتوماتيكية وقنابل يدوية، وهي في نفس الوقت تعتبر مجموعة الاقتحام ..

** وأما اللنشان الآخران فهما مجموعتا تأمين .. وتم تلقينهم بخطة تنفيذ المهمة . وفي نفس الوقت تم التنسيق مع وحدة مدفعية الميدان الموجودة في الموقع الذي ستتم فيه العملية بقصف أهداف للعدو علي الشاطئ الشرقي لمنع وصول أي تعزيزات للعدو لمساعدة قوة الكمين الإسرائيلي.

وقد تم وضع هذه الخطة للتعامل مع المندوب سالمان في حالة وصوله إلي الشاطئ الشرقي للقناة تحت سيطرة قوة إسرائيلية في محاولة لاستدراج قوة الالتقاط البحري المصرية إلى كمين علي الشاطئ الشرقي للقناة ومحاولة تخليصه من قبضتهم.

أسدل الليل أستاره .. وتساقطت قطع الظلام ، وتحركت في هدوء وسكون هذه المجموعات التي اتخذت مواقعها في الحال .. وساد الهدوء والسكون والصمت الرهيب .. في ترقب إشارة هذا المندوب للإعلان عن وصوله إلي الشاطئ الشرقي، في أثناء ذلك الوقت أبلغت وحدة استطلاع إلكتروني للقوات المسلحة بالجبهة عن رصدها لتحرك اثنين دبابة، وأربعة عربة نصف جنزير من معسكر للقوات الإسرائيلية غرب أم خشيب متجهة إلي القناة .. ويأخذون مواقع قتال شرق القناة في منطقة قريبة من منطقة وصول المندوب.

كان الوقت يمر ثقيلاً كأنه الدهر .. وكان الترقب والقلق يسيطر علي كل القائمين بالمهمة الخاصة ..ولا يقطع هذا السكون المطبق سوي أصوات بعض التراشقات المتفرقة من أسلحة مختلفة من كلا الجانبين ، وبعض

الطلقات المضيئة التي تلمع في السماء من حين لآخر .. والأوامر والاستفسارات لتعديل بعض الأوضاع تحسبا لأي موقف مفاجئ..

لم يشغل عقل وفكر الرائد أبو خالد في هذه اللحظات القاتلة سوي موقف مندوبه "سالمان" الموجود حالياً علي الشاطئ الآخر ، وهو الشخص الوحيد الذي بتصرفه السليم الواعي يمكن أن يحبط مكر قوة العدو المتربصة بالشاطئ الشرقي وهو الشخص الذي يعقد عليه العزم في نجاح المهمة أو فشلها .. وكان في داخله إيمان ويقين بثقته في مندوبه لمعرفته الشديدة به تثلج قلبه وصدره المتأجج بالقلق فكان يحاول أن يطمئن نفسه.

عند منتصف الليل تقريباً وهو الموعد المعتاد لوصول المندوب سمع الرائد صوتاً خافتاً يصدر من الجهاز اللاسلكي المحمول الذي معه فحسبه في بادئ الأمر تشويشاً صادراً من تلك الضوضاء التي يمكن أن يحدثها أي جهاز لاسلكي أو تصدر علي فترات بالأجهزة اللاسلكية. وبعد فترة قليلة عاد الصوت يتكرر مرة أخري فرد عليه الرائد بالإشارة المتفق عليها يستوضح الأمر فظهر صوت المندوب سالمان يفيد بوصوله .. ويستفسر عما إذا كان هناك أحد في انتظاره أم لا وطمأنه الرائد وأخبره بأن الجميع مستعدون في انتظاره ..ثم كانت اللحظة الهامة التي توضح غموض هذا الموقف وتكمن في مضمون تبادل كلمات السر والتعارف بينهما .. وهي كلمات سرية لا يعلمها غيرهما .. وغير متداوله علي الإطلاق وذلك للمحافظة علي سلامة مجموعة الالتقاط وكان قد تم تلقين المندوب بها أثناء تدريبه والتنبيه عليه بالالتزام التام في تنفيذ ذلك عند كل عملية، وكذا تلقينه بكلمات تعارف مزيفة عليه أن يعترف بها ولكن بعد ضغط شديد عليه أثناء استجوابه من المخابرات الإسرائيلية فى حالة وقوعه أسيراً فى قبضتهم وذلك لتجنيب مأمورية الالتقاط البحرية الاصطدام بكمين يكون معداً لهم من قبل العدو. كانت هذه الكلمات يتم

التخاطب بها عبر جهاز لاسلكى صغير موجود مع المندوب عند وصوله إلى شرق القناة وجهاز آخر موجود مع مأمورية الالتقاط البحرى الموجودة بالغرب والمكلفة بالتقاطه، ثم نادى عليه أبو خالد بكلمة السر والتعارف المتفق عليها وظل على وضع الاستقبال منتظراً الرد منه، كانت لحظات رغم قصر مدتها ولكنها بدت كالدهر فهى فاصل بين الحياة والموت. الكل مشدود ومتربص، ولم يقطع هذا الجو المكهرب سوى صوت المندوب يخرج من جهاز اللاسلكى بوضوح يرد ولكن بالكلمات المزيفة. وهنا حسم هذا الرد الجريء كل شيء بأنه واقع تحت سيطرة العدو. رغم قسوة هذا الموقف على نفس أبو خالد لأنه كان يعتبر كل فرد يعمل معه فى هذا المجال أكثر من شقيق ولكنه شعر بالزهو والفخار لهذا الموقف البطولى لمندوبه وظل يردد فى قرارة نفسه " يسلم لسانك يابطل.. والله لأفك أسرك مهما كان الثمن ".

طلب منه الرائد أبو خالد الانتظار .. وأخبره بأنهم في الطريق إليه.. وطلب منه التقدم إلي الشاطئ لإعطاء الإشارة الضوئية المتفق عليها ..

أصبح الموقف واضحاً جلياً الآن .. إن المندوب سليمان واقع فى قبضة المخابرات الإسرائيلية وهم يحاولون استدراج قارب الالتقاط أيضاً لأسر أفراده .. وهذا لن أسمح به مهما كلفنا الأمر .. كل هذه التساؤلات كانت تتردد بقوة وعنف فى صدر الرائد الذى كانت تتنازعه مشاعر شتى.. الحرص الشديد على المأمورية وكذلك الجرأة والرغبة فى فك أسر هذا الأخ البطل .. ولكنه سيطر بسرعة على كافة هذه المشاعر فالوقت يمر بسرعة ولا يحتمل أى تأخير .. واجتمع فوراً بمعاونيه الموجودين حوله وشرح لهم بإيجاز لطبيعة الموقف ورغبته الملحة فى تخليص الأسير من على الشاطئ والعودة به. الروح المعنوية للجميع ترتفع إلى عنان السماء وهم فى شوق إلى عملية عسكرية لتلقين هذا العدو الخسيس درساً لن ينساه، ثم قام الرائد بإعطاء الأوامر اللازمة

لتنفيذ الخطة الموضـــوعة، وأصبح هذا المكان الساكن أتون من نار تشتعل بالغضب.

تقدمت القوارب إلي مسافة مناسبة من الشاطئ .. وتقدمت مجموعة من الضفادع البشرية سباحة فى سكون تام لمراقبة الشاطئ وأبلغت عن عدم وجود المندوب في المكان المحدد !! كانت الخطة أن تقوم مجموعة الضفادع بخطف المندوب من علي الشاطئ لأنه سيكون بمفرده لإعطاء الإشارة الضوئية والعودة به سباحة في الماء إلي مكان القوارب .. وفي نفس الوقت يقوم القاربان الآخران بتغطية انسحابهما بالتعامل مع أي أهـداف للعـدو تحاول التدخل وضربهما بمدفع ال "أر بي جيه" وبالرشاشات مع ستر انسحابهم بواسطة قصف المدفعية من الشاطئ الغربي لأي قوات إسرائيلية تحاول التدخل لمنع القوة المصرية من سحب المندوب فقام الرائد بالنداء علي المندوب سالمان مرة أخري بالتوجه إلي الشاطئ وإعطاء الإشارة ..

ولكن هذه المرة ساد صمت رهيب وسكون تام .. ولم يرد المندوب علي أي إشارات أخري .. وأفادت مجموعة الضفادع بعدم ظهوره علي الشاطئ .. هنا تم إصدار تعليمات للقوارب بالعودة، وقد جنب هذا الموقف البطولي والرجولي لهذا المندوب البطل مجموعة الالتقاط البحرية من الاصطدام بالكمين المعد لهم .. مما كان سيتسبب عنه خسائر كبيرة بين زملائه في الأرواح والمعدات.

وبعد فترة تمت عملية مبادلة بين السلطات المصرية والإسرائيلية وقد تم استلام المندوب سالمان منهم بناء علي طلبنا وقد حكي المندوب سالمان بعد وصوله قصة وقوعه في أسر المخابرات الإسرائيلية وهي قصة بطولة وفدائية حقه.

" في الموعد المحدد لاستلام الرسائل وأثناء توجهي إلي المنطقة المحددة المخبأة بها الرسائل والتي سأعود بها إلي البر الشرقي للقناة وأثناء سيري في منطقة منبسطة قبل دخولي إلي الجبل وكان الوقت تقريباً قبل المغرب بقليل فوجئت بطائرة هليوكوبتر للعدو تحلق فوق المنطقة علي ارتفاع منخفض فجريت بسرعة للاحتماء بالجبل .. وكنت لم أصل إلي المنطقة المخبأة بها الرسائل بعد .. وكنت أحمل علي كتفي شنطة من الخيش بها زمزمية المياة وبعض الطعام للطريق .. وكذلك جهاز الاتصال الترانزيستور الذي سأحدد به مكاني علي البر الشرقي للقناة عند وصولي حتي يحضر القارب لإحضاري .. ويبدو أن الطائرة لاحظت محاولتي في الهرب خاصة وأنني كنت أسير في منطقة محظور تواجد الأهالي بها ..

ظلت هذه الطائرة تطاردني وكنت أحاورهم بالجري يميناً ويساراً علي أمل أن أتمكن من الوصول إلي الجبل وهناك أستطيع أن أحتمي بين الصخور وداخل الكهوف .. ويكون الليل قد أسدل أستاره لكن الطائرة كانت أسرع مني وكانت تقطع عليّ الطريق لإعاقتي عن دخول الجبل .. وكانت طلقات من مدفع رشاش تطلق في اتجاهي .. أصابتني إحدى هذه الطلقات في ساقي ولكني تحاملت علي نفسي رغم نزيف الدم الذي ينزف منها والآلام المبرحة التي كنت أشعر بها، والغريب في الأمر أنني كنت وحدي وكانت هذه الطائرة بإمكانها الهبوط ويقوم الأفراد الموجودون بداخلها بمهاجمتي والقبض عليّ بسهولة بدلاً من هذه المطاردات ولكن هذا لم يحدث فأيقنت علي الفور بأن الذي منعهم من ذلك خوفهم من أن أكون أحد أفراد قوة مصرية أو مجموعة فدائية مكلفين بعمل ضد قواتهم بالداخل ذلك لأنهم كانوا يخافون من المواجهة المباشرة ..

وقد زاد من يقيني هذا بأن حركتي أصبحت بطيئة بسبب الإصابة.. وكدت أن أتوقف وأستسلم ومع ذلك وجدت هذه الطائرة المروحية تحوم

حولي من علـي بعد فـأيقنت أنهـا قد طلبت نجدة من أحد المعسكرات القريبة .. فاستجمعت عزيمتي واستعنت بالله وانطلقت في اتجاه الجبل بسرعة .. ولا أعرف من أين تجمعت لدي هذه القوة ..

أخذت أتسلق الصخور بقوة وبخفة وأتـواري داخـل الشـعاب .. والحمد لله كان الليل قد أقبل فاطمأننت قليلاً وظننت أنى قد أفلت والحمد لله .. فـارتكزت على أحد الصخور لالتقـاط أنفاسـي اللاهثة وأستجمع شتات نفسي .. وفجأة سمعت أصوات انفجارات طلقات الإضاءة في الجو وأصبح المكان كأنه ظهراً .. وسمعت صيحـات الجنـود يتكلمـون باللغـة العبريـة فـأيقنت أننـي سأسقط في أيديهم لا محالـة نظـراً لأنهـم كـانوا يحاصرونني في كل اتجاه .. ففكرت سريعاً وقمت بقذف الحقيبـة التـي كنت أحملها بأقصى ما يمكنني من قـوة داخـل الشـعاب الجبليـة لأتخلـص منها .. ثم أخذت أتخلص من كافة الأوراق التـي كـانت معـي واحتفظـت فقط بالهوية (البطاقة الإسـرائيلية) التـي كنـت قد استخرجتها مـن قبـل حتي أوهمهم بأنني من أبناء سيناء وأنني غير متسلل من القناة ..

خرجت من مكمني وأخذت أصيح علي الجنود حتـي يعرفـوا مكـاني ويطمئنوا أنني وحيد وغير مسلح .. ولما انتبهـوا إلـي مكـاني أخـذوا فـي إطـلاق بعـض الطلقـات فـي اتجـاهي ومـن حولـي لإرهـابي وتخويفـي .. فرفعت يدي لكي يطمئنوا أنني غير مسلح وطلبت الاستسـلام .. فـأخذوا يتحدثوا معي باللغة العربية .. وسألني الضابط الموجود مع هذه القوة إذا كان يوجد أحد معي فأبلغته بأنني بمفردي وأنني أقوم بـالبحث عن جمل لي كان قـد شـرد فـي هذه المنطقـة .. وأظهـرت لـه البطاقـة الإسـرائيلية فحملونـي معهـم فـي عربـة نصـف مجنزرة حتـي وصلـت إلـي العريـش وأدخلوني إلي مكتب هناك .. وبعد قليل حضر إلـيّ الضـابط الإسـرائيلي وكانت معه البطاقة وأخذ يسـألني عن سبب وجـودي فـي هذه المنطقـة فكـررت عليـه أننـي كنـت أبحث عن جمـل لـي كـان قـد شـرد منـي فـي

الصحراء في هذه المنطقة.. وأخبرته بأنني مصاب وأنني أنزف .. ولكنه لم يكترث لكلامي وآلامي .. وتركوني مدة حوالي ساعتين وأنا أعاني من الإصابة حتي أنني تعودت علي هذا الألم المبرح .. ثم دخل عليّ الضابط الإسرائيلي وقال بأننا سنقوم بترحيلك إلي مستشفي بئر سبع.

فقلت له : أدخلني مستشفي العريش أقرب وأسرع .. لماذا بئر سبع؟! .. لأنني كنت أخشي من هذه المسافة الطويلة حتي بئر سبع من زيادة النزيف في ساقي ولكنه نهرني بشدة وأخذ يسبني بأفظع الألفاظ البذيئة والإهانات المبرحة .. ثم انهال عليّ ضرباً بيديه ورجليه وكان يتعمد ضربي في موضع الإصابة .. التي في رجلي فكنت أصرخ من شدة الألم وكانت تبدو عليه السعادة والارتياح لذلك، وبعد فترة قاموا بنقلى فى سيارة نقل تحت حراسة مشددة من بعض الجنود الإسرائيليين.. وعندما وصلنا الى بئر سبع بعد رحلة عذاب طويلة كانوا يتعمدون التحرك على طرق غير ممهدة لزيادة الآلام التى أشعر بها من الإصابة من الهزات العنيفة التى تحدث للسيارة التى كنا نستقلها من كثرة المطبات فى هذه الطرق.. وكنت تقريباً قد أغمى على من شدة الألم ولم اشعر بشىء..

بعد فترة من الزمن لم أستطع تحديدها أفقت من غيبوبة فوجدت نفسى ملقى على فراش قذر على الأرض داخل حجرة صغيرة شبه مظلمة بها شباك مرتفع عن الأرض يقترب من السقف وعليه قضبان حديدية وشبك سلك ولها باب حديد مصمت فعرفت لحظتها بأنني داخل أحد السجون أو المعتقلات فى بئر سبع .. وكانت ساقى ملفوفة برباط وضمادات على الإصابة ..

تحاملت على نفسى حتى جلست فى مكانى وأنا أتطلع حولى وأسترق السمع لأعرف أي مكان هذا الذى أوجد فيه !! ولكن يظهر أننى كنت مراقب من قبلهم فانفتح الباب بعنف ودخل أحد الجنود واقتادوني خارج الحجرة وأخذوا يجروننى جراً من خلال ممر به هذه الزنازين

حتى وصلنا إلى مكتب فى نهايتها .. ولكنه غير مؤثث وليس به سوى كرسى واحد كان يجلس عليه شخص يرتدى الملابس المدنية وأخذ فى استجوابي عن سبب وجودى فى هذه المنطقة .. ومن أي المناطق حضرت فأخبرته بنفس القصة بأننى كنت أبحث عن جمل شارد لى فى هذه المنطقة، ثم سألنى إذا كانت لى علاقة بالمخابرات الحربية المصرية فأنكرت على الفور وجود أى علاقة، مستنداً على بطاقة الهوية الإسرائيلية التى معى وأنهم لم يجدوا معى شيئاً.. وبعد فترة من المحاورة معى فى الاستجواب وأنا مصر على إنكار أى علاقة مع المخابرات الحربية لمحته يومئ للجنود الموجودين خلفى فإذا الصفعات والركلات تنهال على من كل جانب بعنف وقسوة وبلا رحمة .. حتى كاد أن يغمى على مرة أخرى ..

ثم قاموا وصبوا على رأسى جردل من الماء حتى أفيق.. وكرروا معى نفس ما فعلوه .. وفى كل مرة كنت مصرّ على إنكار أى علاقة تربطنى بالمخابرات الحربية وذلك لأنني مطمئن لأنهم لن يجدوا المتعلقات التى كانت معى .. ثم أعادونى مرة أخرى إلى زنزانتى وأنا خائر القوى لا أستطيع حتى أن أتنفس .. وعند حلول المساء تقريباً انفتح باب هذه الزنزانة وقذفوا بشيء على الأرض .. ثم أنغلق الباب مرة أخرى بعنف .. فأخذت أتفحص هذا الشيء لأنني كنت من شدة التعب والإنهاك لا أقدر على الرؤية .. فوجدت شاباً يرتدى الملابس العربية ويصدر منه أنين خافت من شدة الألم الذى يعانيه ..

أخذت أحاول التخفيف عنه ومساعدته بسحبه حتى يتقاسم هذه الفرشة معى .. وبعد فترة بدأ يتجاذب معى أطراف الحوار ثم عرفنى بنفسه بأنه فدائى من عرب غزة .. وقد قبضت عليه السلطات الإسرائيلية وهم يعذبونه يومياً للإرشاد عن باقى زملائه .. ولكنه لم يعترف لهم بشيء، ولكنى أخذت لنفسى الحيطة والحذر فربما يكون جاسوسا

يستدرجني !! وذلك لمعرفتى بأساليب المخابرات الإسرائيلية فى هذه الاستجوابات من التدريبات التى كانت تتم لنا بواسطة جهاز المخابرات الحربية عن الأسلوب الإسرائيلي فى الاستجواب .. عندما لا تكون تحت يديهم قرائن لإدانة فيقومون بدس بعض الأفراد على المتهم لمصادقته ولاستدراجه لمحاولة معرفة أى معلومات منه قد تؤدى إلى إدانته، ولذلك التزمت جانب الحرص والحيطة فى تعاملى مع هذا الغريب .. وعندما بدأ بسؤالى عن سبب وجودى فى هذا المكان أبلغته بنفس قصة الجمل الذى شرد منى وكنت أبحث عنه وكنت أجهل أن هذه المنطقة التى تم اعتقالي بها تعتبر منطقة محظورة على الأهالي التواجد فيها. استمررت على هذا الحال لمدة يومين أخرج من الزنزانة بصحبة هؤلاء الجلادين إلى غرفة ضابط المخابرات الإسرائيلي .. وقد عرفت بأنه ضابط مخابرات يدعى (أبو إبراهيم) هذا ما قاله لى زميلى العربى بالزنزانة .. ثم بدأ سلسلة التعذيب والإهانات بقسوة وبلا آدمية وأنا مصر على إنكار أي علاقة لى مع المخابرات الحربية ..

وفى اليوم الثالث وأنا أمام ضابط المخابرات الإسرائيلى (أبو إبراهيم) وبعد أن سألنى نفس السؤال عن علاقتى بالمخابرات الحربية المصرية .. وقمت بإنكار وجود أى علاقة معهم .. وجدته قد أحضر كيساً أسود اللون من ركن الغرفة وأخذ يعبث ببعض محتويات داخله ثم أخرج منه شيئاً فإذا بها حقيبتى !! ثم سألني بخبث ودهاء إذا كانت هذه الحقيبة لى فقلت له في محاورة وإنكار بأن كل بدوى لابد وأن يكون لديه حقيبة مثلها لأنها شائعة الاستعمال والاستخدام بين الأهالي، ثم قام بفتح الحقيبة وأخرج منها جهاز الاتصال اللاسلكي وقال لى فى مكر واضح وعيناه تلمعان : أما هذا الجهاز اللاسلكى فليس مع كل شخص .. أليس كذلك؟.

ثم عاد فى استجوابي باستخدام العنف والقسوة والضرب المبرح لمعرفة علاقتى بهذا الجهاز..ولكننى أصررت على إنكار معرفتى بهذه الحقيبة وهذا الجهاز .. وبعد فترة طويلة من التعذيب والضرب امتدت عدة ساعات أعادوني إلى زنزانتى مرة أخرى .. وهناك فى الزنزانة لم أجد الشخص رفيقى فى الزنزانة .. فعرفت فى الحال بأنهم أصبحوا ليسوا فى حاجة إليه بعد أن وجدوا حقيبتى والجهاز اللاسلكى.. فقد وجدوا الدليل ضدى .. وسيحصلون على اعترافي بأى وسيلة.

ظللت طوال الليل أفكر ولم أذق طعم النوم أو الراحة وتوصلت إلى فكرة مفادها أنه لو اعترفت بعلاقتى بجهاز المخابرات المصرية ربما يخفف ذلك من قسوة التعذيب الذى أتعرض له يومياً .. ولكن على ألا أعترف لهم بكلمة السر الحقيقية التى تم الاتفاق عليها بينى وبينك، وقد أخذت معى العهد على ذلك حتى لا أعرض حياة أشخاص آخرين للخطر.. ثم عقدت العزم على ذلك.

فى الصباح عندما اقتادوني إلى الضابط الإسرائيلى بادرته بأننى فكرت جيدا فيما قلته لى أمس بأننى إذا اعترفت بعلاقتى بالمخابرات الحربية المصرية فستأمر بإيقاف عمليات التعذيب التى يمارسونها فى السجن معى فهز رأسه بالإيجاب فاعترفت له بعلاقتى بجهاز المخابرات المصرية وأننى كنت مكلف بإلتقاط حقيبة من مكان قمت بتحديده فى المنطقة التى تم القبض على فيها ولكننى لم أعرف ما بداخل هذه الحقيبة لأننى كنت على يقين بأنكم – أى المخابرات المصرية – قمتم على الفور بإخلاء الرسائل من مكانها وتغيير هذا المكان فوراً، ولهذا عرضت عليهم إرشادهم على المكان ..لكنه أجابنى فى خبث بأن المصريين طبعاً قاموا بإخلاء هذا المكان .. ثم فاجأنى بسؤالى عن موعد عودتى وهنا أدركت أنه يخطط لشىء فأجبته بأن موعد العودة قد فات .. ولكنه أصر على معرفة موعد العودة والطريق الذى سأسلكه حتى القناة فأصررت على الإنكار ..

وهنا انقلب الضابط إلى وحش كاسر بعد أن كان قد بدأ فى تليين العلاقة معى .. وكان يسمح لى بالتدخين ويحضر لى شاياً ومياهاً نقية للشرب .. ثم أمر الزبانية الملتفين حولى بتعليقى من رجلى بحبل يتدلى من سقف الحجرة وكنت مثل الذبيحة المعلقة وظلوا ينهالون بالضرب على جميع أجزاء جسمى بلا رحمة ولا هوادة.

بدأ الجرح فى ساقى فى النزيف بشدة مرة أخرى .. ثم شعرت بأن رجلى قد شلت وكنت أستغيث وأصيح من شدة الآلام التى أحس بها .. ولكن ما من مجيب ولا معين إلا الله سبحانه وتعالى وأخيراً بعد أن وجدت أن هذا وقت كافى لإقناعه بأنه قد نجح فى إجباري على الاعتراف فأبلغته بأننى سأعترف بكل شئ فأنزلوني وأخذت ألم شتات نفسى .. واعترفت له بكلمة السر – المزيفة طبعاً – وبموعد وصولى والتقاطي ولقد كانت كلماتى مقنعة جداً لدرجة أنه لم يعد استجوابى بخصوصها مرة أخرى .. هنا تحسنت معاملتهم لى قليلا ..

وأخبرني أبو إبراهيم بأننى لو نجحت فى هذه المهمة معهم فسيمنحونى مكافأة سخية جداً .. وكنت أضحك فى قرارة نفسى لأننى كنت متأكداً بأنك – أى الرائد أبو خالد – سوف تفهم اللعبة عند طلبك لى بأن أذكر كلمة السر عند وصولى إلى البر الشرقى ..

فى الموعد المحدد اصطحبني (أبو إبراهيم) الضابط الإسرائيلي معه فى سيارة جيب بعد أن قاموا بوضع عصابة سوداء على عينى .. وغادرنا بئر سبع حتى وصلنا إلى أحد المعسكرات الإسرائيلية .. وكانت تقريباً فى منطقة أم خشيب، وعند العصر تقريبا انتقلت إلى عربة نصف جنزير مع أبو إبراهيم الذى كان معه الجهاز اللاسلكى الترانزستور .. تحركت العربة التى تقلنا ضمن مجموعة مكونة من عدد أربع عربات نصف جنزير واثنين دبابة وتحركنا على طريق الجدى فى اتجاه قناة السويس .. ثم تمركزنا فى الظلام فى منطقة قريبة من منطقة الالتقاط على البحيرات المرة وكانت

العربة النصف جنزير التى كنت موجوداً فيها تحت حراسة مشددة من بعض الجنود الموجودين بأسلحة أوتوماتيكية تقف على بعد حوالى كيلو متر تقريباً من الشاطئ خلف طريق القنطرة – الشط.

وعندما حانت الساعة أعطاني أبو إبراهيم الجهاز وكان ما يزال ممسكاً به فى يده .. وضغط على زر الإرسال .. وطلب منى الإبلاغ بوصولى بالإشارة المتفق عليها .. وكنت متأكد بأننى لن أتلقى أى رد.. ولكن فى الحقيقة فوجئت بك ترد على وتخبرنى بأنك جاهز لاستقبالي .. ففى الواقع كنت فى خوف شديد وظللت فى حيرة إلى أن سمعتك تنادى على فى الجهاز وتطلب منى كلمة السر والتعارف .. وهنا اطمأن قلبى، كنت أشدد على مخارج كلمة السر وكررت ذلك مرة أخرى حتى أتأكد من سماعك للكلمة بوضوح.

لما طلبت منى أن أتقدم إلى الشاطئ بوضوح مرتين تيقنت بأنك كنت تحاول مهاجمة القوة الإسرائيلية ومباغتتها لفك أسرى وإعادتي ولكن أبو إبراهيم فطن فوراً إلى الخدعة فأمر القوة بالانسحاب إلى الشرق فوراً ..وقد نفثوا غيظهم وحنقهم بفشل هذه العملية فى ضربى وتعذيبى طوال الليل والأيام التالية .. وفى الحقيقة رغم كل أنواع التعذيب الوحشى الذى تعرضت له فقد كنت فى غاية السعادة لأننى نجحت فى خداع المخابرات الإسرائيلية وحافظت على شرفى تجاه زملائى وإخواني فقد حافظت عليهم وحافظت على الأسرار التى ائتمنتني عليها فقد كنت قرير العين مرتاح الضمير رغم كل ما تعرضت له من وحشية .. ولم ينقذنى من هذا التعذيب اليومى إلا وصول مندوب الصليب الأحمر الذى كان مصراً على مقابلتى وقد تأكد من أسمى ومن هويتى واطمأن إذا كنت أتلقى معاملة حسنة ثم نقلونى بعد ذلك من مبنى المخابرات فى بئر سبع إلى سجن آخر داخل إسرائيل حتى طلبتم مبادلتى .. وتمت هذه المبادلة فى مدينة القنطرة شرق بواسطة الصليب الأحمر الدولى ..

كان الرائد يستمع باهتمام شديد إلى كل ما حدث للمندوب على لسانه وكان يسجل بعض ملاحظات عنده فى مفكرته الخاصة، ولم يفكر فى مقاطعته وهو يحكى بالتفصيل ما حدث له منذ القبض عليه ..ثم قال الرائد بعد أن لاحظ أن المندوب قد فرغ من كلامه : إننا فى صباح اليوم التالى مباشرة قمنا بإبلاغ الصليب الأحمر الدولى باسمك وأن القوات الإسرائيلية قامت بأسرك وتم تحديد المنطقة التى تم أسرك فيها وأنك موجود بأحد السجون الخاصة بالمخابرات الإسرائيلية فى بئر سبع .. وطلبنا سرعة البحث عنك والتأكد من أنك تعامل معاملة حسنة .. وذلك حتى نحافظ عليك من بطش المخابرات الإسرائيلية وانتقامهم منك .. وظللنا نتابع الصليب الأحمر حتى طمأنونا على الاستدلال عليك وأنه تمت مقابلتك بواسطة مندوبهم فى إسرائيل.. ثم قمنا بعد ذلك بطلب استلامك من السلطات الإسرائيلية وتمت مبادلتك بعد فترة قصيرة فى إحدى عمليات المبادلة التى تمت مع الجانب الإسرائيلي .. والحمد لله على سلامتك..

إستقبِلَ هذا البطل بكل الحفاوة والتكريم .. وتم منحه أرفع الأوسمة فى احتفال شعبى تم تكريمه فيه هو وزملاؤه من الأبطال.. تلك هى الروح السائدة بين هؤلاء الجماعات.. روح الحب والتضحية والمحافظة على الشرف والتفانى فى خدمة الوطن والقيادة ويالها من روح لا يمكن أن توصف.. إنها طهارة فى التعامل ، وإنكار للذات من الرئيس والمرءوس، والتفانى فى تنفيذ المهام والتضحية بالنفس رخيصة فى سبيل تحرير الوطن، تلك هى الروح التى أدت إلى النصر العظيم فى أكتوبر ١٩٧٣.

استمر نشاط شبكة ٢٦٠ فى الإبلاغ عن المعلومات ونشاط القوات الإسرائيلية بالمنطقة بصورة منتظمة .. ولم يؤثر هذا الحادث فى عملها وقد تم تغيير مندوب الاتصال بآخر لاستمرار تسليم الرسائل الخاصة بالأخبار والمعلومات عن نشاط قوات العدو بالمنطقة أولاً بأول وبصورة منتظمة حتى تم إعادة دفع ٢٦٠ مرة أخرى إلى سيناء بعد تطوير عمله.

من دراسة الأحداث التى تعرض لها مندوب الاتصال "سالمان" فى هذه الحادثة يدل هذا الموقف البطولى له على حسن اختيار للعناصر التى كانت تعمل مع جهاز المخابرات الحربية والتدريب الجيد الذى يتم لهم لمواجهة مثل هذه الظروف وانتمائهم الكامل وولائهم التام لوطنهم وإحساسهم بأنهم جنود لهذا الوطن. وتحملهم مسئولية هذا الواجب برجولة ووطنية عالية فأن كل ما يطلبونه من أجر هو الشهادة فى سبيل الله أو النصر وتحرير الارض..

نظراً لأن يونس فى هذه المرة سيكون مزوداً بتجهيزات على درجة كبيرة من الأهمية لتطوير نشاط الشبكة، لذلك كان يجب أن يتم اختيار نقطه دفع مناسبة على الشاطئ الشرقى للقناه بحيث تكون قريبه على قدر الإمكان من أول منطقة وصول آمنة بالداخل للاحتماء بها ومواصلة مسيرته بأمان لمنطقه عمله. و تم اختيار موقع يقع فى منطقه متوسطة بين النقطة القوية للعدو فى نمرة ٦ شرق الإسماعيلية والنقطة القوية للعدو فى شرق الفردان وتم استطلاع جيد لهذه المنطقة بجميع وسائل الاستطلاع المتواجدة على هذه الجبهة.

ولزيادة الاطمئنان ذهب الرائد أبو خالد بنفسه لمكتب المخابرات الحربية بالإسماعيلية ومكث عدة أيام لمراقبة الوضع بنفسه والاطمئنان إلى كافة الإجراءات، وكان الوضع مطمئنا على المواجهة، ولكنه كان يخشى من احتمال تواجد دوريات أو كمائن إسرائيلية ليلية على طريق القنطرة الشط على بعد حوالى ٢ كيلومترا فى شرق القناة، وهذا الطريق سيقوم بقطعه يونس ورفيقاه بعد عبورهم القناة، وقد ساعدت تضاريس هذه المنطقة وكثرة الكثبان الرملية بها والتى يمكن أن تختبئ فيها كمائن العدو الليلية فى صعوبة الاستطلاع الليلى لها من الشاطئ الغربى. وليطمئن الرائد على سلامه خط سير مندوبه يونس، قام بتشكيل مجموعه استطلاع محدودة مكونه منه ومن مساعد من الاستطلاع بالمنطقة ودليل برى من أبناء سيناء خبير بهذه المنطقة.

اختار أبو خالد إحدى الليالى الغير مقمرة حالكة السواد وعبر بمجموعته القناة من نفس المنطقة التى سيستخدمها ٢٦٠ بواسطة قارب مطاطى بمساعدة مجموعة من الضفادع البشرية إلى الشاطئ الشرقى وصعدوا الساتر الترابى بارتفاع ١٨ متراً حتى وصلوا إلى قمته وأخذ الرائد يراقب المنطقة بمنظار رؤية ليلية يعمل بنظرية تكثيف أشعة النجوم، وهو جهاز حديث جداً يعمل بتكنولوجيا متقدمة جداً غير الأجهزة التى كانت مستخدمة فى هذا الوقت، وكانت الإدارة قد حصلت عليه بطريقة سرية من إحدى الشركات الغربية، وعندما اطمأن لسلامة المنطقة، أخذ فى التحرك هو وزميله المساعد والدليل تاركين أفراد الضفادع فوق الساتر الترابى حتى وصلوا إلى تلة رملية تشرف على طريق القنطرة / الشط وأخذ يستطلع بالمنظار فوجد ما كان يخشاه! كمين لقوة إسرائيلية مكون من دبابة و ٢ عربة نصف جنزير مستترين خلف تلة رملية لمراقبة الطريق، وفى الحال أعطى إشارة تحذير لزميلاه ثم بدءوا فى الانسحاب، وهنا حدث ما لم يكن متوقعاً.. فقد قامت قواتنا بإطلاق طلقة هاون مضيئة فوق المنطقة المتواجدين بها، فانبطح الجميع أرضاً واستخدم كل منهم ساتراً للاختباء خلفه، وعلى الفور قامت القوات الإسرائيلية بالرد أيضاً بإطلاق طلقات هاون مضيئة، وكانت الساعة تشير إلى الثانية عشرة مساءاً، وأصبح المكان كأنه الساعة الثانية عشرة ظهراً، ثم بدأ التراشق بين الجانبين يتصاعد واستخدمت فيه جميع أنواع الأسلحة، من الأسلحة الصغيرة حتى دانات المدفعية، وتفرق الثلاثة كل فى إتجاه وأخذ كل فرد يحفر لنفسه حفرة برميلية كما تعلموا ليحتمى بها من شظايا الدانات التى كانت تنفجر من حولهما فى كل مكان. و ظل أبو خالد قابع فى حفرته يقرأ الشهادة مرة واثنتين وثلاثه وخمسه ولكنه ضحك فى قراره نفسه واستسلم لقضاء الله. وظل القصف متصلاً بين الجانبين حتى ظهور أول ضوء للصباح الجديد، وتوقف القصف وبدأ أبو خالد فى سماع أصوات محركات الدبابات والعربات نصف جنزير وهى تنسحب من مكانها إلى الداخل فخرج من حفرته وبدأ ينادى بصوت منخفض على زملائه

للاطمئنان عليهم فسمع المساعد وهو يحضر إليه مهرولا ووجد أيضاً أحد أفراد الضفادع البشرية جاء مسرعاً فى اتجاههم للاطمئنان عليهم وتقديم يد المساعدة، ولما اطمأنوا على بعض، طلب منهم الرائد سرعة الانسحاب فى اتجاه القارب ولكنه اكتشف عدم وجود الدليل البرى عامر فأخذوا ينادونه بصوت ضعيف فى كل اتجاه ولكن دون جدوى.. وكانت الأحداث تتسابق لخطورة الموقف ولابد من مغادرة المنطقة قبل ظهور أول ضوء. فأعتقد الجميع بأن عامراً نظراً لخبرته بدروب هذه المنطقة وهو من أبناء سيناء ربما تسلل إلى الداخل عند بدء القصف الإسرائيلي.. وهذا تفكير منطقى ولكن أبو خالد كان فى غاية القلق لأنه يريد الاطمئنان على مصير عامر.. وعندما أجمعوا أمرهم وكان الوقت قد أزف وبدأوا فى الانسحاب، فوجئ أبو خالد بأن قدمه اليسرى عالقة بشيء ما فى الأرض الواقف فوقها لدرجة أنه قد اختل توازنه وكاد أن يسقط على الأرض فانتبه زملائه إليه ووقفوا فى ترقب، وظن هو أن قدمه قد غاصت فى الرمال أو فى شجرة شوكية من التى تملأ المنطقة فمد يده لتخليصها ولكنه فوجئ بأن يداً كانت تمسك بها بشدة وتحسس هذه اليد فوجدها مدفونة فى الرمال فصاح فى زملائه فهبوا جميعاً إليه وقاموا بسحب هذا الجسم بشدة وكانت المفاجأة المذهلة عندما اكتشفوا أنه عامر الذى كان قد دفن نفسه فى الرمال بالطريقة البدوية عند شعوره بالخطر وكان يسمع كل ما كان يدور حوله ولما شعر بأنهم سيغادرون المنطقة أمسك في قدم أبو خالد ليشير له بوجوده، فانتزعوه من الرمال بسرعة وحملوه وأسرعوا الخطى إلى القارب الذى كان فى انتظارهم ليعبر بهم إلى الشاطئ الغربى ..ولم ينتبهوا إلى طرافة هذا الحادث إلا بعد استقرارهم بسلام فى المكتب، وقد أصبح هذا الحادث نادرة يتندرون بها لتزيح عن صدورهم الأهوال التى لاقوها فى هذه الليلة العصيبة.

أصبحت هذه المنطقة غير مناسبة لدفع ٢٦٠ من خلالها، لذا فقد تم التفكير فى اختيار مكان آخر مناسب للدفع وتقليل مسافة تعرضه للخطر، لذا فقد تم اتخاذ القرار بدفعه عبر خليج السويس. لذلك تم اختيار فردين

من الإدلاء على دراية جيدة بهذه المناطق حتى جبل الراحة لمرافقته ومساعدته فى حمل المعدات وتخفيف العبء البدنى عليهم لحين الوصول إلى المكان الآمن والاحتماء فى جبل الراحة. كذلك تم عمل ترتيبات أمن تتم على مراحل مختلفة منتظمة .. كل مرحلة لها عناصرها وتوقيتاتها المحددة حتى يصل إلى منطقة عمله بأمان وسرية تامة وذلك حتى لا تتمكن المخابرات الإسرائيلية من الوصول إلى الشبكة إذا ضربت إحدى هذه الحلقات، كذلك سيقوم أحد الإدلاء وهو المكلف بتوصيلهم من الشاطئ الشرقى لخليج السويس إلى المنطقة الآمنة للاحتماء فى جبل الراحة وهذه المرحلة تعتبر من أخطر المراحل فى المأمورية لتعرضها لنشاط الكمائن والدوريات الليلية للعدو .. وسيقوم بالعودة بعد يومين . وبهذه الطريقة سيتم الاطمئنان على عبور يونس للمنطقة الخطرة بأمان ويتم الترتيب لاتخاذ الخطوات التالية لاستكمال عملية الدفع.

المطاردة المميتة فوق الأمواج المعتمة

فى الموعد الذى تم تحديده لدفع ٢٦٠ ، اصطحبه الرائد أبو خالد فى سيارة جيب إلى مدينة السويس الباسلة وكان الجو صحواً.. وفى مكتب المخابرات الحربية بالسويس تمت مراجعة المهمات والمعدات والأجهزة التى سيتم دفعها إلى سيناء لخدمة شبكته وذلك للمرة الثانية .. والاطمئنان عليها وتم عمل اختبار اتصال للجهاز الاسلكى من السويس للقاهرة وذلك للتأكد من سلامة عمله، ثم تعرف يونس على الدليل البرى (١) والدليل البرى (٢) اللذين سيرافقانه فى الرحلة، يقوم الأول بتوصيلهما من الشاطئ الشرقى للخليج إلى جبل الراحة، وله خبرة جيدة بدروب ومسالك هذه المنطقة ..ثم يعود ثانية إلى الشاطئ الغربى فى الليلة الثالثة للاطمئنان على سلامة دخولهما جبل الراحة، ثم يقوم الأخر بإخراجه من جبل الراحة وتوصيله إلى نقطة تلاقى أخرى متفق عليها وهكذا.. ثم تقوم مجموعة متفق معها بدفع

مندوب اتصال يقوم بتوصيله إلى نقطة التلاقى التى سوف تستقبله فيها مجموعته .. وتوصيله الى منطقة عمله.

هذا هو خط سيره من جنوب سيناء إلى شمالها .. حاملاً معدات وأجهزة هامة جداً لتطوير عمله وعمل شبكته السرية .. وكانوا يتحدثون ويتحاورون على طعام الغذاء ولما انتهوا منه قاموا جميعاً بصلاة ركعتين لله أن يوفقهم فى مهمتهم ويحفظهم من أخطار الطريق.. وقبل غروب الشمس تحرك الرائد أبو خالد ومعه كل من يونس وزميليه الدليلين البريين الى موقع منطقة الدفع المتفق عليها على خليج السويس .. وقد وصلوها بعد الغروب، وبعد حلول الظلام فى صمت وسكون فى سيارة جيب وسيارة نقل أخرى مغطاة تحمل القوارب والمحركات أو الموتورات الخاصة بها والأجهزة والمعدات التى يتم نقلها إلى سيناء.

ثم قام الرائد بمراجعة خطة الدفع مع قائد المأمورية وكان ضابطاً بحرياً برتبة ملازم من مجموعات الضفادع البشرية، بدأ تنزيل القوارب الثلاثة المطاطية الزودياك مزودة بموتورات دفع لزيادة سرعتها فى مياه الخليج المعتمة السوداء التى عكست على مرآتها صورة السماء المظلمة.. ثم نزل دليل بحرى على خبرة جيدة بمياه هذه المنطقة السويسية وأستقل القارب مع كل من يونس وزميليه واستقل قائد المأمورية الضابط البحرى أحد القوارب .. وتوزعت باقى القوة من الضفادع البشرية على القوارب الأخرى .. وتحركت القوارب الثلاثة. قارب القائد البحرى فى المقدمة ومعه أفراد حراسة من الضفادع البشرية بأسلحتهم الأوتوماتيكية، القارب الموجود به يونس وزميلاه الدليلان فى المنتصف ومعهم الدليل البحرى وكذلك ضابط من الضفادع البشرية وأفراد حراسة بأسلحتهم وقارب فى المؤخرة وهو قارب حراسة به باقى قوة الضفادع البشرية بأسلحتهم الأوتوماتيكية.

كان كل قارب مزوداً بجهاز لاسلكى خفيف V.H.F لتحقيق الاتصال بينهم، وتحقيق الاتصال مع القاعدة على الشاطئ الغربى حيث كان

الرائد أبو خالد موجوداً فى هذه القاعدة يراقب توجيهات التحرك .. وكانت القوارب الثلاثة مزودة بالأسلحة اللازمة للتعامل مع أى لنشات للعدو إذا اقتضى الأمر ذلك .. وتم وضع الاحتياطات اللازمة لمواجهة العدو فوق الماء.

ومع تحركات القوة المصرية بقواربها المطاطية فوق المياه الدافئة كان الرائد يقف على شاطئ الخليج ليقف على أمر العملية بنفسه .. وكان معه على الشاطئ ضابط اتصالات من القاعدة البحرية بالسويس ومعه جهاز لاسلكى خاص بتوجيه القوارب وجهاز آخر متصل بالقاعدة البحرية بالسويس للوقوف أولاً بأول على نشاط العدو البحرى فى منطقة عمل المأمورية وتلقى التعليمات الخاصة بالعمليات.

وكان الرائد يستمع مع الضابط إلى الإشارات المتبادلة بتمام تنفيذ عبور كل مرحلة من مراحل العبور .. وكلها إشارات كودية متفق عليها لكى لا يؤدى ذلك إلى إثارة شكوك العدو فى وجود نشاط بحرى لقواتنا بالخليج ..

قبيل وصول القوارب الثلاثة إلى الممر الملاحى بخليج السويس أى منتصف الخليج تقريبا تلقى ضابط الاتصالات البحرى إشارة من القاعدة البحرية للسويس تفيد بأن أحد لنشات المرور والحراسة الإسرائيلي أبلغ قيادته بظهور هدف متحرك سريع يظهر ويختفى على شاشة الرادار الخاصة به فى منطقة المأمورية .. وأن اللنش تلقى تعليمات من قيادته بتتبع ومطاردة الهدف.

على الفور قام ضابط الاتصال بإبلاغ قائد مأمورية الدفع الموجود على القارب الأول رقم (١) بإشارة كودية متفق عليها ليأخذ حذره وضرورة المراقبة الجيدة لوجود خطر ما .. وكذلك تحذير القاربين الآخرين اللذين يحملان يونس وزميليه ومجموعة الضفادع البشرية بوجود خطر ما .. ثم قام الضابط قائد مأمورية الدفع بإعطاء تعليمات

بزيادة سرعة القارب رقم (١) والتحرك بأقصى سرعة فى الاتجاه المضاد وذلك لاستدراج اللنش الإسرائيلي فى مطاردة بعيدة عن منطقة الإبرار التى سينزل فيها يونس وزملاؤه..

فى نفس الوقت قام ضابط الاتصالات البحرى بإعطاء تعليمات للقارب الثانى والقارب الثالث بإبطاء السرعة مع المحافظة على الاتجاه المحدد لإنزال أفراد المأمورية على المكان المجدد والمنطقة المحددة بالشاطئ الشرقى .. ونجحت هذه الحيلة الماكرة !! فقد أخذ القارب المطاطى الخاص بقائد المأمورية فى عملية المراوغة والهروب من اللنش الإسرائيلي الذى ظل يطارده بينما القاربان الآخران قد تمكنا من الوصول إلى نقطة الإبرار المحددة بكفاءة الدليل البحرى وخبرته الجيدة بهذه المياه وهذه المنطقة وقامت مجموعة الإبرار البحرى من الضفادع البشرية بتأمين منطقة النزول .. وتم إنزال يونس وزميليه إلى الشاطئ الشرقى واطمأنت المجموعة على عبورهم المنطقة بأمان .. وشق يونس وزميليه طريق العودة إلى داخل سيناء .. وإتخذ القاربان طريق العودة فى إتجاه الشاطئ الغربى.

أما قارب قائد المأمورية فقد أستمر لعدة دقائق فى مراوغة وتضليل لنش العدو فى استماتة وإصرار حتى أصبحت الإشارات الملتقطة منه تضعف شيئاً فشيئاً.. إلى أن أصبحت غير مسموعة تماماً للضابط البحرى والرائد أبو خالد ثم اختفت فجأة مما أثار القلق والحيرة والخوف على مصيره الذى أصبح غامضاً.

عاد القارب (٢) والقارب (٣) إلى الشاطئ الغربى وعليهما باقى أفراد العملية من ضباط وجنود البحرية المصرية ورجال الضفادع البشرية .. وعلى الفور أصدر الرائد أوامره للقوة المكلفة بإخراجهما من المياه وتحميلهما على السيارة النقل العسكرية وإخلاء المنطقة تماماً.. ونقلهم إلى منطقة بها سواتر ترابية صناعية للاختفاء ورائها ..وبقى الرائد

مع ضابط الاتصالات البحرى فى مكانهما .. ومعهما الأجهزة اللاسلكية على وضع الاستقبال أملاً فى أن يتم التقاط لأي إشارات من القارب المختفى .. ولكن دون جدوى !!

وظل الرجلان على الشاطئ حتى جاء الخيط الأبيض للفجر ليمحو الخيط الأسود لهذا الليل .. وجاء ضوء الصباح الجديد فأمر الرائد بتحريك العربات إلى نقطة التجمع عند مكتب المخابرات بالسويس .. ثم قام الرائد أبو خالد مع ضابط الاتصالات البحرى بالتوجه إلى مقر القاعدة البحرية بميناء السويس التى قامت فى الحال وبمجرد إبلاغها بنبأ اختفاء قارب قائد المأمورية بتكليف ثلاث لنشات صواريخ للبحث فى مياه الخليج فى منطقة المأمورية عن القارب المفقود لعلهم يجدون أى أثر يدل على ما حدث .. وكان الرائد أبوخالد قد أصر على أن يستقل أحد هذه القوارب ليطمئن بنفسه على مصير هذا القارب المفقود .. ولكن لنشات البحث عادت بعد فترة من الوقت دون العثور على شئ ؟!! كان الأمر يدعو للدهشة والعجب ..

وكان الحزن الشديد والقلق المفزع يتملك الجميع هنا فى ميناء السويس.. وبقدر ما كان الرائد أبو خالد سعيداً بنجاح تنفيذ المهمة .. بقدر ما كان الحزن يعتصر قلبه على المصير المجهول لقائد وأفراد القارب الأول الذى فقد فى هذه العملية . وقال الضابط البحرى فى ألم وأسى : أصبح من المؤكد الآن أن نعلن عن فقد زميلى الضابط البحرى قائد المأمورية مع أفراد الطاقم بالقارب الذى أستقله لتنفيذ العملية بنفسه .. ثم سقطت من عينيه دموع ساخنة كانت تترقرق فى عينيه ..

وبعد صمت وكآبة شديدة استطرد الضابط البحرى وعيناه مغرورقتان بالدموع: اسمه الملازم صبرى.. وكان يستعد للزفاف على عروسه بمدينة الإسكندرية بعد أسبوع ..

وخيم الصمت والوجوم على الجميع .. وقال الرائد أبو خالد وقد أصابه التأثر الشديد وتصبب العرق من وجهه .. وأخرج منديلاً من القماش من سترته ليمسح دمعة ذرفت فجأة: لنقف دقيقة حداد على أرواح الشهداء الأبرار .. ولندع لهم من أعماق قلوبنا أن يتغمدهم الله عز وجل برحمته الواسعة سواء كانوا أحياء أو نالوا الشهادة. اصطف الجميع على الرمال وراء ساتر ترابى صناعى من أجولة الرمال المعبأة ليقفوا حداداً على أرواح شهداء الواجب من أبناء الوطن المفدى، وبعدها هتف الجميع بصوت مخنوق كانت تخنقه الدموع: نموت وتحيا مصر .. نموت وتحيا مصر..

وقد كان بصيص من الأمل يعتمل فى فؤاد أبو خالد نظراً لأنه حتى الآن لم تلتقط أى وحدة من وحدات الإستطلاع الإلكتروني للقوات المسلحة على طول المواجهة أى إشارة تدل على قيام أى وحدة إسرائيلية بالتعامل مع أى أهداف بحرية مصرية سواء بنجاحهم فى أسرها أو تدميرها..

إلى مكتب المخابرات الحربية بالسويس الباسلة توجه الرائد أبو خالد في سيارة عسكرية (جيب) تابعة للقاعدة البحرية .. وهناك اتصل تليفونيا بالقيادة بالقاهرة وأبلغ قيادته بما تم بهذه المأمورية .. وأعرب عن سعادته بدفع ٢٦٠ إلى سيناء من الجنوب هذه المرة لخطورة وأهمية هذه المعدات التى يحملها .. وفى نفس الوقت أعرب عن أسفه وحزنه العميق لفقد قارب مطاطى يحمل الضابط البحرى قائد العملية وبعض أفراد الكوماندوز من الضفادع البشرية..

كان الرائد يتحدث فى التليفون وهو يسترخى على أريكة خشبية.. وكان يشعر بصداع فى الرأس وألم فى العينين ..وظل يضغط على رأسه ليقاوم الألم وحاول أن يقف ويجلس على مقعد إلى جوار منضدة قديمة تآكل طلاؤها ولكنه من شدة الإجهاد الذى يحتويه .. ومن السهر طوال الليل على الشاطئ الغربى وتحت سوء الأحوال الجوية التى أحاطت بمياه خليج السويس .. قد غلبه النوم على كرسيه الذى كان يجلس عليه..

دق جرس الهاتف الموجود إلى جواره في صالة مبنى المخابرات بالسويس .. وكان نومه خفيفاً كالعادة فقد تعود في حياة الجندية على النوم الخفيف المتقطع، مازال الجرس يدق .. فرفع السماعة في صعوبة وهو يتثاءب .. وجاء صوت عامل التحويلة من الطرف الآخر واضحاً بلهجة حماسية: آلو .. آلو.. مكتب الزعفرانة معك يا فندم .. وكان الصوت القادم ضعيفاً جداً بالنسبة للرائد ويكاد ألا يكون مسموعاً.. فهو لا يزال يسيطر عليه سلطان النوم .. وظن الرائد أبوخالد أنه يحلم!، ولكنه أفاق منتبهاً على صوت المتحدث معه الذى كان يقول : يافندم .. ياسيادة الرائد .. وصلتنا إشارة بأن الملازم صبرى وزملائه بخير .. وأن القارب وأفراد المجموعة وصلوا جميعاً بسلامة الله ..قال الرائد في دهشة: معقول !!.. من فضلك أريد أن أطمئن على الضابط وطاقم القارب حالاً ..قال المتحدث : اطمئن يافندم . تم إخراج القارب والقوة المصرية العاملة عليه عن طريق الوحدة العسكرية هنا .. والجميع الآن في مخبأ قائد الوحدة ، قال الرائد شكراً يا أخى .. الحمد لله .. الحمد لله..

ثم أعطى الرائد تعليماته إلى مكتب (الزعفرانة) بتجهيز العربات اللازمة لنقل القارب ومعداته والطاقم الذى عليه من أبطال مصر إلى السويس فوراً.

وصل الملازم صبرى وزملائه إلى مكتب مخابرات السويس وكان في استقبالهم أبو خالد أمام المبنى في الشارع الواسع الذى ساء رصفه نتيجة غارات العدو استفسر أبو خالد من الملازم صبرى عما حدث .. قال الملازم وهو يتحرك مع الرائد إلى داخل المكتب: بمجرد أن تلقيت إشارة التحذير وطلب سيادتك وضابط الاتصالات بتغيير مسارى في الاتجاه المعاكس لسير المأمورية، وبخبرتنا السابقة بأسلوب سير دوريات اللنشات الإسرائيلية توجهت على الفور إلى المكان المتوقع لسير اللنش الإسرائيلي ولمحت أضواءه من بعيد .. وعلى الفور توجهت بنفس السرعة في اتجاهه وأخذت

أقترب منه حتى أتأكد من أن اللنش الإسرائيلي قد اكتشفني .. ولما وجدته قد غير مساره متجهاً نحوى .. قمت أنا بتغيير مسارى مرة أخرى عائداً إلى المجرى الملاحى بمنتصف الخليج كأننى أحاول الهرب والعودة إلى الشاطئ الغربى وذلك لاستدراجه بعيداً عن خط سير المأمورية وباقى اللنشات. قال الرائد: وبالطبع طاردك فى مجرى خليج السويس ..قال الملازم : المشكلة يا فندم أن اللنش الإسرائيلى قام بزيادة سرعته وكان محركه أقوى من محرك القارب الذى معنا .. وقام بالالتفاف حولى وقطع الطريق على لمنعى من اللجوء إلى الشاطئ الغربى .. ثم استطرد الملازم صبرى وهو يجلس على أنتريه صالة المكتب: كان على أن أقوم بتغيير مسارى مرة أخرى.. وعدت إلى المجرى الملاحى بوسط الخليج والسير وسط الأمواج المرتفعة التى ساعدت على عدم تحديد موقع قاربنا المطاطى على شاشة الرادار الخاصة باللنش الإسرائيلي بدقة .. وعندما أدركت أننى نجحت فى سحب اللنش الإسرائيلي وإبعاده عن مكان عمل المأمورية وأن المأمورية قد انتهت من تنفيذ مهمتها قمت بتغيير مسارى مرة أخري متجهاً إلى الشاطئ الشرقى .. وكان اللنش الإسرائيلي يقطع على طريق العودة إلى الشاطئ الغربى..

وعندما وصلت إلى مسافة قريبة من الشاطئ الشرقى قمت بتغيير مسارى مرة أخرى إلى الجنوب بمحاذاة الشاطئ الشرقى لخليج السويس وسط أمواج عالية تحركها رياح مزمجرة .. لكى أحتمى بتضاريس الأرض الجبلية على الشاطئ الشرقى . وبذلك يصعب على اللنش الإسرائيلي التقاطنا على شاشة الرادار .. وهذا يعطينا فرصة الإفلات .. والحمدلله نجحت خطة المراوغة وتأكدنا من الإفلات من اللنش الإسرائيلي ..

وكان نتيجة هذه المراوغة أن نفذ الوقود من الخزان الرئيسى .. ولأن القارب وكل قارب أو لنش حربى مزود بخزان وقود احتياطي وكذلك موتور احتياطي .. فقد حولنا الوقود إلى الخزان الاحتياطي .. ونحن فى مكاننا بالشاطئ الشرقى وخوفاً من ظهور ضوء النهار علينا

فيكشفنا العدو قمنا بقطع الخليج فى منتهى السرعة إلى اتجاه الشاطئ الغربى .. ومكثنا فى المياه على بعد كيلو متر من الشاطئ الغربى حتى طلع علينا الصباح .. وذلك خوفاً من اصطدامنا بدوريات أو كمائن لقواتنا الذين هم على غير علم بمأموريتنا ..

ثم استطرد قائلاً: خرجنا من الماء فوجدنا موقعاً لقواتنا قريباً من الشاطئ وكان أفراد الحراسة يراقبون تحركاتنا فى الماء فأبلغوا قائد الموقع الذى أعلن حالة الاستعداد القصوى .. ولما تأكدوا من موقفنا .. توجهت مع أحد أفراد الأمن إلى ملجأ قائد الوحدة وأخبرته بسبب وجودنا هنا .. وعلمت منه أننا فى الزعفرانة .. وقام قائد الموقع بإبلاغ مكتب المخابرات الحربية الذى قام بعمل اللازم معنا .. قال الرائد وهو يضحك فى دهشة وغرابة: حمداً لله على سلامتكم، لقد فعلتم ما ليس فى الحسبان.. وأحسدكم على قوة صبركم وشدة عزيمتكم وذكاء خطتكم ..

وفى اليوم الثالث كان الوقت قد حان والموعد قد اقترب لتنفيذ عملية أو مأمورية التقاط الدليل البرى الذى قام بتوصيل يونس وزميله إلى مدخل جبل الراحة فى سيناء .. فتحركت نفس المجموعة فى همة ونشاط وسرعة إلى نفس المنطقة على خليج السويس . وعلى الشاطئ الغربى للخليج كان الانتظار والترقب مع فتح الجهاز اللاسلكى الذى كان مع الرائد على وضع الاستقبال فى انتظار استقبال الإشارة التى سيقوم المندوب أو الدليل بإرسالها.. والتى تفيد وصوله بسلام إلى نقطة الالتقاط المتفق عليها على الشاطئ الشرقى للخليج. وعند منتصف الليل تقريباً تم التقاط إشارة الوصول فبدأت الحركة تدب فى المكان ..

تحركت المأمورية .. وتمت عملية التقاط الدليل من على الشاطئ الشرقى بسلام وعاد القاربان يحملان الدليل مع أفراد المجموعة المسئولين عن تنفيذ العملية إلى الشاطئ الغربى.

حول مائدة مستطيلة صغيرة بأحد الحجرات المجهزة بالمكتب، جلس الرائد والدليل البرى يتحدثان وكان الرائد يناقش ويستفسر من الدليل عن خط السير الذى سلكه وعن ملاحظاته ومشاهداته للاطمئنان على سير ووصول ٢٦٠ وزميله بسلام إلى جبل الراحة ..

داخل المحطة بجنوب العريش بدأ ٢٦٠ فور وصوله إلى مكان عمله هناك بتركيب أجهزة الاتصالات اللاسلكية الخاصة بإرسال واستقبال الرسائل والإشارات بمساعدة أفراد مجموعته ونجح فى تحقيق الاتصال اللاسلكي بالجهاز الجديد وتم التنسيق معه على الأسلوب الجديد الذى سيتم به الاتصال اللاسلكى.

بدأت الشبكة تعمل بالطريقة المطورة .. وكان لوجود الجهاز اللاسلكى الجديد مع مجموعة ٢٦٠ أثره الكبير فى رفع كفاءة الشبكة وزيادة كمية الأخبار والمعلومات التى يتم إرسالها لاسلكياً فى أمان ودون تعرض أمن المحطة للخطر، وساعد وجود الجهاز الجديد فى:

أولاً : التقليل من مأموريات مندوبى الاتصال فى نقل الرسائل .. وذلك لخطورة هذه المأموريات التى تكمن فى مناطق الدفع والالتقاط حيث كانت تتم من خلال مناطق وممرات تحت سيطرة القوات الإسرائيلية سواء كانت على طول جبهة قناه السويس أو من خليج السويس ..

ثانياً: زيادة كمية الرسائل الإخبارية التى تجمعها الشبكة وترسلها عبر الجهاز الجديد نتيجة تحقيق أسلوب سهل فى الاتصال والتقليل من تعريض أمن المحطة اللاسلكية لأية مخاطر نتيجة استخدام الجهاز اللاسلكى فى تحقيق اتصالات من مناطق ثابتة وكذلك تحقيق اتصال لاسلكى جيد من داخل المناطق الجبلية والوعرة ومشفرة تشفيراً آمناً ..

وفى الأيام التالية تم تطوير عمل شبكة ٢٦٠ وكان لها دور رئيسى فى المساعدة فى تنفيذ عمليات عسكرية تحقق خسائر مادية فى أفراد العدو ومعداته. ولما اكتملت التحريات الدقيقة للمندوبين الجدد الذين رشحهم ٢٦٠ للعمل من منطقة بئر سبع بواسطة مصادر المخابرات الحربية المختلفة وتم التأكد من سلامة موقفهم، تم تبليغه لاسلكيا بالتصديق على ضمهم للعمل بالشبكة فى تغطية نشاط القوات الإسرائيلية فى منطقة بئر سبع داخل فلسطين المحتلة وبذلك اتسع نشاط عمل الشبكة وأصبح يغطى أي تجمع للقوات الإسرائيلية بالمنطقة قبل تحركها على المحور الأوسط والإبلاغ الفورى عنه، وقد ساعدت هذه الخلية مستقبلاً فى تغطية أحداث كثيرة وتم تحقيق استفادة كبيرة من الأخبار التى كانت ترسلها عبر الشبكة.

الجمَالْ سِلاح سِرى

أُعطيتْ هذه العملية الاسم الكودى (ردع) كما هو متبع فى العمليات العسكرية التى كانت تتم ضد العدو .. وكان مركز قيادة القوات الإسرائيلية لقوات وسط جبهة سيناء الموجود فى مدينة العريش من ضمن الأهداف المرصودة فى الخطة الجديدة للقيام بعمل عسكرى ضده والعمل على ضربه لأنه يعتبر مبنى حيوياً يشغله الكثير من القادة العسكريين والجنود الإسرائيليين الذين يديرون حركة العمل داخل معسكرات ومواقع العدو فى سيناء .. وكان التفكير فى رصد هذا المبنى وكيفية التعامل معه أمر بالغ الصعوبة .. ولكن جاءت أحداث طريفة وغريبة أدت الى وضع خطة لمهاجمة هذا المركز، كان الرائد (أبو خالد) وزميله الرائد (مدحت) فى زيارة سريعة لإحدى مناطق تجمع البدو من القبائل فى المهجر كالعادة دائماً.. فقد كان الرجلان مكلفين من جانب الإدارة بزيارة هؤلاء المواطنين والوقوف على أحوالهم .. والعمل على حل مشاكلهم وتلبية احتياجاتهم ومطالبهم .. ولكن فى هذه الزيارة عرف الرجلان معلومة غريبة لم تكن شائعة التداول.

ففى أثناء الحوار والحديث مع رجال البدو من سيناء .. وأثناء تناول (القهوة العربى) فى أحد المجالس تحت ضوء القمر ونيران الموقد .. وكانت الحلقة تضم عدداً من الرجال الذين تقدم بهم السن وبلغ بهم المشيب والهرم مبلغاً، كان الحديث عن الإبل والجمال .. وقد أخذ الرجال يعددون مآثرها .. ولفت انتباههما قول أحد الرجال : الجمل سباح ماهر .. وهو يجيد السباحة فى المياه المالحة والمياه العذبة، لكنهما التقطا هذا الخبر وتبادلا نظرات ذات معنى مع بعضهما البعض .. وأثناء عودتهما فى منتصف الليل إلى القاهرة أخذا يتبادلان النقاش فى إمكانية استخدام هذه الوسيلة الجديدة فى عمليات بالداخل .

فى مكتب القائد بمبنى الإدارة جلس الرائدان (أبو خالد) و(مدحت) يعرضان عليه استغلال إمكانية الجمال فى السباحة وعبورهم القناة وتحميلها ببعض المهمات الخاصة لنقلها إلى الداخل لاستخدامها فى العمليات العسكرية التعرضية ضد قوات العدو بالداخل، ورحب القائد بالفكرة .. وكلف الرائدين بإجراء التجارب والاختبارات اللازمة على عمليات عبور القناة.

وعلى الفور تم تنفيذ تجارب لعبور الجمال سباحة فى منطقة تسمى (البلاح) جنوب منطقة القنطرة .. وكان اختيار منطقة (البلاح) بالذات دون غيرها لأن القناة فى هذه المنطقة تتفرع إلى فرعين متساويين بينهما جزيرة بالوسط تسمى جزيرة (البلاح).. وكانت الجزيرة محتلة بواسطة القوات المصرية ..

نجحت عملية عبور الجملين سباحة عدة مرات من الشاطئ الغربى للجزيرة الواقعة بوسط القناة والعكس وجاءت فكرة الرائد مدحت فى إضافة بعض الأحمال عليهما .. ونجحا فى العبور وهما محملان بهذه الأثقال وكأنهما مركبتان تشقان مياه القناة بقوة وكفاءة تامة فى صمت وهدوء ومن هذه اللحظة بدأ التخطيط لقصف معسكر قيادة وسط سيناء والذى يقع جنوب العريش بالصواريخ !!

من المحطة الرئيسية للاتصالات اللاسلكية أرسل الرائد برقية تكليف إلى ٢٦٠ بوضع مركز قيادة وسط سيناء تحت المراقبة الدقيقة والمستمرة من جانب الشبكة ..

والإبلاغ أولاً بأول بتفاصيل عملية المراقبة والقيام بتصويره بطريقة البانوراما .. وعلى ضوء ما تسفر عنه عملية المراقبة سيتم وضع الخطة المناسبة لتنفيذ العملية.

بعد مرور وقت كافٍ .. تم تجميع أكبر قدر من المعلومات الهامة عن الهدف نتيجة لعملية المراقبة ومن الصور البانورامية للموقع التى قامت بإرسالها شبكة ٢٦٠ .. وأصبح الموقف واضحاً لدى قيادة الإدارة عن مركز القيادة الإسرائيلى والتى طلبت القيام بعملية عسكرية ضده ..

تم وضع خطة لقصف مركز القيادة الإسرائيلية بالصواريخ من داخل سيناء على أن يتم نقل الصواريخ اللازمة لهذه العملية من الشاطئ الغربى لجبهة قناة السويس وعبر القناة حتى المنطقة التى سيتم إعدادها للقصف جنوب مدينة العريش بواسطة الجمال .. وعلى الفور بدأت خطوات التنفيذ كالأتي:

* تدريب الجمال على عبور قناة السويس سباحة فى الليالى المظلمة وهى محملة بأحمال ثقيلة تماثل الأحمال التى ستكون محملة بها أثناء التنفيذ مع المحافظة على سلامة الأحمال.

* اختيار مناطق سرية تصلح لتشوين الصواريخ والمواد المتفجرة والذخائر فى مناطق مختفية فى مدينة القنطرة شرق لتسهيل عمليات نقلها إلى مناطق العمليات بالداخل مستقبلاً..

* نقل كافة المعدات اللازمة لعملية القصف من الصواريخ والمنصات الخاصة بالإطلاق والمتفجرات والذخائر من الشاطئ الغربى للقناة إلى

الشاطئ الشرقى حتى أماكن التشوين بمدينة القنطرة شـــرق على مراحل متعددة.. وفى أوقات متباعدة واستخدام مناطق عبور متفرقة على طول الشاطئ الممتد لقناة السويس من مدينة الإسماعيلية حتى مدينة بور سـعيد وذلك للتمويه وإخفاء العمليـة عن استطلاع العدو علـى الجبهـة وتـأمين عملية القصف ..كذلك تغليف هذه المعدات بطريقـة محكمـة لعدم تسرب المياه إليها أثناء عمليات عبورها للقناة أو تعرضها للرطوبة أثناء تشوينها بمخازنها بالمدينة.

* اختيار الجمال الصالحة للقيام بمثل هذه المهام من وادى النيل والعمل علـى تدريبها على السير لمسافات طويلـة وهـى محملـة بأحمـال ثقيلـة علـى كثبـان رملية وأراضـى صحراوية .. وتحت ظروف تماثل ظروف تنفيذ المهمة .

* اختيار عناصر مـن منظمـة سيناء العربيـة التابعـة لجهـاز المخـابرات الحربية من بدو سيناء ولهم خبرة جيدة بدروب ومسالك المحور الشـمالى لسيناء لمرافقة الجمال والتعامل معها وتوصيلها بسلامة وسرية تامة إلـى المنطقة المحددة للتعامل مع الهدف.

ونظراً لأن الجمل سيكون هو العنصر الرئيسى فى تنفيذ هـذه المهـام فقد تم تكليف الرائد مدحت بتوفير الجمال ذات المواصفات المطلوبـة للقيـام بهذه الأعمال. وقد نجح بعد مجهود كبير فى تجميع العدد المطلـوب لهذه المهمـة وبدأ فى تدريبها بواسطة عناصر على درجة كبيرة من الخبرة من بدو سيناء على السير لمسـافات طويلـة فـى منـاطق صحراويـة وجبليـة .. وهـى تحمـل أحمالاً ثقيلة وتحت ظروف مشابهة للظروف التى ستقوم بالعمل فيها ..

بعد الانتهاء من عمليات التدريـب المختلفـة .. وبعـد الاطمئنـان علـى قيـام مجموعة الجمال المختارة من تنفيذ المهام المطلوبة بكفاءة مع العناصر الذين تم اختيارهم من منظمة سيناء العربية الذين سيقومون بالتعامل مع هذه الجمال فـى كل مرحلة من مراحل التنفيذ.. وتوصيلهم إلى منطقة التجمع بالداخل.

تم انتقاء عدد محدود من الجمال التى ستقوم بتنفيذ المرحلة الثانية من المهمة والتى تتمثل فى نقل هذه الصواريخ والمنصات الخاصة بالإطلاق وبعض المتفجرات وبعض المعدات الخاصة بالإطلاق من أماكن تخزينها بمدينة القنطرة شرق وتوصيلها إلى منطقة التجمع جنوب مدينة العريش وهى المنطقة التى تم الاتفاق مع ٢٦٠ لإرسال مندوب من طرفه للانتظار فيها وقُسِمَتْ الجمال والعناصر العاملة عليها إلى مجموعتين .. كل مجموعة تتكون من أربعة جمال .. وكل جمل يحمل صاروخين ومنصات للإطلاق خاصة بهما ومعداتهما بحيث يكون كل جمل مُحَمَّل بوحدة متكاملة من الإطلاق .. واندفعت المجموعات متسللين مستخدمين دروباً غير مأهولة عبر الصحراء للوصول إلى مكان التجمع. واتخذت كافة الإجراءات الفنية لتنفيذ عملية القصف ولتحقيق دقة إصابة الهدف.

وصلت برقية لاسلكية من الشبكة تفيد بوصول مجموعتى التنفيذ.. وأنه جاهز للتنفيذ .. وفى انتظار الأوامر .. وكان ٢٦٠ قد قام ورفاقه بتكثيف المراقبة على الهدف حتى لا يحدث شىء غير متوقع .. وفى الموعد المحدد تحركت مجموعة نقل الصواريخ على الجمال تحت ستر الظلام ليلاً وقامت بتشوين الصواريخ فى المنطقة المحددة للإطلاق .. ثم قام ٢٦٠ مع المجموعة العاملة بتجهيز الصواريخ على منصات الإطلاق وتحديد زاوية الإطلاق لكل صاروخ بدقة متناهية .. ثم تثبيتها جيداً حتى لا تتحرك بفعل العوامل الجوية .. ثم قامت المجموعة بعمل دوائر الإطلاق الكهربائية وضبط توقيت الإطلاق الأوتوماتيكي بواسطة الساعة المعدة لذلك والمتصلة بالدائرة الخاصة بصواريخ كل مجموعة.

تم ضبط موعد إطلاق المجموعة الأولى وهى مكونة من ثلاثة صواريخ فقط وذلك على أن تطلق فى تمام الساعة الخامسة صباحاً قبل موعد يقظة القوة بهذا المعسكر ثم تنطلق المجموعة الثانية والمكونة من خمسة صواريخ فى تمام الساعة الخامسة والثلث أى بعد عشرين دقيقة من

إطلاق المجموعة الأولى .. ولقد تم هذا التقسيم على أساس إذا حدث عطل فى أحد صواريخ المجموعة الأولى فينطلق اثنان وإذا حدث عطل فى أحد صواريخ المجموعة الثانية فينطلق أربعة.. كذلك يوجد جهاز تفجير خاص مثبت بعبوة ناسفة مثبتة فى كل منصة إطلاق صواريخ، يقوم هذا الجهاز بنسف هذه المنصة بعد إطلاق الصاروخ منها حتى يمحو أى آثار لهذه العملية قد تساعد العدو فى التوصل إلى طريقة تنفيذها .. وكذلك إعطاء حماية للأفراد المنفذين والوقت الكافى لإخلائهم موقع التنفيذ والاختفاء فى مناطق مأمونة.

بعد الانتهاء من تجهيز الصواريخ ليلاً تحت جنح الظلام بكل عناية وكفاءة تامة للإطلاق على الهدف .. تم إخلاء المنطقة بسرعة وسُحِبَتْ الجمال المستخدمة وأُطلِقَ سراحها فى مناطق متفرقة من الصحراء كأنها جمال شاردة .. وتم إخلاء أفراد منظمة سيناء إلى منطقة مأمونة بالجبل لإخفائهم تمهيداً لإعادتهم إلى الشاطئ الغربى بعد انتهاء مأموريتهم.

فى الموعد المحدد وفى تمام الساعة الخامسة صباحاً، انطلقت المجموعة الأولى من الصواريخ .. وانفجرت الصواريخ الثلاثة وأحدثت إصابات مباشرة بالهدف وقد أحدثت هذه القصفة الذعر والفزع الشديدين بين الأفراد .. وتدافعوا للخروج إلى ساحة المعسكر وتسابقوا فى الاندفاع إلى الملاجئ.

وبعد فترة من الهدوء بدءوا فى الخروج من الملاجئ للوقوف على ما حدث والبدء فى جمع الجرحى والمصابين والتتميم على باقى القوة .. وفى أثناء ذلك انطلقت المجموعة الثانية فى موعدها وانهالت الصواريخ الخمسة على مبنى القيادة من كل اتجاه وانفجرت كلها .. ولقد أحدثت هذه القصفة خسائر فادحة فى الأرواح نظراً لأن الأفراد كانوا خارج الملاجئ وفى حالة انتشار وبحث. وبذلك تحقق الهدف من قصف مركز

القيادة على مرحلتين .. وقد تم رصد لنشاط مكثف لعربات الإسعاف فـى نقل الجرحي والقتلى إلى داخل إسرائيل طوال النهار.

وعلى الفور تم إذاعة بيان عسكرى كان معداً لإذاعتـه مـن الإذاعـة المصرية فور نجاح عملية القصف جاء فيه:

" قامت طائرتان هليكوبتر تابعتين للقوات الجوية المصرية بالتحليق على ارتفاع منخفض فـوق سطح البحـر وقصفت مركـزاً لقيـادة القـوات الإسرائيلية بالجبهة والموجود بمدينة العريش وأحدثت بـه خسـائر فادحـة فى الأفراد والمعدات .. وعادت الطائرتان إلى قاعدتهما سالمتين ".

وقد أذيع هذا البيان بهذه الطريقة لستر انسحاب عناصر تنفيذ العملية وإعطائهم الوقت اللازم للاختباء فى أماكن مأمونة.

ولقد أربكت هذه العملية القيادة الإسرائيلية إرباكاً شديداً لفترة طويلـة جداً لعدم تمكنها من معرفة الطريقة التى تمت بها، وكانت تشكل مصـدر قلق وإزعاج لقواتها بالداخل لأنهم شعروا بأنهم أصبحوا هدفاً سهلاً وفـى متناول القوات المسلحة المصرية.

وقـد اعـترفت القيـادة الإسـرائيلية بهـذه العمليـة وأذاعـت بيانـاً عسكرياً جـاء بـه:

" قامت القوات المصرية فجر اليوم بقصف مركز قيادة عسكرى بمدينة العريش وذلك من جهة البحر .. وأحدثت به خسائر فى الأرواح والمعدات".

كـان لهذه العمليـة أثرهـا الكبير فـى رفـع الـروح المعنويـة لأبنـاء العريش والأرض المحتلة وشعورهم بقرب حلول اليوم الموعـود .. وأن قواتهم المسلحة أصبحت قريبة منهم .. وأن عملياتها العسـكرية أصبحـت تصل بها إلى عمق سيناء ..

الفصـــل الرابع

خطف عميل المخابرات الإسرائيلية من العريش

كان يوجد فى مدينة العريش شخص يدعي "على التاجي" يعمل مع جهاز المخابرات الإسرائيلية وقد قاموا بمنحه رتبة "ضابط" بالمخابرات الإسرائيلية !! .. وكان له نشاط كبير في الإبلاغ عن نشاط العناصر العاملة معنا بالداخل وتسبب في إيذاء كثير من الأبرياء والمواطنين .. وقد تأكد ذلك من التحريات الدقيقة التي تمت بواسطة جهاز المخابرات الحربية عليه من مصادرها الخاصة .. لذا كان لابد من العمل علي التخلص منه ومن شروره .. ونظراً لأن أعمال المخابرات الحربية تتسم بعدم التسرع والهدوء .. لذا فقد وضعنا خطة للتسلل إليه من خلال نقاط الضعف فيه واستغلالها الاستغلال الأمثل لضمان نجاح العملية ..

ففى أحد تقارير الشبكة بخصوص هذا الموضوع، ظهر وجود علاقة مصالح بين هذا العميل وشخص من العريش من المتعاونين مع أحد عناصر الشبكة بالداخل .. وقد نجح هذا الشخص في التقرب إليه وإمداده بمادة المخدر الذي يتعاطاه ومنادمته في سهراته الليلية ليأمن شره.. وكانت هذه إحدى نقاط الضعف الموجودة في العميل الخائن "علي التاجي " وهي تعاطي المخدرات وشرب الخمر والسهر وقضاء الليالي الحمراء التي يتم تدبيرها له بواسطة رجال المخابرات الإسرائيلية في ملاهي وبارات داخل إسرائيل وتلك كانت وسيلة المخابرات الإسرائيلية في السيطرة علي عملائها واستغلال نقاط الضعف هذه فيهم لإفسادهم وإحكام السيطرة عليهم بعد أن يكونوا قد سقطوا في شراكهم وذلك لتنفيذ خيانتهم للوطن .. كان لابد من الاستفادة من هذا الموقف للبدء فى تنفيذ خطة التخلص منه، فتم إرسال تعليمات إلى ٢٦٠ لتشجيع وتطوير هذه

العلاقة بين العميل ومندوب العريش والعمل علي كسب ثقته بإشراكه في صفقات تجارية مع إيهامه بأنها غير مشروعة وذات عائد مادي كبير .. ويغدق عليه بالهدايا والأموال مع ملازمته في مجالسه حتي يأمن له ويضمن وجوده تحت مراقبته المستمرة ..

وكانت التقارير الواردة بهذا الخصوص مشجعة وتدل علي قيامهم بتنفيذ التعليمات والتوجيهات بصورة جيدة ساعدت علي سرعة كسب ثقة العميل "علي التاجى" لمندوب العريش ..

تم عقد اجتماع عاجل بالإدارة اشترك فيه بعض عناصر من الذين سيكون لهم دور فى تنفيذ الخطة بغرض دراسة ما تم تنفيذه من اجراءات حتى الآن لتحقيق الاستفادة الكاملة من كل مرحلة. وتقرر فى هذا الاجتماع أن أحسن طريقة للتخلص من هذا العميل هو القيام بعملية جريئة لخطفه من الداخل وإحضاره ومحاكمته بالقاهرة واستغلال نجاح هذه العملية دعائياً لضرب وإجهاض مخططات المخابرات الإسرائيلية فى استخدام عملائهم والحد من نشاطهم ورفع الروح المعنوية للمواطنين بالداخل.

ولتنفيذ عملية الخطف .. تم اختيار بعض عناصر من شباب منظمة سيناء العربية .. وكانت هذه المنظمة قد تكونت بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ بواسطة جهاز المخابرات الحربية المصرية من أبناء قبائل مختلفة من بدو سيناء تطوعوا للعمل بها لمشاركة القوات المسلحة في تحرير الأرض المحتلة وتم تدريبهم بواسطة خبراء عسكريين للقيام بأعمال ضد قوات العدو علي الشاطئ الشرقي للقناة ، وفي عمق سيناء أيضاً .. مثل الإغارة علي المواقع ومراكز القيادة المنعزلة للعدو ..

بدأت عملية استدراج العميل إلى الشرك المعد له بأن قام مندوب العريش أثناء منادمته فى أحد ليالى الأنس التى تجمعهما وكاشفه وهو يتظاهر بأنه تحت تأثير المخدر بأنه قد عقد صفقة مخدرات ذات عائد

كبير مع أحد التجار الذى سيقوم بتهريبها بطريقته إلى وادى النيل وأن موعد التسليم سيكون باكر وأنه سيقوم بالدفع نقداً. وهنا تحركت غريزة الطمع والجشع لدى العميل واستفسر منه عن مكان البضاعة ومكان التسليم، فأخبره المندوب بأنها فى منطقة تسمى نجيلة على الساحل غرب بئر العبد. وعلى الفور طلب العميل الجشع الدخول فوراً فى هذه الصفقة ولكن المندوب أخذ يتظاهر بالتسويف والمماطلة فقام العميل على الفور بتهديده باستخدام سلطاته وإبلاغ السلطات الإسرائيلية. رضخ المندوب لتهديداته ووافق على دخوله معه كشريك بالنصف إمعاناً فى إغرائه. ثم قضى الليلة معه لمراقبته وعدم تمكينه من القيام بأى اتصالات خوفا من غدره. وعندما أفاق من نومه طلب منه المندوب مصاحبته للذهاب لمقابلة التاجر لإنهاء هذه الصفقة. وكما كان متوقع فقد أخذ يسوف ويماطل وطلب تأجيل الموعد بحجة أنه لم يفيق من سهرة الأمس. ولكن بالضغط على نقطة الضعف فيه وإثارة غريزة الجشع لديه، نجح المندوب فى إقناعه بأن هذا موعد تم تحديده مع التاجر ومن الصعوبة العثور عليه مرة أخرى، فقام معه وهو متردد. ربما لإحساس داخلى فى نفسه بأن حدثاً ما سيحدث !!

استقلا سيارة كانت معدة لهما وتحركا حتى وصلا إلى منطقة تسمى رابعة على الساحل، وقبل دخولهم المدينة أمر المندوب سائق السيارة بالدخول فى طريق فرعى داخل الصحراء، فانزعج العميل ولكن المندوب طمأنه بأن هذا إجراء تأمينى يتم فى مثل هذه الأعمال ثم توقفت السيارة فى مكان فوجدا أحد الأشخاص متقدما نحوهما ومعه جملين ثم أناخ الجملين وطلب منهما الركوب لتوصيلهما إلى وجهتهما. وكان المندوب يقوم بتهدئة نفس العميل المضطربة من هذه الإجراءات الغامضة حتى وصلا إلى منزل منعزل يقع فى أطراف بلدة نجيلة، مبنى من الأحجار ومسقوف بتعريشة من سعف النخيل وله باب مصنوع

بعضه من ألواح خشب قديمة وبعضه من الصاج. ووجدا بعض أشخاص فى انتظارهما. وعند وصولهما تقدم إليهما التاجر المزعوم ولكنه أبدى تخوفه وشكوكه عند مقابلته للعميل التاجى ولكنهما بذلا جهداً كبيراً فى تهدئته وطمأنته، وقد تقمص التاجر الدور المرسوم له ببراعة دعت العميل نفسه يخرج من حالة الشك والخوف التى لازمته فى هذه الرحلة. فى الحقيقة كان هذا التاجر هو قائد مجموعة الخطف من فدائيين منظمة سيناء الذين كانوا بانتظار العميل فى هذا المكان لإتمام عملية الخطف. بعد فترة من التداول والشد عادت الأمور إلى طبيعتها واتفق المندوب والتاجر على إتمام الصفقة ثم طلب التاجر معاينة البضاعة .. ودلفوا إلى داخل هذه الدار وأمر المندوب أحد الأشخاص بالحفر فى أحد الأركان ثم قام بإخراج جوال صغير وقام بفتحه وأخذ يخرج من داخله بعض لفافات مغلفة بأكياس من البلاستيك. وبعد أن اطمأن على البضاعة طلب منهم الجلوس وأمر بعمل الشاى وأخذ فى إخراج النقود من أماكن مختلفة ويضعها أمامه على الأرض ومع كل رزمة من الأوراق المالية يقوم التاجر بوضعها أمامه، كانت علامات الطمع وبريق الجشع يبرق من عينى العميل فى هذه الظلمة من فرط سعادته. كانت كل المعدات جاهزة بالطبع وأُشعِلَت النيران لعمل أقداح الشاى ودخل عليهم شخص بأكواب الشاى على الطريقة البدوية وكان قد دس فى أحدهما مخدر ذا مواصفات خاصة لا يفقد متعاطيه الوعى ولكن يساعد على شل حركته ويفقده القدرة على القيام بأى مقاومة. وقدم هذا الكوب للعميل.

ارتفعت حرارة جلسة الأنس هذه وكان النور الخافت الذى ينبعث من المصباح الكيروسين ومن الموقد الموجود به جمرات الفحم المتوهجة بلونها الأحمر والدخان المنبعث منه يضفى على المكان جواً غريباً من الوحشة لم تظهر علي العميل أي علامات لشعوره بالتخدير أو فقدانه للسيطرة علي نفسه .. وكان الوقت يمر بطيئاً ثقيلاً علي مجموعة الخطف

وهذا ليس في صالحهم لأن لهم مهام أخري لابد من إنجازها في التوقيتات التي تم تحديدها لأن كل تأخير سيشكل عليهم خطورة وكذلك علي تنفيذ العملية .. لم يكن هناك بديل آخر .. لذلك فقد قامت مجموعة الخطف بالكامل بالإنقضاض المفاجئ علي المكان من كل جانب ومهاجمة العميل كالصاعقة لشل حركته ومن شدة هول هذه الحركة المفاجئة استسلم العميل وزاغ بصره في أرجاء المكان فقد أسكرته المفاجأة للحظات أثناء قيام المجموعة بتقييد حركته ويظهر أنه كان يستجمع شتات قواه الخائرة .. ثم انقلب فجأة كالثور الهائج الذي طعنته رماح الرماة وأخذ يطيح بكل شئ حوله.. وكان يطلق صرخات شديدة وصيحات استغاثة وفوجئت المجموعة بهذه المقاومة العنيفة من جانبه نظراً لأنه كان يتمتع بجسد قوي متوسط الطول مربع الجسم في قوة .. وقد انقلب هذا المكان الهادئ إلي ساحة معركة شرسة ..

وكان بريق الشرر الذى يتطاير من العيون الغاضبة يكاد يضئ ظلمة المكان وسرعان ما سيطرت المجموعة علي الموقف وأطبقوا علي العميل وشلوا حركته وكان قائد هذه المجموعة قد جثم عليه وأطبق بيده علي فمه لمنعه من الصراخ .. فإذا بالعميل يلتقم الإصبع الإبهام من اليد المطبقة علي فمه .. وأخذ يعضها بشراسة إلي أن قطع هذه العقلة وانفجرت الدماء بغزارة من هذه الإصبع .. ولكن ذلك لم يوقف البطل عن تكملة باقي المهمة المكلف بها رغم الآلام المبرحة التي كان يشعر بها ..

قام هذا البطل بربط يده بقوة من عند المعصم لمنع نزيف الدم .. ثم قام بمشاركة زملائه في حمل العميل بعد أن فقد السيطرة تماماً علي نفسه وخارت قواه وللتأكد من عدم قيامه بأي مقاومة أثناء رحلة العودة قاموا بتقييده وتكميم فمه حتى لا يحدث أي أصوات وقاموا بحمله علي جمل والإسراع بالخطي فوق الرمال الناعمة والصخور لتعويض التأخير في الوقت الذى كان

قـد تحـدد معهـم للوصــول إلــي المكــان المتفــق عليــه مــع مجموعــة الالتقـاط البحـري فـي الموعـد ..

كانت مجموعة الالتقاط البحري علي الشاطئ الشرقي تقـوم بواجبهـا في تأمين منطقة الالتقاط وتقوم بمسح المنطقة بنظارات الرؤية الليلية فـي كل اتجـاه .. ومـع تقدم الوقت بـدأ القلـق يتسـرب إليهـم لعـدم ظهـور المجموعة .. وكان هذا الخوف والقلق ليـس بسبب خوفهم علـي أنفسـهم من العدو فهم معتادون ومدربون جيداً علــي مواجهـة مثـل هـذه المواقـف ولكن كان بسبب حرصهم الشديد علي نجاح المهمة ..

بعد فترة كبيرة من القلق والترقب أمكنهم رؤية مجموعة الخطف تظهـر علي خط الأفق في آخر لحظات بعد أن بدأوا في اتخاذ ترتيبـات العـودة إلـي الشاطئ الغربي لأن وجودهم أصبح يشكل خطورة وكشف لمنطقة الالتقـاط.. فسارع بعضهم بالاندفاع إلي مجموعة الخطف لمد يد العون لهم ومساعدتهم في الإسراع إلي الشاطئ قبل ولوج ضوء الفجر .. ثم بـدأ الجميـع القفـز فـي القارب المطاطي .. في خفة وسرعة..

كان الصبح قد بدأ يرسل ضوءه علي المكان .. ولكن عنايـة اللـه كـانت تظللهم فقد كان الضباب الكثيف المعتم يخيم علي صفحـة ميـاه القنـاة ويسـاعد علي سترهم من استطلاع موقع العدو الموجود علي القناة ..

تم سحب القارب علـى عجـل بسـلام إلـي الشـاطئ الغربـي للقنـاة .. وخرج الأبطـال منـه فوجـدوا الرائـد مدحـت فـى استقبالهم مـع مجموعـة العمل الموجودة علي الشاطئ الغربي للقناة والترحيب الشديد بهم والتهنئة الحارة بإتمام المهمة بنجـاح والوصـول سـالمين .. وقـد قـام بنقـل البطـل الجريح في الحال إلـي المستشـفي العسـكري .. وقـام فريـق مـن الأطبـاء بعمل اللازم نحو إيقاف النزيف الـذي كـان مـا يـزال يتدفـق مـن إصبعـه وعلاجه والرعاية به ..

أودع هذا العميل بمكان آمن ووضعت عليه الحراسة اللازمة فى حجرة بها سرير وضعوه عليه بعد فك قيوده .. وبعد أن بدأ المخدر يتلاشي تأثيره وبدأ العميل يفيق وبدأ ينظر فيما حوله باستغراب ويحاول تجميع شتات نفسه .. وجد أحد أفراد المخابرات الحربية وقد ارتدي زي ضابط إسرائيلي جالساً أمامه يحدثه باللغة العبرية بما معناه مساء الخير يا "علي" ..

فانفرجت أساريره وتهلل وجهه بالسعادة الغامرة ورد عليه في نشوة: أنا كنت متأكد أنكم لن تتركوني .. وأنكم سوف تخلصوني . وأخذ في شكره بشدة ووعد بأنه سيكون أشد إخلاصاً وسيكون خادماً مطيعاً لإسرائيل !! عند ئذ صدمه الشخص عندما تحدث معه باللغة العربية وقال له في عتاب : أنت في مصر يا "علي" .. مصر بلدك التي تنكرت لها وتعاملت مع أعدائها ..فسكت "علي التاجي" ووجم وزاغ بصره وعرف بالنهاية التي تنتظره هو وكل عميل خائن لوطنه.

ولقد كانت هذه العملية ضربة موجعة للمخابرات الإسرائيلية وكذلك لعملائها الموجودين بالداخل الذين شعروا بالذعر والخوف الشديد من المصير الذي ينتظر كل عميل خائن لوطنه ولقوميته، وتسبب هذا الحادث في اختفاء معظمهم وهروب الباقين لتيقنهم بأن الخيانة ليس لها إلا مصير واحد في النهاية .. وأن القوات المسلحة المصرية علي عزم أكيد بتحرير الأرض المغتصبة والويل يومئذ من يوم الحساب ..

تجهيز مناطق لقوات الإبرار الجوى

واصلت شبكة ٢٦٠ نشاطها بالداخل علي المحور الأوسط في كفاءة تامة طبقاً للمهام المحددة المكلفين بتنفيذها. وسادت فترة من النشاط المكثف للشبكات العاملة لنا بالداخل تنبئ عن وقوع أحداث في المستقبل القريب .. وجاءت بداية عام ١٩٧٣ بفجر جديد يبدد ظلام ليل طويل ويبشر بالخير بعد طول انتظار وصبر طويل .. وصدرت توجيهات

القيادة العامة للقوات المسلحة لأجهزة القيادة والرئاسات المختلفة للتجهيز والاستعداد للعمليات الحربية لتحرير الأرض..

كان واجبنا القيام بدور رئيسي ومهام صعبة في تجهيز مسرح العمليات العسكرية المقبلة في الأرض المحتلة لجميع القوات .. سواء كانت القوات التي ستقوم بالعبور براً عبر قناة السويس ...أو العبور بحراً عبر خليج السويس أو الوحدات الخاصة التي سيتم إبرارها جواً بالطائرات الهليوكوبتر إلي مواقع محددة خلف خطوط القوات الإسرائيلية بسيناء .. وذلك بغرض قطع خطوط الإمداد القادمة من العمق ومهاجمة المناطق الإدارية ومراكز القيادة الخلفية لشل حركتها وإحداث الذعر والفزع والإرباك بين صفوفها ..

كان من أحد هذه المهام القيام بأعمال تشوينات لمواد إعاشة – تعيينات – مياه ومواد طبية وذخائر وألغام في مناطق في عمق سيناء .. ستكون مسرحاً لعمليات القوات الخاصة التي سيتم إبرارها جواً بواسطة الطائرات الهيلوكبتر للعمل خلف خطوط القوات الإسرائيلية ..

وكان جنوب سيناء يعتبر مسرحاً رئيسياً لعمليات القوات الخاصة المصرية لتنفيذ هذه المهام، لذا فقد تم التفكير فى ضرورة استدعاء ٢٦٠ على وجه السرعة للتنسيق معه وتلقينه بخطة ستساعد كثيراً فى تنفيذ عملية التشوينات فى هذه المنطقة رغم أن هذه المنطقة تعتبر خارج نطاق عمله. أما أبو خالد فقد اعتبر أن هذه هى الفرصة المناسبة لتنفيذ ما كان مقرراً من البداية وهو مفاتحة الشيخ سويلم فى التعاون وتنفيذ مهام لنا بالداخل لأن دوره سيكون رئيسى وحيوى فى تنفيذها لأن هذه المناطق له فيها عزوة كبيرة وسيطرة بحكم وضعه كشيخ معين من قبل السلطات الإسرائيلية وذلك بعدما تأكد من المبادرات المشجعة التى أظهرت موقفه فى التغطية على ٢٦٠

ومجموعته بدهاء بالداخل مع مواصلة العلاقة الجيدة التي تربطه بالسلطات الإسرائيلية والعمل على تحقيق الاستفادة من خلالها.

ولذلك فقد قام الرائد بإرسال برقية استدعاء لـ٢٦٠ الذي انزعج بشدة لخوفه من عدم تمكنه من المشاركة مع زملائه في معركة التحرير الذي كان بحسه الفطري يشعر بقرب وقوعها .. وتم عمل الترتيبات اللازمة لإعادته والتقاطه من الشاطئ الشرقي لقناة السويس.. ولكنه عند وصوله لم يجد أبو خالد في انتظاره علي الشاطئ الغربي للقناة كما كانت عادته في كل مرة نظراً لارتباطه بمهام كبيرة أخري ففضل قيام أحد مساعديه لاستقباله وإحضاره إلي القاهرة فوراً.. وظل يونس صامتاً طول الطريق إلى القاهرة وهو يحاول تحليل هذا الموقف الغامض لهذا الاستدعاء.

ولم تتفرج أساريره إلاّ عندما وصلت السيارة إلي داخل المبني الذي يعرفه جيداً .. ووجد الرائد أبو خالد واقفاً في انتظاره .. فاندفع تجاهه في شوق وحرارة، ثم اصطحبه الرائد إلي الداخل وجلسا متقاربين علي أريكة بالمكتب اعتادا الجلوس عليها .. وبدأ في الاستفسار منه عن أحوال وأوضاع عناصر الشبكة للاطمئنان على سير العمل وسلامته. ثم بادره أبو خالد بقوله مداعباً : أما أنت فقد أخذت قسطاً من النوم في رحلة العودة من الإسماعيلية إلي هنا .. وأما أنا فلم أنم حتي الآن فلابد أن تذهب للاطمئنان علي زوجتك وابنك وآخذ أنا قسطاً من الراحة وسنتقابل ثانية هنا الساعة الخامسة مساءاً ..

رغم القلق الشديد الذي كان يشعر به يونس في داخله من هذا الاستدعاء المفاجئ فقد كان يود أن يعرف من الرائد تفسيراً لذلك ولا يريد أي راحة .. وكان أبو خالد أيضاً يقرأ نظراته ويعرف ما بداخله.. ولكنه كان يريد أن يجلس معه وهو صافي الذهن فكان لابد له من أخذ قسط من الراحة بعد هذه الرحلة الشاقة.

تقابل الرجلان وكان يونس مازال يعانى من حالة القلق التى كانت تعتريه وبادره بالاستفسار عن هذا الاستدعاء، هنا ضحك الرائد فقد كان يقرأ ما بداخله مثل كتاب مفتوح أمامه وطمأنه وقال له بلهجة حب : إننا قمنا باستدعائك لاستكمال أعمال ومهام سيكون لك دور رئيسي فيها بإذن الله، عندئذ ارتاح يونس وتنفس الصعداء وطلب وعداً منه بأن يكون مع مجموعته ويواصل الكفاح معهم حتي النصر أو الشهادة فوعده الرائد بذلك ..

ثم تطرق الحديث عن الشيخ سويلم زوج شقيقته وطلب أبوخالد منه الإدلاء بالتفاصيل الدقيقة عن نشاطه وأعماله وخلافه .. ثم بادره قائلاً : إننا نتابعه ونتابع نشاطه عن كثب وأنت تذكر أن إحدى مهامك في المأمورية الأولي كانت مفاتحته في التعاون معنا لأن موقفه يساعدنا في تنفيذ بعض المهام لنا بالداخل ... والآن قد حانت الساعة فلابد أن يضع يده معنا لأننا نري أنه يمكن أن يفيد في تنفيذ مهام لنا في جنوب سيناء..

ثم أخذ يشرح له المهمة المطلوب تنفيذها .. وبعد أن انتهي أبو خالد من كلامه سرح يونس قليلاً ببصره من خلال النافذة الزجاجية التي أمامه ثم التفت إليه وقال : "فعلاً لقد كان مهماً جداً أن أحضر لمقابلتك" وبعد هذه الجلسة الطويلة والتي تم الاتفاق علي وجهات النظر فيها. بدأ علي الفور في دراسة عملية التشوينات وأماكن دفعها وطريقة استلامها وخلافه .. وذلك في المنطقة التي سيقوم بتكليف الشيخ سويلم بعمل هذه التشوينات فيها، وأخذ يؤكد عليه أهمية حسن تلقينه بها التلقين السليم حتي لا تحدث أي مفاجآت واستمرت عملية التلقين بعض الوقت وركزت علي حسن اختيار مناطق التشوينات ودقة تحديدها حتي لا تحدث أي مفاجآت..

عندما تأكد الرائد من حسن استيعاب يونس تماماً للمهمة طلب منه العودة إلي منزله لقضاء أجازة قصيرة لمدة ٢٤ ساعة يقضيها مع زوجته وابنه لحين تجهيز مأمورية دفعه للداخل مرة أخري لأن وجوده بالداخل

في هذه الفترة مهم جداً وأن أي تأخير ليس في صالحه ولا صالح الشبكة.. وهنا رد عليه يونس : أنا يافندم لست في حاجة لأي راحة .. يمكنني أن أبدأ العمل الآن .. فقال الرائد: إن لبدنك عليك حقاً.. فرد عليه: وان لمصر علينا حقوقاً كثيرة فبلدي أولاً .. وهنا ربت أبو خالد علي كتفه بحنان وقال .. هذا هو عهدي بك ولكن اطمئن .. وكل شئ سوف يسير علي ما يرام ..

تمت إعادة دفع يونس إلي منطقته بالداخل مرة أخري في أمان .. ولم يمض أسبوع حتي وصلت منه رسالة لاسلكية قصيرة ولكنها زاخرة بالمعاني الفياضة والمشاعر النبيلة وتظهر المعدن الوطني الأصيل للإنسان البدوي فقد كانت هذه البرقية تقول أن "الشيخ مستعد للقيام بأي مهام يكلف بها مهما كلفه الأمر .. والله أكبر ".

كان لهذه البرقية القصيرة وقع جميل وتم الرد عليه بكل التمنيات لهم بالتوفيق وأن هذا هو المتوقع .. وتم حثهم علي سرعة إنجاز مهمة التشوين في الموعد المحدد لها مع الإفادة بتمام عن كل مرحلة . وبدأ العمل في تنفيذ عملية التشوين بهمة ونشاط وكفاءة عالية وكانت عملية سباق مع الزمن .. وكانت تقابل أفراد المجموعات المكلفة بتنفيذ عمليات التشوين بعض المواقف العصيبة والمخاطر الجسيمة ..

لكن بفضل الله تعالي والتخطيط السليم كان يتم التغلب عليها.. ولولا الصبر والإيمان بالله والوطن وكفاءة هؤلاء الإبطال القائمين بالمهمة لتوقف العمل وتعطل تنفيذ المهمة نتيجة لزيادة نشاط دوريات وأجهزة استطلاع القوات الإسرائيلية علي طول الجبهة .. وذلك لمواجهة التصعيد الذي كانت تقوم به القوات المسلحة المصرية بقصف المواقع الإسرائيلية علي طول المواجهة بالمدفعية .. وعمليات الإغارة الليلية والكمائن وخطف الأسري وأعمال القناصة . وزيادة نشاط أعمالنا التي كانت تتم ضد أهداف حيوية

ومواقع حساسة للقوات الإسرائيلية في عمق سيناء .. مرت أيام فصل الربيع سريعة وبدأ الصيف وبدأت درجة الحرارة ترتفع وحرارة العمل أيضاً في الارتفاع وفي الموعد المحدد من شهر يونيو تم التأكيد علي تمام تنفيذ التشوينات المطلوبة في الأماكن المحددة ..

الله أكبر وبـــدأ الطوفان

واصلت الشبكة تنفيذ مهامها بصورة منظمة في رصد القوات الإسرائيلية وتحركاتها علي المحور الأوسط والإبلاغ عن كافة أنواع النشاط لهذه القوات بواسطة برقيات لاسلكية وكذلك رسائل معلومات يتم إرسالها مع مندوبي الاتصال المعينين لهذا النشاط ..وقد بذل أفراد هذه الشبكة جهداً كبيراً وغير عادي في جمع هذه المعلومات والحصول عليها وإرسالها في التوقيتات السليمة لتحقيق الاستفادة الكاملة منها ..

وعلي الجانب الآخر في الإدارة بالقاهرة كانت تتم دراسة دقيقة لهذه التحركات والأنشطة المختلفة للقوات الإسرائيلية لمتابعة أي تغيير أو نشاط مفاجئ في تصرفات القيادة الإسرائيلية سواء كان نشاطاً مفاجئاً في تحركات أنواع معينة من الأسلحة والمعدات والقوات .. أو كان تصرفاً غير طبيعي لقوات العدو ضد الأهالي المقيمين ببعض المناطق بالداخل..

وكانت القوات الإسرائيلية تعامل الأهالي في المناطق المحتلة معاملة شاذة وقاسية في تلك الفترة حيث تقوم بترحيلهم من محلات إقامتهم إلي مناطق متفرقة أو تقوم بتحديد إقامتهم في محل إقامتهم، وكذلك تقوم بعمليات حظر التجوال والحد من تحركاتهم نتيجة زيادة نشاط التوتر والقلق علي جبهة القتال المصرية الإسرائيلية وتعرض أبناء سيناء لألوان من الإرهاب الفكري والعقلي والذل والعبودية في تلك الفترة الهامة.. ولكن بتحليل المعلومات الواردة من شبكة ٢٦٠ بالداخل يتبين أن تصرفات القيادة الإسرائيلية كانت تتصف بالروتين العادي .. ولم يظهر

شئ يسترعي الانتباه أو يثير القلق في نشاط القوات والوحدات الإسرائيلية العاملة في سيناء ..

فى صباح السبت السادس من أكتوبر ١٩٧٣ .. كانت شمس ذلك اليوم حارقة غاضبة علي أرض سيناء المحتلة وكانت القوات الإسرائيلية في راحة وهدوء في يوم عيد الغفران عند اليهود .. كان كل شئ ساكناً علي أرض سيناء .. وكان بعض الجنود قد حصلوا علي إجازات لقضاء العيد في إسرائيل والبعض الآخر يمارس أعماله الروتينية اليومية ..

أثناء تواجد الرائد أبو خالد في مكتبه بالإدارة رن جرس التليفون الداخلي الخاص بالمبني ووجد القائد يستدعيه لمكتبه لأمر هام .. ولما دخل عليه المكتب ونظر في عينيه وتطلع إلي قسمات وجهه .. فهم علي الفور سبب الاستدعاء .. وسرت نشوة سريعة في عروقه وللحظة شعر بأن الحلم بدأ يتحقق ولكن انتظر في صمت لتلقي التعليمات .. ان حماس القائد أيضاً وشوقه لبدء معركة التحرير ساعد أيضاً في إظهار هذه الآثار بوضوح علي قسمات وجهه في عفوية وتلقائية وتمشياً مع خطة الخداع الاستراتيجية التي كانت القوات المسلحة تقوم بها علي مستوي القيادة والوحدات الفرعية على جبهة القتال لخداع القيادة الإسرائيلية عن موعد الضربة الأولى، كانت التعليمات قد صدرت لكافة الشبكات العاملة معنا بالداخل للتقليل قدر المستطاع من تبادل الرسائل اللاسلكية والقيام بأي نشاط غير طبيعي في الاتصالات اللاسلكية . كذلك استقبال أي تعليمات تصدر إليهم منا عند الضرورة بواسطة موجات الإذاعة المصرية في شكل نداءات كودية متفق عليها..

كانت التعليمات التى أصدرها القائد اليه هى أن يتجه إلي الإذاعة للاتفاق علي مواعيد إذاعة الرسائل الكودية المتفق عليها .. احتوت قشعريرة سرت في دماء أبو خالد، نسمة باردة جددت نشاطه وجعلته يهرول إلي

مكتبه وأخذ يصوغ النداءات الكودية المتفق عليها لإذاعتها عبر موجات الإذاعة المصرية للشبكات ولعناصر المخابرات العاملة في سيناء لتمام الاستعداد وأخذ مواقعها وفتح مواصلاتها مع المحطات الرئيسية لتلقي تعليمات هامة.

في الموعد المحدد ..كان الرائد أبو خالد في مكتب مدير الإذاعة الذي رحب به بحرارة وأخذ يتفرس في قسمات وجهه، لقد كان فرحاً مستبشراً بهذه الزيارة فقد كان حضور الرائد إليه في مبني الإذاعة في كل مرة له معني خاص .. فقد كان يعقبه حدث هام، وقدم له واجب الضيافة وكان يحاول أن يقرأ ما فى عينيه وما هو ظاهر علي قسمات وجهه ويحاور ويداور لعله يخرج بشيء يسعد قلبه .. فهو وطني أيضاً ويريد أن يشفي غليله ولكن السرية المطلقة التي كانت مفروضة علي كافة التصرفات بخصوص هذا الحدث لم تساعده بالخروج بأي معلومة منه.

اكتفي الرائد بتقديم مظروف مغلق إلي مدير الإذاعة وطلب منه التحفظ عليه بشخصه فقط في مكان سري للغاية ولا يتم فتحه إلاّ بمعرفته شخصياً في تمام الساعة الثانية ظهراً علي أن تتم إذاعة النداءات الكودية الموجودة بداخله علي موجات الإذاعة في المواعيد المحددة قرين كل نداء .. ثم يعاد إذاعتها كل خمس دقائق ولمدة ساعة.. ثم شكره الرائد وانصرف مغادراً مبني الإذاعة ..

كانت إحدى هذه النداءات تخص شبكة ٢٦٠ وكان الغرض منها هو التنبيه عليه وعلي مجموعته بالداخل بالاستعداد فوراً وفتح الجهاز اللاسلكي الخاص بهم مع المحطة الرئيسية وذلك لتلقي تعليمات هامة..

في تمام الساعة الثانية والربع تقريباً تمكن ٢٦٠ من تحقيق الاتصال مع المحطة الرئيسية بالقاهرة وأبلغ أنه من مكانه يسمع هدير قصف الطائرات المصرية للمواقع الإسرائيلية في منطقة أم خشيب .. وكذلك

يسمع أصوات قصف المدفعية المصرية علي طول الجبهة وكـان يـردد : الله أكبر ... الله أكبر ..

صدرت تعليمات فورية للشبكة ولجميع شبكات المخابرات الحربية العاملة في عمق سيناء باستمرار العمل ليلاً ونهاراً في رصد نشاط القوات الإسرائيلية ومراقبة تحركات العدو بمنطقة عملهم والإبلاغ أولاً بأول في حينه عن التحركات والنشاط علي محاور التقدم مع تنظيم خدمة المراقبة المستمرة بينهم طوال الأربع والعشرين ساعة يومياً حتى يتسنى لهم رصد أي نشاط أو تحركات والإبلاغ عنها في حينها ..

ولتحقيق السرعة في الإبلاغ تنبه عليهم بعدم الالتزام بقواعد التشفير وكذلك المواعيد التي كانت محددة سابقاً لتحقيق سرعة وتدفق الاتصالات والمعلومات .. وأن المحطة الرئيسية علي وضع الاستقبال المستمر طوال فترة الأربع والعشرين ساعة لتحقيق أي اتصال معها، انهالت الرسائل اللاسلكية التي تحمل معلومات قيمة عن تحركات القوات الإسرائيلية علي محاور التقدم علي الجبهة ومناطق التجمع الجديدة للقوات القادمة من داخل إسرائيل في اتجاه الجبهة لتدعيم القوات الإسرائيلية علي جبهة قناة السويس في صد الهجمات القوية للقوات المسلحة المصرية التي أصبحت تقف علي خط بارليف في هذه اللحظات وتتخذ مواقع للتقدم إلي داخل سيناء ..

وكان اليوم هو العاشر من رمضان وكان الجميع صائمين في جميع مراكز الإدارة ولكن هذا لم يمنعهم من مواصلة العمل بصورة أفضل مما لو كانوا مفطرين، كانت هذه البلاغات والبرقيات الواردة يتم تحويلها فوراً وأولاً بأول إلي المركز الرئيسي لعمليات القوات المسلحة، وكان لها الفضل الكبير في تحديد حجم تحركات القوات الإسرائيلية ومواقعها الجديدة .. وأماكن تجمع القوات القادمة من إسرائيل .. وبناء عليها يكون إصدار الأوامر الكاملة بمهاجمة هذه التجمعات بعد دراسة وتحليل الموقف ..بالإغارة عليها

وتحقيق المفاجأة الشاملة لهذه القوات سواء بواسطة طائرات القوات الجوية المصرية أو بوسائل مختلفة للهجوم .. وتحقيق خسائر جسيمة للعدو وانسحاب هذه القوات إلي الداخل تجر أذيال الهزيمة ..

وارتفعت في السماء أصوات المصريين : علي الجبهة وفي عمق سيناء وفي مدن وقري مصر من الإسكندرية حتى أسوان تردد في إيمان بشجاعة الجندي المصري .. بسم الله ، والله أكبر، بسم الله .. بسم الله، أذن وكبّر، بسم الله .. سينا يا سينا بسم الله .. أدينا عدينا بسم الله..

كانت أيام وليالي رمضان تمضي سريعة رغم ما كانت تحمله من معاناة ومشقة لجميع الأبطال المشاركين في هذه المعركة الكل لا يلوي علي شئ ولا يمنعهم عطش ولا جوع من تنفيذ المهام المكلفين بها .. ومن كان يسقط جريحاً كان يصرخ ليس من شدة الألم ولكن لأنه سيبتعد عن ساحة الشرف .. ومن كان يسقط شهيداً تري الابتسامة والرضا تملئان وجهه الملائكي لأنه سيلقي الله سبحانه وتعالي وهو شهيد في هذه الأيام المباركة .. وقد شارك الملايين من أبناء هذا الوطن إخوانهم وأبنائهم الموجودين في جبهة القتال هذا الشعور وكانوا يساعدونهم من خلفهم ويشدون من أزرهم والتطوع بعمل شئ لخدمة أبطال القتال من تبرع بالدماء أو تطوع في الهلال الأحمر للمساعدة في إسعاف الجرحي وعمليات التمريض بالوحدات الطبية المقامة علي الجبهة.. وكان هذا الشعب الأصيل يعطي الكثير بدون الانتظار لأي مقابل ..

كان هذا هو الوضع علي جبهة القتال والجبهة الداخلية .. وفي المقابل كان الوضع في سيناء ملتهباً للغاية فأهالي سيناء رغم وجودهم بداخل جبهة القتال وقوات العدو في تحركاتها المحمومه وسطهم لم ترهبهم .. بل قاموا برفع الإعلام المصرية علي ربوع سيناء .. ولم يرضخوا لأي تهديدات من السلطات الإسرائيلية لتحديد محال إقامتهم أو

حظر التجول بينهم .. وكانت أصوات الراديو المفتوح علي كافة الإذاعات في كل بيت وخيمة ودكان وفي الجبال والوديان تذيع البيانات والنشرات العسكرية وتنقل أنباء المعارك والقتال الدائر أولاً بأول ..

وكانت السعادة تغمر الوجوه ونشوة النصر تسيطر علي حركاتهم ونظراتهم والدعاء في كل صلاة بالنصر لأبطال قواتهم المسلحة .. وكانوا يستعجلون كل صبح جديد ليستقبلوا قواتهم الظافرة التي ستقوم بتحرير الأرض ..

كان العمل في شبكة ٢٦٠ لا يهدأ لحظة واحدة .. وقد تفاني الجميع فيها في أداء ما كان يتم تكليفهم به من مهام وخشية أن يصيبهم الإرهاق وينال منهم التعب نتيجة العمل المستمر ليل نهار صدرت لهم تعليماتنا بالإفطار لكي يستطيعوا مواجهة الأعباء والمهام الملقاة علي عاتقهم .. ولكنهم كانوا مصرين علي مواصلة الصيام .. ويعتبرون أنفسهم علي درجة المسئولية الملقاة علي عاتق زملائهم الجنود الموجودين علي جبهة القتال في القناة وسيناء ..

وقد استمرت الشبكة في القيام بالرصد الدقيق لكافة تحركات القوات الإسرائيلية علي الطريق الأوسط بسيناء وهو محور رئيسي للعمليات وكذلك علي طريق الكيلو ١٦١ الطريق الأوسط .. ورصد نشاط القوات الإسرائيلية في معسكراتها داخل منطقة عملهم ورصد نشاط طيران العدو بالمنطقة .. ويتم صياغتها في رسائل معلومات يتم إبلاغها لاسلكياً في الحال غبر الجهاز اللاسلكي إلي المحطة الرئيسية بالقاهرة.

كانت الشبكة تقوم كذلك بإبلاغ رسائل إخبارية عن نبض المواطنين بالداخل وفرحتهم باستقبالهم أخبار العبور وقرب تحرير الأرض واسترداد الأرض المغتصبة. وقد حققت الإدارة هنا في القاهرة استفادة كبيرة من هذه الأخبار بأن كانت تقوم بإذاعة رسائل عبر موجات

الإذاعات المصرية موجهة إلي المواطنين بالداخل تحثهم علي مواصلة الصمود والتصدي في مواجهة العدو الغاصب وعدم التعاون معه تحت أي ضغط أو إغراءات وعدم تصديق الإشاعات والدعايات المغرضة التي يبثها العدو في وسائل إعلامه المختلفة .. وقد كانت لها نتائج طيبة بين المواطنين الذين التفوا مرة أخري حول الإعلام المصري ..

البلاغات عبر الأثير .. تسبب التدمير

وفي فجر يوم جديد علي القوات المتحاربة في سيناء وردت برقية من الشبكة تفيد برصد تحرك وحدات مدرعة في اتجاه الجبهة علي المحور الأوسط .. وتم تحديد أعدادها وأنواعها وتسليحها وقدرت بلواء مدرع إسرائيلي وأبلغت فوراً إلي مركز عمليات القوات المسلحة .. وكان نتيجة لهذا البلاغ أن كانت بانتظاره إحدى وحدات الجيش الثاني التي كانت تتمركز علي الشاطئ الشرقي بعد عبورها القناة وقامت بعمل هجوم مضاد علي هذا اللواء المدرع وتطويقه واشتبكت معه في معارك ضارية قاتلة وتم تدمير بعض آلياته ومدرعاته ولاذ باقي جنوده بالفرار في الصحراء تاركين دباباتهم وآلياتهم .. واستسلم قائدهم علي الفور وكان يدعي "عساف ياجوري" وتم أسر أعداد كبيرة من جنوده ..

وقد تم سحب الدبابات والعربات نصف جنزير الخاصة بهذه القوة الإسرائيلية بواسطة الجنود المصريين وسحبها إلي الشاطئ الغربي للقناة في مكان تم إعداده لجمع المعدات التي خلفتها القوات الإسرائيلية عند فرارهم من أرض المعركة .. وكانت هذه المعدات جديدة تماماً ..

وقد أظهرت هذه المعركة الخاطفة للقيادة الإسرائيلية عن مدي صلابة الجندي المصري عند مواجهته وجهاً لوجه في معركة حقيقية مما دعاهم لإعادة حساباتهم بخلاف ما كان قد أشيع بواسطة أجهزتهم عن فرار الجنود المصريين أثناء معركة ١٩٦٧ عند مواجهتهم للقوات الإسرائيلية..

كانت رسائل الأخبار تتوالى من شبكة ٢٦٠ بصورة تدعو للإعجاب بنشاطهم الزائد وتفانيهم في تحقيق الهدف .. وفي يوم ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ أبلغت الشبكة عن تحركات لمدرعات وآليات وقطع مدفعية قادمة من بئر سبع، ثم تجمعت في منطقة تجمع منبسطة شرق جبل أم خشيب بوسط سيناء .. وكانت تقوم بإعادة تشكيلها .. وقامت الشبكة بإرسال برقية بذلك وقامت بتحديد موقع تواجد هذه القوة .. وبتحليل هذه المعلومات في مركز العمليات ظهر أنها مجموعة عمليات إسرائيلية أي ما يوازي فرقة مدرعة من القوات المصريه .. تقوم بإعادة تشكيلها فى الخلف بنية القيام بعمليات مضادة لقواتنا في البر الشرقى..

وطلبت القيادة تحديداً دقيقاً لموقع هذه القوات ومكان تمركزها للقيام بعمل عسكري ضدها في الحال .. وعلي الفور تم إبلاغ ٢٦٠ بضرورة تحديد دقيق لموقع هذه القوات وأن يتخذ موقعاً مناسباً يمكنه منه توجيه طائرات القوات الجوية المصرية لتقوم بقصفها..

وبعد أن قام بتنفيذ التعليمات قامت الطائرات المصرية بالإغارة علي الموقع الذي كانت تتمركز فيه قوات مجموعة العمليات الإسرائيلية ومفاجأتها وقصفها بدقة متناهية .. وقد ساعد ٢٦٠ كثيراً في توجيه الطائرات ليمكنها من القيام بقصف دقيق لمواقع هذه القوات .. وقد أحدثت هذه القصفة الجوية خسائر جسيمة لهذه القوات التي كانت مكشوفة علي سطح الأرض ولم تتخذ لها مواقع أو تحصينات للاختباء فيها مما اضطرها إلي الانسحاب بسرعة إلي داخل إسرائيل تجر أشلائها الممزقة بعد تدمير أغلب معداتها العسكرية وقتل عدد كبير من جنودها ..

وفي يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ أبلغت المحطة عن رصد لتحركات أعداد من الدبابات قادمة من العريش علي طريق العريش الكيلو ١٦١ الطريق الأوسط في اتجاه جبهة قناة السويس وأبلغ ٢٦٠ بأن هذا النوع من الدبابات

الجديدة غير معروفه له لأنه لم يكن قد درسه من قبل ضمن تدريبه علي تمييز أسلحة ومعدات العدو .. وتم إبلاغه في الحال بضرورة إعطاء وصف كامل ودقيق لهذا النوع من الدبابات وبيان مقاسات للطول والارتفاع وطول المدفع وغير ذلك حتي يمكن التعرف علي نوعها .. وفي الحال قام ٢٦٠ بالإبلاغ عن كافة المواصفات التي طلبت منه فتبين أنها دبابات أمريكية الصنع ومن أحدث الدبابات التي دخلت الخدمة بالجيش الأمريكي وأن هذه الدبابات قد تم إنزالها من إحدى الحاملات الأمريكية المتواجدة في البحر المتوسط أمام ساحل مدينة العريش !!

أُبلغ هذا الخبر إلي القائد الأعلى للقوات المسلحة بالمركز الرئيسي لعمليات القوات المسلحة وقد ذكره في خطابه أمام مجلس الشعب وأعلن فيه أن أمريكا قد دخلت الحرب مع إسرائيل وأننا نحارب الآن أمريكا وليست إسرائيل وحدها ..

في جنوب سيناء كانت تتم ملحمة بطولات أخري لا تقل ضراوتها وقسوتها عما يتم علي باقي جبهات القتال .. فقد كانت هناك مجموعات من القوات الخاصة التي تم إبرارها بطائرات الهيلوكبيتر للعمل خلف خطوط العدو لقطع خطوط مواصلاته وإرباك قيادته .. تقوم بتنفيذ عملياتها علي درجة كبيرة من الفدائية .. ولقد نجحت هذه العمليات في تحقيق الهدف المخطط له فكانت تقوم بقطع خطوط مواصلات العدو والقيام بعمليات تعرضية للوحدات المتحركة علي الطرق الفرعية وإحداث خسائر جسيمة بها والإغارة الليلية علي المواقع المنفصلة وعمل كمائن ليلية مما تسبب عنه إحداث ذعر في صفوف القوات الإسرائيلية وإرباك قيادة عملياته العسكرية وتشتيت تركيزها علي جبهة القتال بإشغالها بعمليات في جنوب سيناء ..

وأثناء تنفيذ هذه المجموعات لمهامها فى هذه المنطقة، اعترضتهم بعض المشاكل فى تحقيق الاتصال اللاسلكى بقيادتهم وكذلك الإعاشة فى هذه المناطق الوعرة، فقمنا بإصدار تعليمات ليونس باصطحاب زوج شقيقته الشيخ والتوجه فوراً إلى أماكن هذه المجموعات فى الجنوب والعمل على حل كافة المشاكل التى تعترضهم. وبفضل التدريب الجيد الذى كان قد حصل عليه فى التغلب على أى مشاكل تعترضه فى الاتصالات اللاسلكية فقد قام بتقديم يد العون لهم وتم تحقيق الاتصال مع قيادتهم.

ولقد قام الشيخ بمعاونة من أفراد قبيلته بتجميع هذه المجموعات وإيوائها فى أماكن آمنة بعد أن طالت مدة تواجدهم بالداخل وكانوا يقومون بتحديد أماكن وحدات القوات الإسرائيلية بالمنطقة، ثم يقومون بنقل هذه المجموعات إلى أماكن حاكمة من خلال طرق غير مأهولة للهجوم علي وحدات القوات الإسرائيلية ومفاجئتها وتحقيق خسائر كبيرة فيها. كذلك كانوا يقومون بإمداد هذه المجموعات بالطعام والمياه حتى أن النساء كن مكلفات بتجهيز الوجبات من الخبز الطازج والطعام لهذه المجموعات حتى أنه بعد عودتهم من الداخل كانوا يشيدون بما كان يتم معهم من كرم الضيافة وحسن المعاملة التى كانوا يلقونها من أهالى هذه القبائل بالداخل، وأن ما كان يقدم لهم لا يقل عما كان يقدم لهم فى منازلهم. كانت هذه هى روح التلاحم بين الشعب فى سيناء وقواته المسلحة. الكل جنباً إلى جنب يجاهد لتحرير الأرض المقدسة.

صدرت التعليمات من القيادة العامة بسرعة سحب هذه المجموعات من القوات الخاصة من الداخل، وكانت هذه القوة تتكون من كتيبة من القوات الخاصة وعدد ١٨ طيار ملاح جوى من أطقم الطائرات الهليوكوبتر التى تحطمت خلال عمليات الإبرار فوق هذه المناطق. لذلك فقد قمنا بعمل خطة لإخلاء هذه القوات من الداخل بطريقة سرية ومأمونة لتجنيبها الدخول فى معارك مع القوات الإسرائيلية بالداخل وحدوث أى

خسائر بين أفرادها فى طريق العودة، فقد كانت هذه الخطة تعتمد أساساً فى تنفيذها على الشيخ سويلم واستغلال كفائته وحسن تقديره للأمور، وذلك بتحريك هذه القوات فى مجموعات مستخدماً طرقاً مختلفة غير مطروقة لتقليل تعرضهم للخطر وإشراك أدلاء خبراء بدروب ومسالك هذه المناطق مع كل مجموعة للوصول إلى جبل الراحة فى مكان تجمع مواجه لقوات بدر من الجيش الثالث المتواجدة فى منطقة تسمى عيون موسى على الضفة الشرقية، وصدرت للشيخ تعليماتنا بالبدء فى تنفيذ انسحاب هذه القوة تحت إشرافه.

على الفور قام الشيخ بنفسه بنقل بعض فصائل هذه الكتيبة بكامل أسلحتهم داخل سيارات نقل كبيرة مختبئين في الصندوق الخلفي للسيارة المغطاة بقطع من أخشاب الأشجار وبعض الحطب ومتناثر فوقها بعض صناديق المياه الغازية الفارغة .. وعندما تعترضهم نقطة تفتيش علي الطريق يتصدي لهم الشيخ بحكم معرفتهم به وعلاقته معهم ويتبادل الأحاديث الودية معهم .. ثم يقوم بعض الجنود الإسرائيليين بالصعود علي السيارة لتفتيشها باستخدام سونكي البندقية وغرزه في عدة مناطق بها للتأكد من عدم وجود أشياء مخالفة في الحمولة .. وغير وارد فى أذهانهم علي الإطلاق وجود جنود مدججين بالأسلحة مختبئين فى داخل هذه الحمولة.

أثناء تقدم هذه القوة باتجاه عيون موسي كانت وحدات الاستطلاع الإلكتروني للقوات المسلحة علي الجبهة تقوم برصد نداءات استغاثة وفزع تصدر من مواقع وكمائن إسرائيلية تقع علي طريق تقدم هذه القوة تطلب من رئاستها سرعة التدعيم والتصرف حيال هذه القوات المتقدمة.. وكانت الرئاسات ترد عليها مشدَّداً بعدم التعرض لها أو القيام بأي تصرف يؤدي إلي لفت أنظارها .. مع مراقبة هذه القوات من بعد وفي حذر !! والإبلاغ أولاً بأول بالموقف !!

وصلت هذه القوات بحفظ الله ورعايته إلي المكان المحدد بجبل الراحة تحت جنح الظلام واتخذت مواقعها .. وعند ظهور أول ضوء للفجر تقدم أحد الأدلاء المرافقين لهذه القوه في اتجاه القوات المصرية رافعاً سلاحه إلي أعلي مثبتاً عليه عمامته البيضاء وملوحاً به علامة الاستسلام فوجد قائد قوات بدر بالشرق واقفاً بانتظاره علي الخط الأمامي ورحب به ترحيباً شديداً .. وأعطي الإشارة المتفق عليها مع قائد هذه القوة فاندفع الرجال في اتجاه إخوانهم المرابطين علي الجبهة وكذلك اندفع رجال بدر في اتجاههم وتبادلوا العناق والترحيب الحار والتهنئة بالنصر .. في مشهد رائع يعجز القلم عن إعطاءه حقه من الوصف الدقيق والمشاعر الجياشة والفخر.

كان وصول هذه القوة في توقيت دقيق فقد نجحت قوة للعدو في التسلل إلي الشاطئ الغربي للقناة من خلال ثغرة بين الجيش الثاني والجيش الثالث بغرض تطويق الجيشين الموجودين علي الشاطئ الشرقي للقناة . والتقدم إلي كل من الإسماعيلية والسويس .. لذا فقد قامت القيادة العامة بسرعة دفع هذه القوة العائدة من القوات الخاصة إلي البر الغربي وتكليفها بمهام قتال ضد القوات الإسرائيلية المتقدمة في غرب القناة في اتجاه السويس لوقف تقدمها وإحداث أكبر الخسائر فيها .. وقد أبلت هذه القوة بلاءً حسناً ونجحت في مفاجأة القوات الإسرائيلية المتقدمة وأحدثت بها خسائر جسيمة .. وقامت بصد الهجوم وتعطيل تقدمها حتى وصلت إليها باقي قوات التدعيم ..

احتدمت المعارك بشراسة علي الضفة الغربية لقناة السويس بين وحدات القوات المصرية التي تدافع بقوة لوقف تقدم أمواج القوات الإسرائيلية التي نجحت في استغلال التسلل من خلال هذه الثغرة .. وقامت بتعزيز قواتها بالبر الغربي للقناة بإبرارها براً وجواً بالطائرات الهليوكوبتر والدبابات. وكلما كانت تنجح

القوات المصرية في صد موجة من هجوم للقوات الإسرائيلية تتدفع إليها موجات أخري.

أصبحت هذه المناطق كالجحيم المستعر .. فاشتعلت الأراضي الزراعية بالنيران التي كانت تلتهم الحدائق والبساتين والحقول التي كانت تشتهر بها هذه المناطق .. وصار الدمار يشمل كافة البيوت ومساكن الأهالي المقيمين بها .. ورائحة الموت تنبعث من كل شبر .. وأصوات انفجارات القنابل والمدفعية وأصوات الطلقات من جميع أنواع الأسلحة تسمع طوال النهار والليل .. وسطر الأبطال بدمائهم وأرواحهم أروع ملاحم التضحية والفداء للدفاع عن الأرض وقد شاركهم في ذلك الأهالي المدنيون من سكانها ولكن للأسف الشديد نجحت القوات الإسرائيلية فى التقدم إلي مدينة السويس ..

حصـــار مدينة السويس

وصلت القوات الإسرائيلية إلي مشارف مدينة السويس وقامت بإعادة تشكليها بغرض اقتحام المدينة واحتلالها وذلك لعمل ضجة إعلامية كعادة الإعلام الإسرائيلي لتغطية الهزيمة المنكرة التي منيت بها قواتهم علي أرض سيناء المصرية والقضاء علي أسطورة الجيش الإسرائيلي الذى لا يقهر .. وأسطورة الأذرع الطويلة .. وأن مصر وقواتها المسلحة لن تقوم لها قائمة.. إلي غير ذلك لبث روح الوهن وإحباط العزيمة لقواتنا وشعبنا ..

بدأت القوات الإسرائيلية بقصف مركز لمدينة السويس .. ولم ينج من هذا القصف بيت أو دكان وذلك بغرض إحداث الرعب والفزع بين من تبقي من الأهالي العزل .. وإجبارهم علي الفرار وإخلاء المدينة فيمكنهم من الدخول إليها بدون مقاومة .. هذا ما كانت تتصوره القيادة الإسرائيلية، ثم بدأت المدرعات الإسرائيلية في التقدم إلي المدينة وعندما وصلت إلي مشارف حي الأربعين وهو حي شعبي من الأحياء الرئيسية

للمدينة فوجئت هذه القوات بوابل من النيران ينهمر عليها كالجحيم منطلقاً من جميع أنواع الأسلحة المضادة للدبابات والأفراد والقنابل اليدوية وقنابل المولوتوف الحارقة التي قام الأهالي بتصنيعها بمجهوداتهم الفردية .. ولم تكن القيادة الإسرائيلية تفطن إلي وجود عناصر للمقاومه الشعبية بداخل المدينة كانت المخابرات الحربية قد قامت باختيارهم وتدريبهم علي أعلي مستوي من التدريب الراقي علي القتال داخل المدن والتعامل مع الدبابات والآليات والأفراد وخلافه بواسطة عناصر ذات خبرة وكفاءة من المخابرات الحربية وتم تسليحهم بأحدث أنواع الأسلحة وتدريبهم علي كيفية استخدامها بكفاءة تامة .. وكانت عناصر المقاومة الشعبية هذه من أهالي مدينة السويس المقيمين بها والعاملين بها .. وكانوا موجودين بالمدينة استعداداً لمثل هذا الموقف ..

وبعد الفشل الذريع الذي منيت به القوات المهاجمة انسحبت علي الفور من المدينة تاركة قتلاها ودباباتها المدمرة وعددا من الدبابات السليمة التي تركها الجنود مذعورين وفروا إلي خارج المدينة .. عندئذ تبين للقيادة الإسرائيلية استحالة دخول المدينة واحتلالها فقامت القوات الإسرائيلية بتطويق المدينة وحصارها من جميع الجهات براً وبحراً من جهة خليج السويس .. وأحكمت حصارها وقامت بإغلاق كافة المنافذ المؤدية إلي المدينة بالدوريات والكمائن البرية وازداد نشاط الدوريات البحرية الإسرائيلية في خليج السويس لإحكام عزلها .. وقامت السلطات الإسرائيلية بمنع دخول أي إمدادات طبية أو مياه أو مواد إعاشة لأهالي المدينة المحاصرين بالداخل وكذلك منعت خروج إي شئ من المدينة حتي الجرحي الذين تتطلب إصاباتهم الجسيمة العلاج في مستشفيات بها إمكانيات متقدمة لعلاج مثل هذه الحالات وذلك لإجبار الأهالي علي الاستسلام تحت وطأة هذا الحصار وتكسب بذلك نصراً دعائياً..

علي الجانب الآخر في سيناء كانت تتم ملحمة أخري من ملاحم البطولة والتضحية والفداء من المواطنين علي رمال سيناء فقد نشطت الأعمال التعرضية ضد قوات العدو بالداخل علي كافة المناطق سواء بواسطة القوات الخاصة التي تم إبرارها جواً للعمل خلف خطوط العدو وكان في مساعدتها عناصر من المخابرات الحربية المقيمين بالداخل . أو بواسطة عناصر الشبكات العاملة للمخابرات الحربية بالداخل .. ونتيجة لذلك نشطت السلطات الإسرائيلية في مقاومة هذه العمليات وتكثيف نشاطها في البحث والتحري لمعرفة القائمين بها وقامت بعمليات تمشيط واسعة لهذه المناطق والضغط علي المواطنين وتحديد إقامتهم وتشريدهم من محلات إقامتهم بحجة أن وجودهم مصدر خطر علي القوات الإسرائيلية .. والقيام بعمليات اعتقالات جماعية للمواطنين بتهمة الاشتباه في تعاونهم مع المخابرات المصرية وإيواء ومساعدة جنود مصريين يقومون بأعمال عسكرية ضد جيش الدفاع الإسرائيلي ..

وقد تعرض المواطنون لأسوأ أنواع التعذيب والقهر بصورة ليس لها مثيل في تاريخ الحروب، ولكنهم صبروا ليقينهم بأن هذه التصرفات اللاإنسانية التي تمارسها القوات الإسرائيلية وسلطاتها ضدهم تعكس دلالة واضحة علي ما كانوا يشعرون به من إحباط شديد وخيبة أمل ومرارة الهزيمة النكراء التي منيت بها قواتهم على طول جبهة القتال..

أبلغ ٢٦٠ برسائل لاسلكية عن الأوضاع في منطقته وما تقوم به السلطات الإسرائيلية من تصرفات سيئة للغاية ضد المواطنين بالداخل.. فتم التنبيه عليه بمغادرة المنطقة ومعه الجهاز اللاسلكي الحديث وترك الجهاز الآخر بالداخل في مكان عمل المحطة مع الشخص البديل له وهو المكلف بالعمل علي الجهاز في حالة عدم وجوده مع التنبيه عليهم بالانتشار في المنطقة والتخفي عن عيون العدو وعملائه مع المحافظة علي أمنهم وتقليل الاتصالات اللاسلكية إلاّ في حالات الضرورة، وتنبه علي ٢٦٠ بالتحرك بحذر للوصول إلي جبل الراحة وإعطاء تمام

بالوصول بواسطة الجهاز اللاسلكي الموجود معه تمهيداً للتفكير في الاستفادة من هذا الموقف وإدخاله إلى مدينة السويس المحاصرة وذلك من اتجاه الشرق من سيناء.

أصبح الموقف داخل مدينة السويس المحاصرة يتسم بالغموض وكان ذلك يشكل قلقاً للقيادة السياسية وكان لابد من الوقوف علي أحوال المواطنين فيها من النواحي التموينية والطبية ومعرفة ما وصلت إليه حالتهم المعنوية وغير ذلك مما يهم القيادة السياسية وذلك ليمكن اتخاذ القرار السليم المناسب لصالح المدينة والمواطنين من أبنائها . وقد قمنا بعدة محاولات للتسلل إلى المدينة المحاصرة من جهة الغرب ولكن لم يحالف التوفيق أي محاولة منها وذلك لإحكام سيطرة القوات الإسرائيلية على كافة مداخل المدينة من هذا الاتجاه وكذلك من اتجاه خليج السويس.

إدخال يونس فى المدينة المحاصرة

كان الموقف عصيباً والساعات تمر متثاقلة كأنها دهر في هذا الجو المشحون بالغموض والقلق والترقب .. وكانت ليلة الثلاثين من أكتوبر.. بعد أن انتهي الرائد أبو خالد من تناول وجبة طعام الإفطار السريعة مع بعض زملائه وهم وقوف في المكتب كالعادة منذ اندلاع العمليات العسكرية علي جبهة القتال حتي يتسني لهم سرعة ملاحقة الأحداث والوقوف علي تطورات الموقف ومواجهة الأحداث أولاً بأول..

وأثناء وجود الرائد في مركز العمليات وهو يتابع الموقف المحدد علي خرائط العمليات مع زملائه وقيادته ، تقدم منه المسئول عن الاتصالات اللاسلكية بالمحطة الرئيسية وأخبرة أن ٢٦٠ حقق الاتصال اللاسلكي من مكانه الجديد ومنتظر التعليمات .. علي الفور طلب الرائد أبو خالد منه أن يبلغه بأن الاتصال القادم بعد ساعة لتلقي تعليمات جديدة.

درس أبو خالد بسرعة الخريطة الخاصة بعمليات جنوب سيناء والمواقف المحددة بها لأوضاع قواتنا وقوات العدو .. ثم لمعت في رأسه الفكرة .. وقام بدراستها علي خريطة العمليات الموجودة أمامه بعناية فائقة .. بعد دراسة آخر موقف لأوضاع قوات الجيش الثالث بشرق القناة وموقف مواقع القوات الإسرائيلية في المقابل .. فالمندوب ٢٦٠ موجود حالياً في جبل الراحة وهو المكان الذي تنبه عليه بالوصول إليه بعد مغادرته لمنطقة عمله، علي المحور الأوسط .. وكان يرافقه مساعد له وهو دليل بري خبير بدروب هذه المنطقة. فإذا أمكن سحبه إلى قوات بدر فى الجيش الثالث المتمركزة علي الشاطئ الشرقي للقناة وتكليف الجيش الثالث بتجهيز مأمورية لدفعه إلي داخل مدينة السويس من جهة الشرق وبذلك يمكنه العمل وتحقيق الاتصال اللاسلكي من داخل المدينة بواسطة الجهاز اللاسلكي الحديث الموجود معه.

في واقع الأمر كان السبب في انقطاع الأخبار عن مدينة السويس بعد حصارها يرجع إلي أن مكتب المخابرات الحربية الموجود بالمدينة. وكان بحكم موقعه في منطقة متطرفة بالقرب من مدخل المدينة وكان مرصوداً بواسطة القيادة الإسرائيلية علي اعتبار أنه هدف حيوي من الأهداف الحيوية الموجودة بالمدينة .. لذا فقد قامت القوات الإسرائيلية بقصفه قصفاً مركزاً بواسطة المدفعية والدبابات وتم إلحاق التدمير الشامل به .. واستشهد بعض الأفراد وتمكن الآخرون من الانسحاب إلي داخل المدينة والانضمام إلي قوات الدفاع الشعبي بالمدينة للدفاع عنها .. ونتيجة لتدمير المعدات الفنية ومعدات الاتصال في هذه المعركة علاوة علي قيام العدو بقطع كافة خطوط الاتصالات التليفونية التي تربط المدينة بالقاهرة والضواحي .. وبذلك انقطعت الأخبار الواردة التي تحدد الموقف الواقعي الذي يحدث داخل المدينة..

قام الرائد أبو خالد علي الفور بعرض موقف ٢٦٠ وخطة دخوله إلي السويس لتحقيق الاتصال منها .. علي قائده الذي صدّق عليها علي الفور ..ثم توجه أبو خالد إلي مركز الاتصالات اللاسلكية، وفي الموعد المحدد قام ٢٦٠ بتحقيق الاتصال فوجد أبو خالد في انتظاره وأبلغه التعليمات بأن يتقدم مباشرة من مكانه للتحرك في اتجاه عيون موسي شرق السويس للوصول إلي مواقع القوات المصرية شرق القناة ثم يكمن في منطقة علي مسافة مناسبة من المواقع الأمامية لقواتنا .. وعندما يلج الصبح ويبدأ ظهور ضوء النهار عليه أن يتقدم هو وزميله رافعين أيديهما لأعلي وملوحين لهم بعمائمهم البيضاء ومقابلة قائد قوات بدر .. وعندما يصلان إليه يقوم ٢٦٠ بتحقيق الاتصال اللاسلكي من موقعه لأخذ تعليمات المرحلة التالية ..

تحرك الرجلان في همة ونشاط فوق الصخور المدببة .. يخترقان الوديان الضيقة التي تغوص فيها الأرجل يحملان معهما الجهاز اللاسلكي ومعداته وبعض ما تبقي معهما من مياه .. يستتران بهذه الظلمة الدامسة الحالكة .. ويحتميان بالصخور الوعرة في طريقهما للتخفي من أنظار العدو وكمائنه الليلية بهذه المنطقة . وكانا يقطعان هذه المسافات الموحشة والسكون المطبق يحيط بهما إلاً من أصوات صفير هواء الجبل القارس البرودة وأصوات حشرات وحيوانات الجبل المخيفة ليس لهما من حماية إلاً حماية الله عز وجل ورعايته للمؤمنين المجاهدين في سبيله .

لاقى يونس وزميله الدليل البرى الذى كان يرافقه فى رحلة العودة الكثير من الأهوال والمتاعب كتبها فى تقريره الذى قدمه للرائد بعد عودته حتى وصلا إلى موقع متقدم لقواتنا فى الشرق وقاما بتسليم أنفسهما لأفراد هذا الموقع وأبلغاهم بالتعليمات التى لديهما. أمر قائد هذا الموقع المتقدم بعض جنوده بتوصيلهما إلي موقع قائد قوات بدر بشرق القناة العميد أحمد بدوى (الذى أصبح وزيرا للدفاع) الذي استقبلهما

ورحب بهما بحرارة وبشاشة وجهه كعادته وهنأهما علي سلامة الوصول.. ثم أبلغاه بالتعليمات التي صدرت لهما..

قضي أبو خالد ومجموعة العاملين بالمركز هذه الليلة في قلق بالغ جالسين في مركز العمليات في ترقب وقلق وكانت المحطة اللاسلكية المخصصة لاستقبال اتصالات ٢٦٠ مفتوحة علي وضع الاستقبال بصفة مستمرة تحسباً لأي موقف فقد كانت كل الآمال معلقة علي نجاحه في الوصول إلي قواتنا حتي يتمكن من تحقيق الهدف المرسوم بإدخال مندوب علي درجة عالية من التدريب والكفاءة بجهاز لاسلكي وتحقيق الاتصال المطلوب من داخل المدينة المحاصرة ..

في الثامنة صباحاً حقق ٢٦٠ الاتصال مع المحطة الرئيسية .. وفي الحال تبدد القلق وظهرت علامات البشر والسرور علي كل الوجوه ودب النشاط والحيوية في هذا المكان الهادئ .. وكانت تسمع صيحات التهليل الخافتة بالحمد لله والشكر لله عز وجل .. صادرة بصدق من أعماق القلوب المؤمنة بتوفيقه لهم ..

بعد أن تحدث الرائد أبو خالد مع ٢٦٠ وهنأه علي سلامة الوصول واطمأن علي موقف زملائه بالداخل والوقوف علي الأحداث بالمنطقة، أخبره بأنه سيدخل الآن إلي مدينة السويس ومعه الجهاز اللاسلكي خاصته .. وسيتم تنسيق ذلك مع قائد قوات بدر في الشرق لتجهيز مأمورية لإدخاله إلي المدينة للعمل من داخلها مع مكتب المخابرات الحربية بالمدينة .. وعليه تقديم نفسه إلي قائد المكتب عند وصوله وتحقيق الاتصال من عنده وسيتم تزويده بالمهام الجديدة التي سيتم تكليفه بها، تفهم قائد قوات بدر للموقف وعلي الفور أمر بتجهيز مأمورية من أكفأ الرجال الذين قاموا باصطحاب ٢٦٠ وزميله وقاموا بإدخالهما إلي المدينة المحاصرة وتسليمهما إلي قائد المخابرات الحربية بالمدينة ..

وبهذه الخطة الذكية نجحنا فى إدخال يونس من جهة الشرق من سيناء إلى داخل مدينة السويس المحاصرة من جهة الغرب وحققنا اتصال عزيز وغال بالمدينة الباسلة.

انهمرت رسائل الأخبار التي تحتوي علي الموقف والأوضاع داخل المدينة الباسلة من خلال الجهاز اللاسلكي للمندوب .. وقد أكدت هذه الرسائل اللاسلكية تماسك موقف المواطنين وقوة صمودهم .. وتأكد للقيادة العامة والقيادة السياسية سلامة الأوضاع الداخلية والاطمئنان علي الموقف بالداخل ..

تم استغلال هذه المحطة اللاسلكية في مدينة السويس لخدمة جميع الأجهزة الشعبية والتنفيذية بالمحافظة .. وظل ٢٦٠ يعمل علي بث كافة الرسائل ومطالب جميع الأجهزة في مواعيد الاتصال التي تم تحديدها لتغطي الأربع والعشرين ساعة بالتناوب مع عامل لاسلكي من جنود مكتب المخابرات الحربية بالمدينة الباسلة الصامدة .. كذلك تم تخصيص قناتين من قنوات الاتصال بالمحطة لمدة ساعتين يومياً لخدمة العسكريين والمدنيين المقيمين بالمدينة للاتصال بأسرهم في أنحاء الجمهورية للاطمئنان عليهم كمثل كابينة تليفونات عمومية .. فكان ذلك له أثره الكبير في رفع الروح المعنوية للأهالي المقيمين داخل المدينة المحاصرة..

ساعدت التقارير والأخبار الواردة من كافة الأجهزة بالمحافظة علي توفير كافة مطالب واحتياجات المدينة من المواد التموينية والطبية والملابس والبطاطين اللازمة لفصل الشتاء .. واحتياجات مستشفي المدينة وكافة الطلبات العاجلة وتنظيم عمليات إمداد المدينة بما تحتاجه وإدخالها إلي المدينة بواسطة قوافل تحت إشراف الصليب الأحمر الدولي..

كان يتم تبادل هذه المطالب والاحتياجات بين الجانب المصري والجانب الإسرائيلي عن طريق قوات الأمم المتحدة المتواجدة بالمنطقة..

وبذلك شعرت القيادة الإسرائيلية أن مدينة السويس مازالت تحت السيطرة المصرية وأن عملية الحصار المفروضة عبارة عن مظاهرة دعائية لا أكثر ولا أقل .. ولا تشكل أي نوع من الضغوط علي قرارات القيادة المصرية .. كذلك كان لهذه المحطة داخل المدينة دور كبير في استمرار روتين العمل الطبيعي بين المحافظة وأجهزة الحكم المحلي وتبادل المطالب والتعليمات بينهما .. لصالح أهالي المدينة .. وشعورهم بالارتباط الكامل بوطنهم وقيادتهم .. ولم يشعروا بتاتاً بأى أثار لهذا الحصار المزعوم.

أما بخصوص رحلة عودة يونس حتى وصوله إلى قواتنا بالشرق، فكما اتبعت من قبل فسأترك كلماته التى ذكرها فى تقريره بعد عودته تعبر عن مدى ما كانا يعانيانه هو وزميله الدليل وتظهر أسمى آيات التضحية ونكرار الذات فى مواجهة هذه المواقف البالغة الخطورة بمفردهما وسط مواقع القوات الإسرائيلية. وكان يتلخص فيما يلى :

" عندما صدرت إلىَّ التعليمات بمغادرة المنطقة والتوجه إلى جبل الراحة فى الجنوب، قامت المجموعة باختيار دليل علـى دراية جيدة بالمنطقة لمرافقتى، وبدأنا السير ليلاً فى منطقة صحراوية مملوءة بالغرود الرملية وقطعنا حوالى ٢٥ كيلومتر سيراً على الأقدام، لأن هذه المنطقة كانت محرمة على الأهالي، وكنت أنا وزميلى نتبادل حمل الجهاز اللاسلكى والمعدات الأخرى التى كانت معنا، وكان السير فى هذه الكثبان الرملية الوعرة يحتاج إلى مجهود بدنى كبير جداً كاد أن يهلكنا، حتى وصلنا إلى منطقة مكشوفة، وفوجئنا بوجود عدد من سيارات العدو أمامنا وتقطع علينا الطريق، وكان لابد لنا من مواصلة السير مهما كلفنا الأمر، وذلك لأن العودة من حيث أتينا كانت تمثل خطراً بالغاً. وفى هذه الأثناء تذكرت كتاب الله سبحانه وتعالى الذى كنت قد تسلمته منك قبل أربع سنوات فى أول عملية قمت بها وأخرجته من جيبى ووضعته بينى وبين

جنود العدو ودعوت الله أن يجعل بيننا وبينهم سداً وحجاباً. ورغم أن الظلام كان حالكاً فإنه كان بمقدورهم رؤيتنا باستخدام أجهزة الرؤية الليلية. ولذلك قمنا بالالتفاف من حولهم من جهة الشرق لأننا لاحظنا أن كل اهتمامهم كان فى مراقبة جهة الغرب حيث توجد قواتنا. ووصلنا إلى نتوء فى جبل للاحتماء فيه ونحن لا نصدق ما حدث. وبعد استراحة قصيرة واصلنا السير حتى وصلنا إلى إحدى المغارات فجلسنا لأخذ قسط من الراحة ولتناول بعضاً من الطعام والشراب حيث أننا لم نتناول أى شيء منذ إثنى عشرة ساعةً. وما أن بدأنا فى إشعال النار لتجهيز طعامنا حتى سمعنا أصواتاً من فوق رأسنا فعرفنا أننا تحت موقع للعدو على قمة الجبل، فأطفأنا النار على الفور وجلسنا بلا حراك وبعد قليل سمعنا أصوات إنفجارات مرعبة كانت تدك الجبل دكاً ففررنا بأمتعتنا من المكان مذعورين لنستطلع ما يحدث، فوجدنا صواريخ آتية من إتجاه قواتنا فى الغرب تقوم بقصف موقع العدو الموجود بالجبل، فتفرقنا مهرولين خوفاً من أن نصاب من هذا القصف، وكنا نرى جنود العدو يفرون فى كل مكان يصرخون مذعورين وقد رأونا ولكنهم لم يلقوا إلينا بالاً لأنهم كانوا مشغولين بفرارهم من الموت. وبعد أن ابتعدنا عن تلك المنطقة، جلسنا لالتقاط أنفاسنا اللاهثة بعد هذا الرعب الذى لاقيناه وكان الليل قد انحسر وبدأ ضوء الصبح فى التسلل عبر الأفق فدلفنا إلى إحدى المغارات للاحتماء وتمضية اليوم بها. وعند الغروب بدأنا فى تسلق الجبل حيث لا يوجد طرق ممهدة، إنها عملية شاقة. نسير على حافة الجبل كمن يسير على حد آلة حادة وأن من تنزلق قدمه فلا نجاة له من حدة الصخور التى ستمزق جسده. كنا نلبس الجلابيب وليس معنا أى معدات تساعدنا على تسلق الجبال ولك أن تتخيل ما واجهناه من صعاب ومجهود خارق حتى تمكنا من صعود الجبل بمعداتنا كاملة. ثم تقابلنا مع شخصين يعرفهم الدليل وكان معهم جملين ليحملونا إلى حيث نريد. واستمرت رحلة العودة على هذه الوتيرة وكنا لا نستطيع استخدام الجملين فى الركوب بل كنا نستخدمهما فى حمل المعدات والأمتعة فقط

لأننا كنا نستخدم طرقاً صعبة غير مطروقة، ومناطق بها رمال ناعمة بيضاء ومناطق بها مرتفعات ومنخفضات ولذلك لا يتعين علينا أن نتعب الجملين اللذان هما أيضاً كانا قاب قوسين أو أدنى من الهلاك من الجوع والعطش لأننا نسلك طرقاً لا توجد بها مياه أو مراعى، وأخيراً وصلنا إلى مشارف جبل الراحة. وكان الوقت عصراً فى الجبل وبينما كنت نائماً وكنت واضعاً حجراً تحت رأسى كوسادة، سمعت زميلاى يقولون " الراجل راح " ومعناها مات. وكنت بين النوم واليقظة فنهضت بصعوبة لأستطلع من منا قد مات فصاحوا بى لا تتحرك، فاختلست نظرة حولى فوجدت أفعى من أفاعي الجبل ملفوفة فى وضع انقضاض عل الحجر الذى كنت أضع رأسى عليه، فتسمرت من شدة الذعر الذى انتابنى لهذا المنظر وفى لحظة خاطفة قام أحد زملائى بقصفها بحجر فقتلها لأنه كان لا يستطيع استخدام السلاح خوفاً من كشف مكاننا للعدو. ثم قام بقطعها نصفين بسكينته ووضع نصف يمين الطريق والآخر يسار الطريق فعرفت أن هذه تعويذة بدوية حتى يقينا الله مخاطر الطريق. تركنا الرجلين فى جبل الراحة وعادا أدراجهما واتخذنا مغارة فى الجبل للاحتماء بها وقمت بتحقيق الاتصال منها معلناً وصولى. كان هذا المكان مملوء بالحشرات والأفاعى والعقارب ولكن الحمد لله لم نمكث به طويلاً بعد أن صدرت لنا الأوامر بالتحرك فى اتجاه قواتنا شرق السويس ورغم أن زميلى الدليل كان يشكو من آثار عملية فتق قديم ولكن بسبب شدة ما عانيناه من مشاق فقد انفتح الجرح وأخذ ينزف وكان يتألم بشدة وكنت أتألم لآلامه، فقد كنا مكملين لبعضنا ومع ذلك تحاملنا على أنفسنا، وبالرغم من قصر المسافة الباقية فقد قطعناها فى ليلة كاملة لأننا كنا نتلصص أثناء سيرنا ونتصنت على الأصوات الصادرة من أفراد العدو المختبئين داخل الأشجار فى كمائن ونلتف من حولهم، وعندما اقتربنا من الخط الأمامى لقواتنا فى الشرق فى منطقة جبل المر، وترامى إلى أسماعنا صوت جنودنا البواسل اطمأنت أنفسنا، ومكثنا حتى ظهور ضوء النهار ثم نفذنا التعليمات حتى

وصلنا إلى قائد القوة وسلمنا أنفسنا إليه فرحب بنا هو ورجاله، وطلبنا منه شربة ماء ولاحظنا أنهم يعانون من قلة المياه، فاستفسرنا منهم عن السبب بالرغم من وجودهم بمنطقة بها بئر مياه تسمى بئر مر، فقالوا لنا بأن مياه البئر آسنة وعليها طبقة خضراء ذات رائحة كريهة، فقام زميلى وأخذ خوذة أحد الجنود وقام بنزح هذه الطبقة الراكدة على سطح البئر عدة مرات وذلك بمساعدة بعض الجنود، فتدفقت مياه عذبة واندفع الجنود إليها بفرح شديد وأخذوا يشربون ويملئون زمزمياتهم منها. وعرفنا بعد ذلك بأنه عندما فطن العدو إلى توفر مصدر للمياه العذبة لدى قواتنا وذلك نتيجة لقيام جنودنا بغسل ملابسهم ونشرِهَا أمام الملاجيء كنوع من التحدى للعدو الذى قام بعدة هجمات على رجالنا بهذا الموقع محاولا أن يستولى على هذا البئر لحرمان قواتنا منه ولكنه بفضل عزيمة هؤلاء الأبطال لم يتمكن من ذلك. وظلت هذه البئر مصدرا للمياه العذبة لقواتنا فى الشرق طوال مدة بقائهم فى هذه المنطقة".

حكايات من داخل الحصار

في أثناء حصار المدينة بواسطة القوات الإسرائيلية كان قد تم الاتفاق علي تبادل جثث الإسرائيليين الذين قتلوا داخل المدينة أثناء فرار القوات الإسرائيلية منها بكميات من الدقيق وذلك بإشراف الأمم المتحدة.. وأثناء قيام بعض الأهالي بتفريغ عربة دقيق طلب أحد الجنود الإسرائيليين المرافقين لهذه العربات من أحد الشبان كبريت ليشعل سيجارة .. وعندما أعاد الجندي الإسرائيلي مشط الكبريت إلي هذا الشاب وجد به ورقة نقود فئة خمسة جنيهات ومكتوب داخلها – أي داخل مشط الكبريت – موعد لمقابلته في مساء نفس اليوم عند نقطة علي مشارف المدينة ..

وقد قام هذا الشاب بإبلاغ قائد مكتب المخابرات بالسويس بما تم معه .. فأرسل برقية لاسلكية مشفرة عن طريق ٢٦٠ بهذا الموقف ويطلب إبداء

الرأي والتوجيهات ..بعد دراسة جيدة لهذا الموقف من كافة الجوانب وللوقوف علي نوعية الاحتياجات المطلوبة للمخابرات الإسرائيلية من داخل المدينة تم إرسال التوجيهات لاسلكياً إلى قائد المكتب بالسماح للشاب بالتمشى مع المخابرات الإسرائيلية تحت سيطرة المكتب ..

حسب الموعد المحدد قام قائد المكتب بتوصيل هذا الشاب علي دراجة حتى مكان بالقرب من منطقة المقابلة وتركه وانتظر في مكان خفي حتى يعود .. وذهب الشاب لإتمام المقابلة .. ولما عاد أفاد بأن الذي قابله نفس الشخص الذى أعطاه النقود مع الكبريت ثم قاموا بنقله إلي خارج المدينة وقابله شخص آخر أخذ يسأله عن أسرته فقال لهم بأنه يتيم ويعيش مع جدته في مدينة السويس . فطلب منه هذا الشخص الإسرائيلي أن يعمل معهم .. وفي هذه المرة أعطوه أوراق لعب كوتشينة ومبلغ خمسة وسبعين جنيهاً مصرياً وقطع مخدرات (حشيش) وطلبوا منه توزيع هذه المخدرات وأوراق اللعب علي الجنود المصريين بالمدينة.. وطلبوا منه الحضور مرة أخري وحددوا له موعد مقابلة أخري.

قام قائد المكتب بإرسال برقية بما تم مع الشاب .. وقد تم إبلاغه ببرقية لاسلكية بالموافقة علي إجراء المقابلة الثانية .. ولما عاد هذا الشاب أفاد بأنهم طلبوا منه هذه المرة معلومات عن المحافظة ومكان مكتب المخابرات .. وماكينة الكهرباء والمياه .. وتم إرسال هذه المطالب للقاهرة لإبداء الرأي، وبعد دراستها تم إبلاغه لاسلكياً بالموافقة علي إعطاء معلومات صحيحة لهذه الأماكن .. لأن هذا يعتبر اختباراً من المخابرات الإسرائيلية لهذا الشاب نظراً لأن هذه المعلومات معروفة جيداً لديهم.

ثم قام الشاب بإعطائهم هذه المعلومات المطلوبة .. وفي هذه المرة طلبوا منه أن يستأذن من جدته في التغيب عنها لمدة يومين يريدون أن يدربوه علي التصوير الفوتوغرافي والإرسال اللاسلكي خلالهما، وتمت له الموافقة علي ذهابه إلي التدريب وتم إبلاغ قائد المكتب بالتوجيهات اللازمة للحفاظ علي سلامة الشاب وعاد الشاب بعد يومين وأفاد بأنهم قاموا بنقله هذه المرة إلي معسكر إسرائيلي يبعد عن السويس بحوالي كيلو متران .. وكانت توجد طائرة هليوكوبتر رابضة في أرض هذا المعسكر .. وما أن دخلت سيارتهم المعسكر حتي قاموا بنقله إلي داخل الطائرة التي انطلقت شرقاً فوق صحراء سيناء .. إلي داخل إسرائيل وهبط داخل أحد المعسكرات الإسرائيلية في بئر سبع .. وهناك أقام في مبني يتبع للمخابرات الإسرائيلية في بئر سبع .. وقد تم تدريبه علي كيفية التصوير الفوتوغرافي بطريقة سرية ..

بعد انتهاء مدة التدريب (اليومين) قاموا بإعطائه تي شيرت وبنطلون وحزام جلدي عادي لا يثير أي شبهات في شكله ولكن توجد به "توكة" جديدة وهذه التوكة مخبأ بداخلها بطريقة سرية كاميرا دقيقة تستخدم للتصوير .. وقد تم تدريبه علي كيفية استخدام هذه الكاميرا بطريقة سرية .. وكانت مطالبهم في هذه المرة أن يقوم بتصوير الأماكن التي يوجد بها معدات عسكرية وبعض الأماكن الحكومية ذات الصفة الحيوية . وقد قام ٢٦٠ بإرسال وصف دقيق لهذه الكاميرا وطريقة تثبيتها في الحزام والرقم المسلسل المطبوع عليها والجهة المصنعة لها ..

وكان لدقة تفاصيل هذه المعلومات أثر كبير في المساعدة في أن نتوصل إلي معرفة نوعية الكاميرا وأنها تعتبر من أحدث وأدق الأنواع المستخدمة في التصوير السري الدقيق .. وتم إرسال تعليمات إلي قائد

المكتب بإيقاف تعامل هذا الشاب فوراً مع المخابرات الإسرائيلية .. ومصادرة هذه الكاميرا لصالح المكتب .. علي أن يتم وضع ورقة أو رسالة في المكان الذي تم تحديده من جانب المخابرات الإسرائيلية لهذا الشاب لتسليم الفيلم الذي قام بتصويره .. يكون نصها كالآتي: " من المخابرات الحربية المصرية إلي المخابرات الإسرائيلية .. نشكركم علي هديتكم القيمة لنا .. وإلي اللقاء في المرات القادمة..' وأن يتم وضع هذا الشاب تحت المراقبة الدقيقة للمكتب للمحافظة علي سلامته.. تحسباً من قيام المخابرات الإسرائيلية بأي عملية ضده بعد اكتشافهم للخديعة التي قمنا بممارستها ضدهم من خلاله.. وقد أكد هذا العمل للمخابرات الإسرائيلية أن المدينة مازالت تحت السيطرة الكاملة للسلطات المصرية وأن المخابرات الحربية لها تواجد قوى داخل المدينة.

كان قائد مكتب المخابرات الحربية بالسويس أثناء الحصار قد أقام علاقة صداقة مع أحد ضباط قوات الطوارئ الدولية وذلك بحكم وجود صلات عمل بين المكتب وضباط قوات الأمم المتحدة .. وقيام هذا الضابط بالتردد علي مكتب المخابرات الحربية لأخذ المطالب والاحتياجات الخاصة بالمدينة والتنسيق مع الجانب الإسرائيلي بخصوصها .. في هذه الإثناء كان لابد من إرسال وثائق علي درجة كبيرة جداً من السرية والأهمية من القيادة إلي قوات بدر المحاصرة بالشرق .. وكانت الجهة الوحيدة المسموح لها بالدخول إلي المدينة فقط سيارات ضباط قوات الأمم المتحدة .

وفي إحدى الرسائل اللاسلكية التي كان يرسلها ٢٦٠ من داخل المدينة المحاصرة في ذلك الوقت وردت رسالة تفيد بأن ضابط قوات الطوارئ الدولية أبدى له رغبته في الحصول علي طبنجة ماركة حلوان وهي صناعة مصرية وذلك لما تتمتع به

من شهرة عالمية للدقة والجودة العالية في صناعتها، وكان لابد من استغلال هذا الموقف .. وعلي الفور تم إرسال تعليمات في رسالة كودية لاسلكية مشفرة إلي قائد المكتب بأن يقوم بإبلاغ ضابط قوات الطوارئ بأنه يمتلك طبنجة ماركة حلوان ولكنها موجودة في منزله بالقاهرة وأنه مستعد لإهدائها إليه .. وتم إعطاؤه عنوان مسكن في حي المعادي بالقاهرة علي أنه مسكنه .. وعند نزول الضابط إلي القاهرة عليه أن يمر عليه ليعطيه خطاباً إلي زوجته حتى تعطيه الطبنجة.

استوعب قائد المكتب ما تحتويه الرسالة اللاسلكية .. وفي اليوم التالي وردت رسالة لاسلكية من قائد المكتب بأن الضابط سعد كثيراً بهذه الهدية وأنه سيتوجه عصر اليوم إلي القاهرة .. وأنه سيتوجه إلي المنزل بالمعادي حوالي الساعة التاسعة مساءاً ومعه خطاب من قائد المكتب إلي زوجته لاستلام الطبنجة ..

في الموعد المحدد كان ضابط الأمم المتحدة يطرق باب المسكن المزعوم لقائد المكتب بالمعادي وقامت زوجته المزعومة بالترحيب به، فقام ضابط الأمم المتحدة بتقديم نفسه إليها بأنه قادم من قبل زوجها من السويس وقام بإعطائها الخطاب الخاص بزوجها .. ولما قرأته أخذت في تقديم واجب الضيافة له .. ثم استأذنت منه لإحضار الطبنجة.. ثم استأذنته في توصيل خطاب منها إليه لتطمئنه عليها فرحب طبعاً وطلبت منه الانتظار حتي تكتب هذا الخطاب ..

في هذه الأثناء كان هناك بعض الأفراد من الفنيين العاملين بالإدارة في انتظار وصول ضابط الأمم المتحدة .. وما إن وصل بسيارته قاموا بتنفيذ المهمة المكلفين بها وهي وضع هذه الوثائق

بطريقة خفية داخل الباب الأمامي الأيمن للسيارة، ولقد انتهزوا فرصة هدوء المنطقة لإنهاء المهمة بطريقة دقيقة وسريعة ولا تدعو لأي ارتياب في الفترة التي كانت الزوجة تكتب خطاباً لزوجها ..

تم إرسال برقية مشفرة إلي قائد المكتب تفيد بأن الضابط قام باستلام الطبنجة وأن وثائق هامة مخبأة في داخل الباب الأمامي الأيمن لسيارته مطلوب تسليمها علي وجه السرعة إلي قائد قوات بدر في الشرق. وصل ضابط الأمم المتحدة إلي مكتب المخابرات بالسويس واستضافه قائد المكتب بالداخل وسلمه الضابط الخطاب الذي أحضره له من زوجته بالمعادي وشكره علي هذه الطبنجة الهدية، في أثناء ذلك قام بعض الفنيين بالمكتب بفك الباب الأمامي الأيمن لسيارته وأخرجوا الوثائق من مخبئها وأعادوا الباب مره أخرى إلي وضعه الطبيعي. ولقد استخدمت هذه الطريقة عدة مرات في إدخال وثائق هامة إلي المدينة في السيارة الخاصة بضابط قوات الطوارئ.

فـــرحـة النصـــر

تحمل الأهالي أبطال هذه المدينة الباسلة قسوة الحصار بالصبر وقوة الصمود والتماسك .. ولقد ساعد علي ذلك السرعة في تلبية متطلباتهم واحتياجاتهم مما كان له الأثر الكبير في استمرار الحياة داخل المدينة بصورة منتظمة وطبيعية لم يعكر من صفوها أي أحداث.

وفي اليوم الحادي والثلاثون من يناير سنة ١٩٧٤ قامت القوات الإسرائيلية التي كانت مكلفة بحصار المدينة بالانسحاب ضمن خطة انسحاب كاملة للقوات الإسرائيلية التي كانت متواجدة بالضفة الغربية للقناة .. ولقد عمت الفرحة والسعادة الغامرة كافة أرجاء مدينة السويس وعادت الحياة إلى طبيعتها..

بعد وقت قصير تمت عمليات لتبادل الأسري مع الجانب الإسرائيلي ولقد أصرت إدارة المخابرات الحربية علي الإفراج عن جميع الأفراد المعتقلين داخل السجون الإسرائيلية من المتعاونين معها وتم استلامهم ضمن عمليات التبادل التي كانت تتم .. ولقد تمت لهم إجراءات المراسم الرسمية عند استقبالهم بكل الحفاوة والتكريم اللائق بما قدموه من تضحيات لوطنهم ولقواتهم المسلحة ..

في أول احتفال للقوات المسلحة بأعياد النصر .. قامت إدارة المخابرات الحربية بعمل احتفال مهيب حضرة وزير الدفاع وقادة الجيوش وأفرع القوات المسلحة وقد جمعت فيه مشايخ قبائل سيناء وجميع الأفراد الذين كان لهم دور في العمل معها .. ولقد تبودلت الخطب والكلمات والأشعار البدوية التي كانت تعبر عن دور أبناء سيناء وما قدموه من تضحيات وبسالة في خدمة عمليات القوات المسلحة داخل الأرض المحتلة علي أرض سيناء .. وفي نهاية الحفل تم تكريم لهؤلاء الأبطال بمنحهم الأنواط والنياشين العسكرية التي يستحقونها تعبيراً من القوات المسلحة لأبنائها المخلصين علي ما قدموه من تضحيات وفداء علي تراب هذا الوطن الغالي.

وعندما نودي علي اسم يونس صالح بين أسماء الأبطال العديدين الذين كان ينادي علي أسمائهم لاستلام الأوسمة التي يستحقونها تقدم إلي المنصة بخطاه الثابتة ورأسه الشامخ مبتسماً بتلك الابتسامة الهادئة فوجد وزير الدفاع واقفاً ماداً له يده لمصافحته ترتسم علي وجهه ابتسامة حب وتقدير وعرفان .. ثم قلده النوط الممنوح له تقديراً وعرفاناً من القوات المسلحة علي ما قدمه من عطاء ..

ولكن الوزير ظل يتفرس هذا الوجه الواقف قباله بإمعان وكأنه يحاول أن يتذكره .. ولكن في خضم هذه الأحداث والمشاغل لم يعرف أن هذا الشاب الذى يقف أمامه كان قد حضر إليه أثناء حصار السويس عندما كان قائداً لقوات بدر بشرق القناة وقد قام بتجهيز مأمورية عاجلة لدفعه إلي المدينة ليعمل من داخلها .

وفي نهاية الاحتفال أختلط الجميع .. الوزير والقادة بهؤلاء الأبطال في تظاهرة رائعة يجمعهم حبهم الكبير لمصر .. الوطن الكبير.. التي يرخص في سبيلها كل غال ونفيس .. وأحاطت المشاعر الفياضة بالغبطة والسعادة هذا الجمع وهم يتبادلون الذكريات والقفشات للمواقف الطريفة التي كانت تفرض نفسها علي واقع الإحداث ولكنهم لم ينسوا في خضم هذه السعادة الغامرة شهداءنا الذين سطروا بدمائهم الغالية ملاحم قصص البطولة والفداء .. فكانوا يقرؤون الفاتحة ترحماً علي أرواحهم الطاهرة .. فهنيئاً لهم بما قدموه.. وهنيئاً لهم بما وعدهم الله بالمنزلة العالية وجنة الخلد.

أما علي الجانب الآخر في سيناء فقد ظلت شبكة ٢٦٠ في القيام بنشاطها المعتاد بواسطة المندوب البطل الذي كان يونس قد قام بتدريبه وتجهيزه للعمل بديلاً له بعد سحبه واستمرت في إرسال الرسائل الإخبارية لاسلكياً عن أوضاع القوات الإسرائيلية الجديدة ونشاطها بالداخل وكذلك أوضاع الأهالي وما يتعلق بها من أحداث بصورة منتظمة وكفاءة عالية حتي تسلمت الإدارة المصرية مدينة العريش وتم رفع العلم المصري عليها مرفوع الهامة.

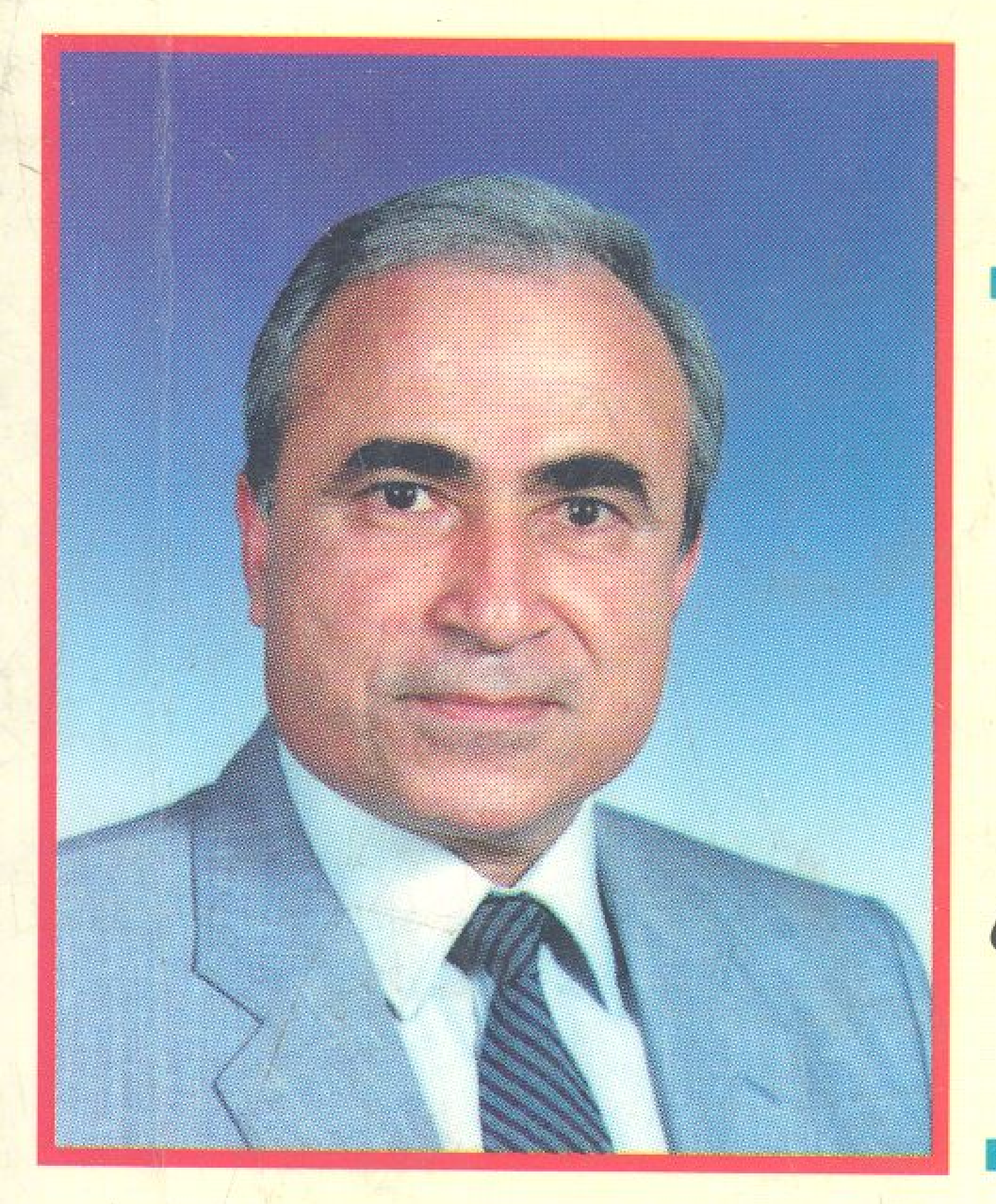
كلمـــة أخيـــــرة

وبذلك – عزيزى القارئ – تكون هذه الشبكة السرية التى عملت خلف خطوط العدو فى جمع المعلومات عن نشاط القوات الإسرائيلية وأوضاعها فى عمق سيناء، وتنفيذ أعمال قتالية فى العمق البعيد عن خط المواجهة الأمامى لجبهة قناة السويس وتسببت فى تكبيده خسائر جسيمة فى الأفراد والمعدات، قد حققت نجاحاً منقطع النظير فى تنفيذ الواجبات التى كُلفتَ بها .. ويرجع الفضل فى ذلك بعد توفيق الله سبحانه وتعالى إلى التخطيط الجيد والعمل الدؤوب والجهد الكبير المبذول لتوفير أكبر قدر من التأمين والسريه والخداع، ثم التنافس على التضحيه بالنفس لإنجاح هذه العمليات، وذلك فى منظومة رائعة من إنكار للذات والتلاحم بين كافة العناصر المنفذة لهذه العمليات.

كل هذه العوامل ساعدت على نجاح الشبكة وأستمرارها فى العمل خلف خطوط العدو زمناً قياسياً لم يسبق تحقيقة من قبل لأى أعمال من هذا القبيل فى تاريخ الحروب تحت ظروف بالغة القسوة والتعقيد، بلغت إحدى عشر سنه كاملة ، تحمل فيها أفراد الشبكة الكثير والكثير، ولم تتمكن المخابرات الأسرائيلية من الوصول إليهم على الرغم من محاولاتهم المستميته والمستمرة طوال هذه السنين وأعمال القمع وإرهاب الأهالى بالداخل وأعمال التعذيب والتشريد لهم من مساكنهم وتجميعهم فى مناطق محدودة لإحكام مراقبتهم والسيطرة عليهم.

فشكراً جزيلا من أعماق قلوبنا لكل هؤلاء الأبطال الذين سطروا بأعمالهم البطولية صفحة ناصعة البياض فى تاريخ أمتنا، ستقف أمامها الأجيال القادمه طويلاً تقديراً وإعزازاً.

رقم الايداع ٩٩/٤٦٥٨
الترقيم الدولى I.S.B.N
977-19-8429-2
الشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع
ت : ٣٩٢٨٨١٥ - ٣٩٣٦٣٣٨   ف : ٣٩٣٥٨٥٤



المؤلف

بدر الدين حامد إبراهيم

- أحد رجال المخابرات الحربية سابقاً
- حاصل على نوط الواجب العسكرى من الطبقة الأولى فى حرب أكتوبر ٧٣



الكتاب

منيت القوات المسلحة بنكسة فى عام ٦٧ ولكن بفضل أبنائها تماسكت وتخطت روح الهزيمة ثم بدأت فى حرب إستنزاف على جبهة قناة السويس تمهيداً لإسترداد الأرض. وبدأت معارك سريه من أغرب وأعنف المعارك وأشدها تعقيداً وجرأة فى هذا العالم الخفى المخيف فى عمق الخطوط الخلفيه للقوات الإسرائيلية فى سيناء. كانت معارك مريرة إشتعلت فيها حرب العقول ووصلت الى ذروتها وتسببت فى توجيه ضربات قاتلة للعدو. وكانت هذه قصة إحدى هذه العمليات. ولقد لزمت القوات المسلحة الصمت طوال ٢٥ سنه وعندما تحدثت ...

كان هذا الكتاب.

الشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع ت: ٣٩٢٨٨١٥ / ٣٩٠٧٢٤٣